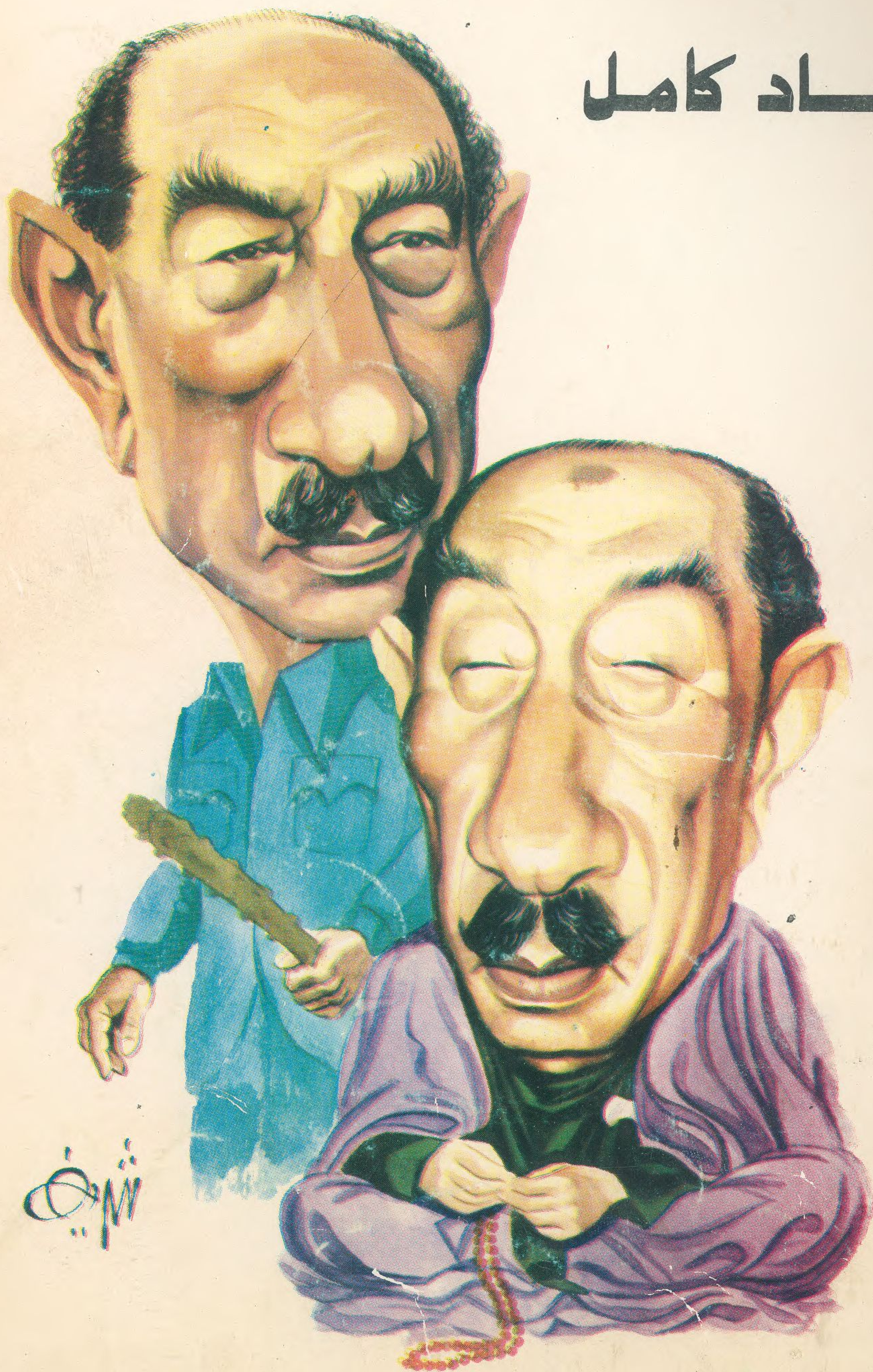
لغز السادات

رشاد كامل



صديقي وأستاذي الفاضل
محمد تناري
لك محبتي وإعجابي وتقديري
وشكري الجميل في السنوات التي
استقبلتني فيها محرراً مبتدئاً
مع خالص مودتي
أخيك رشاد كامل
٨٩/١/١٢

لغز السادات

رشاد كامل

● الغلاف للفنان : .... شريف عليش
● الاخراج الفنى للكتاب : .... فوزى الهوارى
● تنفيذ ماكيت الكتاب : .... مديحة فهمى
● التصحيح اللغوى والمراجعة : .... احمد رجب
● جمع تصويري : .... سمير عبد الله عماره
محمد عبد النبي
● تصوير : سيد احمد محمد . ابراهيم عبد الحليم

● الناشر :
محمود الجداوي ☎ ٣٥٤٢٩٣٣

إلى ..
أبى .. وأمى .. وأختى
أوفى .. وأغلى الأصدقاء

« رشـاد »

مقدمة

لا يحتاج أنور السادات إلى تعريف أو تقديم !!

كل ما يحتاجه أنور السادات هو التقييم الهادىء ، والتحليل العميق لشخصيته الفريدة في طابعها !!

لقد شغل أنور السادات بال الناس حياً وميتاً !!

قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عرف الناس في مصر أنور السادات كأحد المتهمين الأساسيين في قضية اغتيال « أمين عثمان باشا » في يناير ١٩٤٦ .

وانشغل الناس طويلا بتتبع أخبار هذه القضية على صفحات الصحف والمجلات !!

كان أنور السادات هو المتهم رقم « ٧ » في هذه القضية وأكبر المتهمين سناً [٢٨ سنة] وكان يعمل ـ حسبما جاء بملف القضية مقاول نقل بالسيارات !

وعقب الإفراج عن السادات قرأ الناس مذكراته عن شهور السجن والاعتقال في مجلة المصور !!

وقامت الثورة صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

وبعد ٤٨ ساعة فقط كان « كريزويل » الوزير المفوض بالسفارة البريطانية بالقاهرة يرسل ببرقية سرية جداً إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن تقول كلماتها :

قابلت « علي ماهر » هذا الصباح ودامت المقابلة ساعة وسلمته رسالتكم ، وقال إن القائد الحقيقي للحركة هو ضابط شاب اسمه بكباشي [أنور السادات] ولم يقل علي ماهر كثيراً عنه !! وقال إن الملك يعتبر أنور السادات « مجرماً !! » .

وطوال حكم جمال عبد الناصر تقلد السادات عشرات المناصب كان آخرها نائب رئيس الجمهورية !!

.. وعندما مات جمال عبد الناصر مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ خلفه أنور السادات في حكم مصر حتى لحظة الاغتيال ظهر السادس من أكتوبر ١٩٨١ .

ومنذ ذلك الوقت صدرت عشرات الكتب ، ومئات المذكرات و آلاف المقالات التى تتحدث عن أنور السادات !!

تحدثت عنه مغامراً ، وهارباً ، ومناضلاً .. ومناوراً ، ومقاتلاً ومخادعاً .. وشريراً .. وطيباً !!

كان « السادات » ضحية الأصدقاء قبل الأعداء !!

اغتاله زملاء العمر ورفاق الطريق ، قبل اغتياله ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١ .

لقد تحول السادات إلى « لغز » كبير !! وتحولت عشرات المواقف التى مر بها إلى ألغاز تحتاج للحل ؟!

هناك لغز ذهابه إلى السينما ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع زوجته جيهان السادات !! وهناك لغز انضمامه للحرس الحديدى الخاص بالملك فاروق ومعرفة عبد الناصر بذلك !!

هناك لغز تصديه لإذاعة بيان الثورة الأول الذى حمل اسم محمد نجيب أول رئيس لمصر !! وهناك لغز تأسيس الضباط الأحرار !!

أما أكبر الألغاز عندما اختاره الرئيس جمال عبد الناصر نائباً له خريف عام ١٩٦٩ وقبلها كان رئيس مجلس الأمة !!

لقد وجد دراويش السادات ومحبوه ألف مبرر ليدافعوا عن هذه الألغاز الساداتية !!

أما الخصوم فقد اخترعوا تفسيرات لهذه الألغاز أدانوا بها السادات فى النهاية !!

وكانت قراءة كل ما يكتب عملاً يحتاج لعقل بارد تماماً ، فقد تحول السادات فى هذه الكتابات إلى لغز كبير يستعصى على الحل والفهم !!

ووجدتنى إزاء عشرات الملاحظات التى تراءت لى أننى أمام مشروع كتاب أو بروفة أولى لكتاب عن السادات ..

وحدث نفس الشىء تماماً بالنسبة لكل ما كتب عن ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وتحولت أحداث ومواقف أيامها الخمسة الأولى إلى ألغاز وروايات مثيرة !!

ووجدت نفسى حائراً إزاء كل ما يكتب وما يقال هنا وهناك ، وكيف أن الواقعة الواحدة تروى بأكثر من طريقة وتكتب بأكثر من شكل .. فمن أحبوا « جمال عبد الناصر » برروا كل خطاياه .. ومن ناصبوه العداء اخترعوا له « خطايا » لم يرتكبها !!

ونفس الموقف بالنسبة لأنور السادات .

ووجدتنى أطرح كل ذلك أمام الأستاذ الكبير لويس جريس رئيس تحرير مجلة صباح الخير .. وبعقله الكبير ورحابة صدره تناقشنا وتحاورنا .. وجاءت موافقته على نشر حلقات يكون عنوانها : [عن التاريخ المعاصر .. شاب يسأل عن الحقيقة] ..

وأسعدنى بالطبع أن يكتب الأستاذ الكبير « لويس جريس » مقدمة هذه السلسلة من التحقيقات الصحفية ، كما أسعدنى كل المقدمات السابقة التى قدمنى فيها إلى قراء مجلة صباح الخير .

فى هذه المقدمة التى أسرتنى تماما بمحبتها وطوقتنى سطورها بالامتنان والعرفان لهذا الاهتمام والحب كتب لويس جريس يقول :

كاتب هذه الحلقات عن ثورة يوليو لم يكن وُلِدَ يوم قيامها ، جاء بعدها بعامين !!

واليوم وقد تعدى الثلاثين يعيد قراءة أحداث الأيام الثلاثة الأولى لثورة يوليو (٢٣ - ٢٦) من خلال ما نشر على لسان الضباط الأحرار أو الذين عاصروهم .

ويمسك « رشاد كامل » بالروايات المتعددة حول الحدث الواحد ويطابق الأقوال ويقارن الروايات : في محاولة صادقة لشاب يسأل اين الحقيقة ؟!

وصباح الخير وهي تنشر هذه الموضوعات المتساءلة ، إنما تهدف إلى تنشيط الذاكرة وإعادة قاعدة البحث عن الحقيقة والنقاش حول الموضوعات بأسلوب حضارى .. وحتى لا يقع أحد في شراك الذين يحاولون طمس الحقائق !!

وعلى مدى ثمانية أسابيع نشرت صباح الخير ثمانية موضوعات تبحث عن الحقيقة الغائبة في تاريخنا المعاصر .

ولفتت التحقيقات انتباه كثيرين ، وكتب بعضهم ردوداً كشهود عاصروا وعايشوا ما اكتب عنه ، مثل جمال حماد (عضو الضباط الأحرار والكاتب الكبير بالزميلة اكتوبر) وجمال القاضي (عضو الضباط الأحرار) وجلال معوض (الإذاعى اللامع الكبير) ورفيق الطرزى الذى حاول الملك فاروق شخصيا أن يغتاله ..

وفاجأنى استاذنا الكبير أحمد بهاء الدين بتحيته وإعجابه بهذه السلسلة وضرورة أن تنشر في كتاب .

كما كتب الأستاذ الكبير « موسى صبرى » محيياً هذه السلسلة في مجلة آخر ساعة ووصفها بأنها جديرة بكل جوائز الصحافة .. و .. و ..

أما تشجيع الزملاء والزميلات في صباح الخير فقد أخجلنى تماماً .

□□

وتصورت أن الموضوع قد انتهى عند هذا الحد .. إلى أن فاجأني الصديق « سيد رشاد » اشهر بائع للثقافة في جاردن سيتى وقصر العينى بأن ناشراً شاباً يطلب نشر هذه الموضوعات في كتاب .. وإزاء دهشتي جاء بالناشر الشاب « محمود الجداوى » الذى يعشق الثقافة والصحافة لقد ورث هذا الحب عن والده .

وناقشنى « محمود الجداوى » هذا الشاب الذكى ، الذى يقتحم مجال النشر والثقافة بقلب جسور وعقل متفتح لكل ماهو جاد في دنيا الكتابة .

أما الزملاء في روزاليوسف بكل أقسامها فالشكر لا حدود له بالنسبة لهم .

أما زملاء العمر فكل كلمات الدنيا لا تفى بحقهم الطبيعى والضرورى في توجيه التقدير لهم .

□□

أما سيدى وتاج رأسى القارىء الصديق فمنه وحده يأتى التشجيع والتقدير ، وله منى وافر الشكر والمحبة على ثقته التى جاءت بغير حدود .

« رشاد كامل »

الفصل الأول

السادات والسينما وليلة الثورة !

قامت الدنيا ولم تقعد لأن أنور السادات ذهب ليلة ٢٣ يوليو إلى السينما مع زوجته السيدة جيهان السادات !!

فى تلك الليلة ذهب السادات وجيهان إلى سينما « روضة المنيل » القريبة من منزلهما فى منطقة الروضة !! ولا تستغرق المسافة للوصول إليها سوى دقائق قليلة !!

كان برنامج السينما فى تلك الليلة يتضمن عرض ثلاثة أفلام مرة واحدة ، شاهدها السادات بالكامل ثم عاد إلى بيته ومعه زوجته !! وبينما كان السادات يتابع ويشاهد هذه الأفلام كان « جمال عبد الناصر » قد وصل إلى منزل السادات فلم يجده ، وترك له مع البواب رسالة خطية على درجة كبيرة من الخطورة !!

وعندما وصل السادات وجيهان إلى شقتهما كان الضباط الأحرار قد نجحوا فى الاستيلاء على مقاليد السلطة !! وبدى وقتها أن مصر على أبواب صفحة جديدة تماما فى حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية !!

وللأمانة فإن واقعة ذهاب السادات إلى السينما لم تكن سراً مجهولاً فى حياته فقد تولى هو بنفسه كتابة هذه الواقعة فى ذكرياته ، التى نشرتها له جريدة الجمهورية ثم طبعت فى كتاب بعد ذلك اسمه « صفحات مجهولة » وصدر عن دار التحرير للطبع والنشر فى سلسلة كتب للجميع (العدد رقم ٨٤ نوفمبر ١٩٥٤)

وكذلك فقد رواها السادات فى أحاديثه الإذاعية ثم التلفزيونية وكان قد أصبح رئيسا للجمهورية . ويذكر الناس كيف كان السادات فى ذكرى عيد ميلاده يظهر على شاشة التليفزيون ويروى جانباً من ذكرياته للسيدة المذيعة « همت مصطفى » ثم تعيد صحافة اليوم التالى نشر هذه الذكريات !!

لم يكن سراً إذن أن السادات ذهب إلى السينما ، ولم يحجب السادات هذه الواقعة عن أحد طوال حياته ، وكان الجميع يعلم بها !! ولم تكن تشغل بال أحد على الإطلاق !!

وطوال حكم أنور السادات لمصر « ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ـ ٦ أكتوبر ١٩٨١ » لم يحدث أن علق أحد على هذه الواقعة !! أو حملها بأكثر مما تحتمل !!

وكما لم تلفت قصة ذهاب السادات إلى السينما ليلة الثورة . لم يلفت انتباههم أيضا اعتراف « عبد المنعم أمين » عضو مجلس قيادة الثورة بأنه هو الآخر ذهب إلى السينما يوم ٢٢ يوليو ٥٢ حفلة السواريه !!

□□

وفى الأيام التالية لرحيل أنور السادات أصدرت الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية أعداداً خاصة تروى فيها وبالتفصيل كل شىء عن حياة « الزعيم الذى اغتيل » !!

اختارت كل صحيفة ومجلة أن تنشر ما يتناسب مع الخط الصحفى والمهنى الذى ارتضته لنفسها !! والتزمت به تجاه قارئها !!

كانت مجلة « الكواكب » الفنية الأسبوعية واحدة من المجلات التى أصدرت عدداً خاصاً عن السادات واختارت له عنوان « مسيرة الفن مع السادات »

وفى هذا العدد من مجلة الكواكب أعادت نشر مقال قديم لأنور السادات روى فيه قصته مع الفن عامة والتمثيل خاصة . كان السادات قد نشر هذا المقال فى جريدة الجمهورية الصادرة يوم ٢٨ نوفمبر ١٩٥٥ وكتب السادات يقول فى هذا المقال :

« منذ فجر شبابى وأنا أحس بميل شديد للفن والفنانين وخاصة التمثيل ، ولى فى هذا المجال قصص كثيرة !!

كان ذلك فى أوائل سنة ١٩٣٦ ، وكنت فى مدرسة « رقى المعارف » الثانوية ، وتكونت فى المدرسة فرقة تمثيلية كنت أنا ضمن أفرادها ، بعد أن أديت الامتحان أمام المشرف وكان ممثلا محـترفاً جىء به كى يشرف على الفرقة وكى يعد الرواية التى ستقدمها هذه الفرقة فى نهاية العام الدراسى .. وأذكر أنه جاء بروايتين إحداهما دراما والأخرى فكاهية وأنه أعطانى دورين ، أحدهما فى الدراما وكان اسمى فيه « جيروم » والآخر فى الروايـة الكوميدية وكنت أمثل فيه دور مأذون اسمه الشيخ « عزيز » ومازلت أحتفظ إلى اليوم (وقت كتابة المقال سنة ١٩٥٥) بالبروجرام الذى طبع لهذه الحفلة ، وعليه صورتى كما ترى الآن فى كافة البروجرامات « التى تطبعها الفرق التمثيلية .. وبعد أن أديت هذين الدورين فى حفلة المدرسة قرأت إعلانا تطلب فيه الفنانة « أمينة محمد » (خالة الفنانة الكبيرة أمينة رزق) وجوها جديدة لفيلمها الجديد الذى كانت تزمع عمله وهو فيلم « تيتاوونج » وأذكر أننى توجهت إلى مقر الشركة فى عمارة بشارع إبراهيم باشا حيث جاءت الفنانة « أمينة محمد » واستعرضتنا جيئة وذهاباً ، وكنا أكثر من عشرين شاباً انتقت منا اثنين وطلبت من الباقين أن يرسلوا لها بصورتين إحداهما « فاس » والثانية « بروفيل » .. ولم يكن هذا المطلب إلا زحولة » ..

ولكن مالم ينشره السادات فى نفس المقال وسبق أن نشره قبل عشرين عاماً على صفحات مجلة الفصول وكان يصدرها الأستاذ محمد زكى عبد القادر . فى عدد أول مايو ١٩٣٥ تحت عنوان : الفلم الجديد الذى تنوى السيدة عزيزة أمير إخراجه .

ثم نشرت المجلة بضعة سطور تقول فيها بالنص :

«نشرنا فى عدد الفصول الصادر فى أول أبريل الماضى نداء عن فيلم جديد خطير تنوى السيدة عزيزة أمير إخراجه قريبا وطلبنا أن من يأنس فى نفسه الرغبة واللياقة للتمثيل السينمائى أن يتقدم بمؤهلاته ليشترك » ..

وأيضا نشرت المجلة صورة فوتوغرافية للشاب محمد أنور السادات وكان يرتدى الطربوش كعادة شباب تلك الأيام .. ثم نشرت هذه السطور التى بعث بها السادات التى يقدم فيها نفسه :

أنور السادات أفندى كوبرى القبة شارع أبى وصيف رقم ٤ ويقول فى خطابه : أنا

شاب متقدم للبكالوريا هذا العام ، طويل .. وسطى رفيع جداً .. وصدرى مناسب وسيقانى قوية مناسبة .. لونى ليس كما فى صورتى لأنى أغمق من الصورة قليلا .

ثم يضيف السادات فى سطور خطابه المنشور :

والآن أصف لكم الجزء العملى . انا متحكم فى صوتى بمعنى الكلمة ، فتارة تجدنى أقلد صوت يوسف وهبى . وتارة تجدنى أقلد صوت أم كلثوم وهذه خاصة [يقصد السادات خاصية أظنها نادرة .

□□

كان التمثيل إذن هو ذلك الشىء الغامض المثير الذى استهوى أنور السادات ، وعندما أصبح السادات رئيسا للجمهورية وكتب مذكراته التى صدرت بعنوان « البحث عن الذات » لم ينس أن يروى فيها ـ ضمن مئات الذكريات والمواقف ـ مشاعره عندما دخل السينما لأول مرة فى حياته . ولم تستطع السنوات أن تمحى من عقل السادات وذاكرته تفاصيل هذا اليوم !!

لقد روى السادات هذه الواقعة على النحو التالى :

« وأول مرة دخلت فيها السينما فى حياتى .. كان ذلك يوماً عصيباً .. فقد شاهدت قطار سكة حديد قادماً من أقصى الشاشة ومندفعاً بسرعة مذهلة نحوى .. ماذا أفعل ؟! أغمضت عينى ورجعت بجسدى إلى الوراء .. ولكن صوت القطار مازال يدوى فى أذنى ففيم الانتظار ؟! قمت لتوى من مقعدى وبسرعة رحت اخترق الصفوف مهرولا فى طلب النجاة .. ولفت نظرى أن الناس كلهم قابعون فى مقاعدهم وكأن شيئاً لم يحدث .. هذا شأنهم قلت فى نفسى : ولكن بمجرد أن بلغت نهاية الصف ـ وعيناى قد تسمرتا على الشاشة ـ لم أجد القطار .. وجدت بدلا منه رجلا وامرأة يتناولان الطعام فى مقهى صغير ؛ فاخترقت الصف مرة أخرى وعدت إلى مقعدى .. أرقب أحداث الفيلم فى هدوء كما يفعل الآخرون ..

كم انبهرت ذلك اليوم بما رأيت .. وكان من نتيجة انبهارى أن حجزت تذكرة الحفلة التالية من الساعة الثالثة إلى السادسة بعد الظهر .. وتسمرت فى مقعدى لأشاهد القطار العجيب مرة أخرى .

« إن جيهان السادت تروى واقعة لها دلالتها البالغة وتصور لنا غرام السادات بالسينما والتمثيل وكان ذلك قبل قيام الثورة وبعد نقل السادات إلى رفح فتقول :

وحين يكون أنور فى أجازة كنا دائما نذهب إلى إحدى دور السينما فى وسط البلد ، حيث نشاهد فيلماً من الثالثة إلى السادسة بعد الظهر ، ثم نذهب مباشرة لمشاهدة فيلم آخر من السادسة إلى التاسعة مساء » .

كانت السينما ـ إذن ـ غرام السادات وحبه الأول قبل وبعد الثورة !!

ويروى لنا الكاتب الصحفى « حسن إمام عمر » رئيس تحرير الكواكب السابق وزميل السادات وصديقه فى سنوات الشباب قائلاً :

القلم الجديد الذى تنوى السيدة عزيزه امير اخراجه

صور الهواة والهاويات

نشر بالى عدد المصور الصادر في ٢٨ ابريل الماضى نداء من قلم جديد تنوى السيدة عزيزة أمير اخراجه زيا وطلبا ان من يأنس في نفسه الرغبة والكفاءة للتمثيل السينمائي ان يتقدم بزملائه ليشترك في

نوع التمثيل : يميل الى الكوميدى-تراجيدى ولكن يترك هذا للمخرج

• • •

أنور السادات أفندى كوبرى القبة شارع ابى يوسف

ويقول في خطابه :





والآن أعرض لكم الجزء الثانى

أنا مطلعكم في صوتى بعض الكلمة ، تارة تجدنى ... صوت يوسف وهبى ، وتارة تجدنى ... صوت أم كلثوم .

وهذه خدمة أقدمها نادرة

نص الإعلان الذى نشرته مجلة « فصول » واعادت الأهالى نشره وفيه يطلب السادات ان يكون ممثلا .

كان السادات فنانا منذ صباه وقد لمست حبه وعشقه للفن فى بداية الثلاثينيات خلال دراستنا الثانوية فى مدرسة « رقى المعارف » عندما جمعنا فريق التمثيل بالمدرسة ، وقد اشتركنا معاً فى عرضين مسرحيين أظهر فيهما تفوقاً جعل مدرب الفريق المرحوم « عبد القادر المسيرى » يثنى عليه كثيراً ويخصه بعبارات الإعجاب والتقدير لصدقه فى تصوير الشخصيات التاريخية والدينية التى كان يفضل القيام بها !

وكان رئيسا لجمعية الخطابة التى كنت وكيلا لها ، ومن هنا كانت الصداقة التى توطدت صلاتها بيننا على مر الأيام . خاصة بعد أن اشتغلت صحفيا فى مجلة « الصباح » التى كانت تهتم كثيراً بالشئون الفنية ، وكنت بحكم عملى ـ يقول حسن أمام عمر ـ أتردد على جميع المسارح ، وكان السادات يحرص على أن يذهب معى إلى فرقة رمسيس بالذات وأذكر أنه شاهد مسرحية « أولاد الفقراء » ليوسف وهبى خمس مرات خلال عشرة أيام .. فقد كان معجباً بموضوع المسرحية وبجرأة يوسف وهبى !! »

وفيما بعد ـ بالتحديد عام ١٩٧٥ أقامت أكاديمية الفنون حفلا كبيراً لتكريم أربعة رواد من عمالقة الفن والأدب ومنحهم الرئيس السادات شهادات الدكتوراة الفخرية . كان هؤلاء الأربعة هم : توفيق الحكيم ومحمد عبد الوهاب ويوسف وهبى وزكى طليمات .

قال السادات وهو يتحدث عن يوسف وهبى :

لا أزال أذكر صرخته المدوية من خلال أعماله المسرحية التى سعد بها شعبنا ، صرخته فى أولاد الفقراء !!

بل إن السيدة جيهان السادات نفسها تعترف فى حديث صحفى قائلة :

الرئيس يحب الأفلام الأجنبية وافلام الكاوبوى - رعاة البقر - بوجه خاص ودائما يطلبها ، وأجلس أنا معه إلى أن يندمج فى الفيلم ثم انسحب بهدوء لأذاكر دروسى .

لقد نشر هذا الحوار المثير فى روزاليوسف تحت عنوان زوجى أنور السادات بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٧٥ . ورداً على سؤال يقول : والرئيس هل يحب الموسيقى ؟!

قالت جيهان : جداً .. وعندما يكون مزاجه مستريحاً فإنه يدندن على خفيف .. ويغنى أيضا فى الحمام . أى نغم حلو وغالباً من ألحان عبد الوهاب .

أما « كاميليا السادات » ابنته (من الزوجة الأولى السيدة إقبال ماضى) والتى ذهبت للإقامة فى بيته مع جيهان وكان عمرها فى ذلك الوقت حوالى عشر سنوات فتقول :

كانت فترة من أجمل فترات حياتى .. كان يأخذنا جميعاً إلى السينما كل يوم خميس حين كنت أعيش مع أمى كان من المستحيل أن تأخذنا إلى السينما ، فقد كانت تعيش بمفردها ولم تكن هناك عروض أثناء النهار .

□□

... وكان السادات عاشقاً للمسرح والسينما ، وقد نشر بعد الإفراج عنه فى قضية عثمان منذ أربعين عاماً نص المسرحية التى مثلوها داخل السجن وقام هو فيها بدور السلطان .

بهذه الكلمات يبدأ الكاتب الكبير « موسى صبرى » فى رسم صوت « للسادات من الداخل » السادات العاشق للفن والسينما والمسرح والغناء .

إن علاقة موسى صبرى بالسادات بدأت عام ١٩٤٢ ومن يومها آمن به موسى صبرى ووقف معه فى كل معاركه .. ولا ينسى أحد لموسى صبرى موقفه الواضح والحاسم مع أنور السادات فى ذروة صراعه مع مجموعة ١٥ مايو ١٩٧١ .

يقول موسى صبرى فى وصف حب وعشق السادات لعالم الفن مايلى :

كان للسادات صلات شخصية بعدد من الفنانين وكان يدعوهم إلى منزله مع أسرته ، وكان يعرف الكثير عن حياتهم ومتاعبهم . وكان يحرص على مشاهدة كل الأفلام المصرية الجديدة ، لعله أخذ هذه العادة عن جمال عبد الناصر !

وفى بعض الأمسيات كان السادات يشاهد فيلماً ، وإذا كان عنده ضيف فإنه كان يدعوه إلى مشاهدة الفيلم ، إذا كان قد انتهى من موضوع لقائه معه أو إذا لم يستمتع بالحوار .

ومشهد السادات وهو يرى فيلماً يثير الألم !! نعم الألم !!

كان السادات يشاهد الفيلم فى المساء ، فى قاعة كبيرة ، أنشئت لاصقة بالاستراحة لكى يعقد فيها الاجتماعات . كان يجلس على مقعد فى وسط القاعة المظلمة ليشاهد الفيلم وبجواره التليفون . وكان يوقف الفيلم إذا تلقى مكالمة هامة . المشهد مؤلم . تعبير عن

الوحدة . القاعة كبيرة ومظلمة وبها شخص واحد !!

إن السادات ـ كما يقول موسى صبرى ـ قد وضع « كنبة » فى حجرة نومه بالقناطر التى كان يقضى بها معظم أيامه تشبه المصطبة فى القرية ويبدأ من السابعة مساء فى مباشرة أعماله بقراءة التقارير والاتصال بالمسئولين . ثم (يشاهد الفيلم السينمائى) الساعة الحادية عشرة .. أو يستمر فى العمل .. وكان ينام حوالى الواحدة صباحا .

اذكر أنه اتصل بى بالتليفون فى أوائل عهده وقال لى :

هل تعرف الممثل (وذكر اسمه) ؟

قلت : نعم !

قال : لقد قرأت منذ فترة أنه مات منتحراً بسبب الفاقة .. أرجو أن ترسل .. الصحفيين ليجرى بحثاً اجتماعياً عن حالة أسرته . وكلفت أحد الزملاء بهذا البحث وأرسلته للرئيس مدعماً بصور الأرملة والأبناء وقدم السادات سراً معونة لهذه الأسرة لم يعلن عنها !!

وعندما قرر معاشاً استثنائياً لأسرة المرحوم « إسماعيل يس » ثم تلقى شكوى من زوجته بعد شهرين من القرار أنها لم تصرف شيئاً ، غضب السادات من وزير الثقافة حينئذ وقال :

ـ إذا كان عاجزاً عن تنفيذ قرار لى بمعاش لأسرة فنان .. فكيف يصلح لإصدار وتنفيذ قرارات كبيرة !!

وأخرجه السادات من الوزارة وكان قد أمضى فى منصبه وقتاً قصيراً !!

ثم يروى موسى صبرى هذه الواقعة « الفنية » البالغة الدلالة فيقول :

أذكر فى أوائل عهد السادات أن المخرج الإذاعى المرحوم محمد علوان ، طلب منى أن أكتب له قصة حياة السادات ، ليخرجها فى مسلسلة إذاعية ، وانتهى علوان من إعداد الحلقة الأولى وطلب منى أن يسمعها الرئيس حتى يكون ذلك دافعاً له على الاستمرار بحماسة ، وتحرجت أن أطلب ذلك من الرئيس . فطلب علوان نفس الرجاء من محمود أبو وافية (عديل الرئيس) ووافق السادات وذهبنا إلى القناطر ، كان الوقت بعد الظهر وجلسنا فى شرفة الدور الثانى للاستراحة .

جاء الرئيس وبدأ الاستماع .. كانت المقدمة نشيداً لشادية عن مصر ، لحنه محمد الموجى . وطرب السادات من النشيد وقال : الموجى ده عفريت .. لقد لحن الآذان !!

وكان أحمد مظهر يمثل دور السادات فى هذه المسلسلة .. وكان حمدى غيث يمثل دوراً آخر .. وكان مظهر يقلد صوت السادات وطريقة أدائه المنفردة وتقبل السادات ذلك بارتياح وهو يروى : شوف مظهر .. بيقلدنى إزاى !!

والآن نبدأ البحث !

والبداية مع شهادة السيدة « جيهان السادات » !

إننا نعرف الآن أن جيهان كانت الزوجة رقم اثنين فى حياة السادات ! وأن الزوجة رقم واحد كانت السيدة « إقبال محمد ماضى » والتى تزوجها عام ١٩٤٠ ، وإلى أن طلقها فى مارس عام ١٩٤٩ .

وفى ٢٩ مايو من نفس العام كانت جيهان صفوت رءوف قد أصبحت زوجة للسادات الذى كان قد تقدم لخطبتها فى ٢٩ سبتمبر عام ١٩٤٨ .

ولكن ماذا تقول السيدة جيهان عن واقعة ذهاب السادات إلى السينما ليلة ٢٣ يوليو وكانت ترافق السادات فى هذه الليلة ؟!

إن جيهان لم تترك لنا فرصة البحث والنبش كثيراً ، فقد روت فى مذكراتها ما جرى بالضبط على النحو التالى : « بدءاً من صفحة ١٥٠ » .

اتصل بى أنور تليفونيا من رفح فى يوم ٢٢ يوليو وقال : جيهان إنى قادم فى أجازة .. فى أجازة ؟! لقد كان فى أجازة من مدة قريبة وقدم لى الشرح قائلاً : إن أمى مريضة !! أمه مريضة ؟! كنت قد زرت فى ذلك اليوم « ست البرين » (أمه) فى بيتها ووجدتها فى صحة جيدة . ما هذا الغموض ؟! (تتساءل جيهان ثم تقول) وذهبت لمقابلته فى محطة السكك الحديدية . وبمجرد أن وصل قال لى : دعينا نذهب إلى شارع الهرم.!!

وبينما كنا نطوف بالسيارة سألنى ونحن فى وسط الصحراء :

جيهان .. هل تذكرين الوعد الذى أخذته على نفسى أمام والدك بـألا أتدخل فى السياسة ؟

فأجبت وأنا أنظر بحب استطلاع إلى زوجى وكان يدخن السيجارة بعد السيجارة :

- طبعا !!

فقال بسرعة : حسناً إنى فى الواقع لا أعمل فى السياسة ولكن أحيانا أجلس مع بعض أصدقائى ونتحدث فى السياسة ثم ينتابنى شعور بالجرم !!

ثم أضاف بسرعة : أتفهمين ،أنى لا أعمل فى السياسة وإنما مجرد مشاركة بأفكارى مع أصدقائى !!

وتعلق جيهان على كلام السادات بقولها :

ولم أدهش بالمرة ، والواقع أنى أحسست بالراحة وأجبت فى الحال وإن كنت شعرت أن أنور لا يقول الحقيقة كاملة :

إذا لم تشارك بآرائك السياسية مع أصدقائك ، فلن تكون السادات الذى تزوجته ، لقد كنت وطنياً غيوراً فكيف تتوقف فجأة ؟!

فقال أنور وعيناه مركزتان على الطريق :

- ولكنى وعدت أباك وعداً لم أحفظه تماما !!

ومددت يدى لألمس ذراعه وقلت له :

- أنور إن والدى طلب منك ذلك بسببى وأنت أعطيت وعدك من أجلى إن كلا الوعدين كانا

من أجلى ، ولكن لم يسألنى أحد عن رأيى ؟

فسأل أنور بهدوء : إذن ماذا تقولين ؟!

لم أتردد فى الإجابة إذ كنت أعرف أهمية إجابتى :

- إن أنور الذى وعد أبى لم يكن أنور الذى تزوجته ولا أنور الذى يتحدث الآن . إن ما فعله والدى كان واجبه تجاه ابنته ، ولكنى الآن زوجتك ، لا تحاول حتى التفكير فى ذلك الوعد .» وتمضى جيهان قائلة :

وفى الحال بدأ أنور فى الاسترخاء واقترح . لنذهب إلى السينما الليلة مع والديك ؟! (هذه هى المرة الأولى التى نعرف فيها اقتراح السادات بأن يذهب إلى السينما مع جيهان ووالديها ، ولم تروِ لنا جيهان مبررات ذلك الاقتراح) .

ثم تضيف جيهان :

وكان أثناء الفيلم عطوفاً أكثر من المعتاد واضعاً ذراعه حولى ، لم أكن أتخيل ما الذى يجعله محباً إلى هذه الدرجة ؟ وإن كنت طبعاً لم أحاول أن أصرفه عن هذا . وحتى حين حدث عطل فى جهاز العرض وتوقف الفيلم لم يغضب أنور ، ولم يبد أى قلق ، لم أكن أعرف إذ ذاك أن أنور كان فى الواقع يودعنى !!

وتمضى جيهان شارحة لنا كيف أن السادات تلقى رسالة شفوية من جمال عبد الناصر بأن الثورة ستقوم فى تاريخ بين ٢٢ يوليو إلى ١٥ أغسطس وأنه لابد من حضوره فى الحال إلى القاهرة ، ثم تقول :

وبينما كنت أتقبل مسرورة ما قدمه لى من شيكولاتة وآيس كريم . كان يشعر هو بأن هذا اللقاء قد يكون الأخير !!

وحين عدنا إلى منزل والدى حوالى منتصف الليل سألنى البواب : أين زوجك ؟!

فقلت : إنه يدخل السيارة فى الجراج !!

وأعطانى البواب رسالة قائلاً :

لقد جاء رجل مرتين باحثا عنه وأخيراً ترك له هذه الرسالة :

وفى طريقنا لجمع (حاجاتنا) لنذهب إلى شقتنا (لاحظ ما تقوله جيهان وما تعنيه بكلمة شقتنا) أعطيت الرسالة إلى أنور وفى الحال وجدت الدم يهرب من وجهه ، وقال لى وهو يهرع إلى المنزل : لابد أن أذهب فى الحال

- أحد أصدقائى مريض جداً ويجب أن أذهب إليه !

فى بذلتك العسكرية ؟!

فتوقف لحظة (أى السادات) وقال بعنف :

يجب أن آخذه إلى المستشفى للحصول على دواء له فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، والبذلة الرسمية تسهل الأمور .

تضيف جيهان : ثم قبل وجهى وأسرع فى نزول الدرج ، وناديت خلفه :

- أنور إذا دخلت السجن لن أحضر لزيارتك !

وتجمدت حركته وهو فى منتصف السلم وقال بعمق ناظراً إلىّ بعينيه السوداوين الفاحصتين : ماذا قلت يا جيهان ؟!

فضحكت دون أن أكرر ما قلت ، وقلت له بهدوء : فليحرسك الله يا أنور !

وذهب بعد ذلك وانتظرت طول الليل عودة أنور ، أو على الأقل اتصاله بى ، ولكن لم تأت كلمة منه ، وأخذ أبى يقول لى وهو ينتظر معى كلمة من أنور « الغائب عذره معه » .

□□

إن المتأمل لما روته السيدة جيهان بشأن واقعة ذهاب السادات إلى السينما ليلة الثورة لابد وأن يلاحظ عدداً من النقاط الهامة :

١ - أن السادات اقترح عليها أن يذهبا إلى السينما بصحبة والديها ، وهى المرة الأولى التى نعرف فيها هذه الواقعة ، ولم يذكرها السادات فى كل ما كتبه !!

٢ - أنه بعد الانتهاء من مشاهدة أفلام السينما فقد توجه السادات وزوجته إلى بيت والد جيهان لإحضار حاجاتهما ثم يذهبان إلى شقتهما الخاصة !! فهل معنى ذلك أن جمال عبد الناصر (كما هو واضح من رواية جيهان) ذهب فى البداية إلى شقتهما الخاصة وعندما لم يجدهما ذهب إلى شقة « والد جيهان » وترك رسالة مع البواب !! وإذا كان الأمر كذلك فلماذا ترك الرسالة مع البواب ولم يتركها مع والد جيهان السادات ؟!!

٣ - أن الحقيقة الوحيدة المؤكد فى شهادة جيهان السادات وقد كتبتها بعد رحيل السادات بفترة ، أنها لم تقرأ أو لم يتح لها الاطلاع على روايات السادات المتعددة بشان واقعة ذهابهما إلى السينما ليلة الثورة .

ولو أن جيهان قد قرأت ما كتبه السادات لوقعت فى حيرة وانتابتها الدهشة - وقد كانت موجودة وشاهدة على ما يرويه السادات وربما تساءلت :

- أى الروايات التى رواها السادات هى الأصدق ؟! وأى التفاصيل وقع بالفعل ؟! وربما قرأت جيهان كل الروايات التى نشرها السادات وتجاهلتها تماماً ، وقررت هى أن تعيد صياغة الواقعة كما عاشتها وحدثت لها ، بعيداً عن حكايات السادات نفسه !!

□□

والآن نقترب من شهادات السادات نفسه حول واقعة ذهابه إلى السينما !!

والواقع أن السادات روى هذه الواقعة - على بساطتها الشديدة - بأكثر من شكل وأكثر من طريقة !!

رواها مرات وكان جمال عبد الناصر مازال يحكم مصر ، ورواها أيضا مرات عندما أصبح هو نفسه يجلس على كرسى الرئاسة فى مصر !!

ولكن ما أوجه الاتفاق والاختلاف فى كل مارواه لنا السادات من روايات ؟!

إن المرة الأولى التى روى فيها السادات حكاية ذهابه إلى السينما كانت على صفحات

جريدة الجمهورية . ورواها ضمن ذكرياته عن الثورة والتى كان عنوانها « صفحات مجهولة من كتاب الثورة » بدأ نشرها فى ٧ ديسمبر عام ١٩٥٣ ، وسرعان ما صدرت فى كتاب بعنوان صفحات مجهولة « نوفمبر ١٩٥٤ ـ سلسلة كتب للجميع » .

إن مما يلفت النظر فى هذا الكتاب أنه صدر بمقدمة هامة كتبها جمال عبد الناصر على مدى أربع صفحات ، وخلا غلاف الكتاب من الإشارة إلى هذه المقدمة رغم أن كاتبها هو « جمال عبد الناصر » .

وعندما أعيد طبع الكتاب فى يوليو ١٩٥٧ ضمن سلسلة كتاب الهلال ، فقد صدر تحت اسم جديد هو « أسرار الثورة المصرية وبواعثها الخفية وأسبابها السيكلوجية » ، وفى هذه المرة نقرأ على الغلاف عبارة تقديم الرئيس جمال عبد الناصر ! وبخط أكبر قليلا من الاسم الذى نشر به اسم المؤلف وهو أنور السادات .

أما المثير حقاً ويدعو للدهشة وربما للحيرة ، فإن السطور التى كتبها جمال عبد الناصر فى نوفمبر ١٩٥٤ ، نشرت عام ١٩٥٧ وقد حذفت منها السطور التالية :

« إن شخصية أنور السادات ، لجديرة بالإعجاب ، خليقة بالإطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ، ورباطة جأشه ، وإخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا ، إلى جانب قوة إرادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والإنصاف كل هذه الصفات جعلته أهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، والسير بها قدما فى سبيل النجاح » .

ولا أجد يدرى السر وراء سقوط هذه السطور عن السادات من مقدمة جمال عبد الناصر ؟! إن السادات نفسه لم يشر إلى هذه الواقعة أبداً ، لا فى حياة عبد الناصر ولا حتى بعد رحيله !!

والآن نعود إلى واقعة ذهاب السادات إلى السينما كما سجلها فى كتابه .. والتى لم تستغرق سوى سطور قليلة كتبها على النحو التالى :

لعلى لست مستطيعا أن أؤرخ تاريخ شاهد العيان للأيام التى سبقت ٢٣ يوليو مباشرة فقد كنت إذ ذاك فى رفح .. وعندما وصلنى الأمر من « جمال » بالعودة عدت مباشرة ، ولكنى لم أكن أفطن أن الحركة مدبرة فى الليلة نفسها .. ولعل القراء يدهشون إذ أروى لهم أنى جئت من السفر ، وتوجهت مباشرة إلى إحدى دور السينما .. فما أن عدت فى منتصف الليل إلى منزلى ، حتى وجدت إشارة التنفيذ ، فلم ألبث لحظة واحدة ، وإنما مضيت من فورى إلى القيادة .. ويضيف السادات فى شهادته :

وهناك أصبحت نكتة تروى ، ونادرة يتندر بها الإخوان .. فما أن يسأل واحد منهم فى أى من اجتماعاتنا ـ حتى اليوم ـ أين أنور ؟ حتى يجد من يجيب .. فى السينما !!

إن السادات روى واقعة ذهابه إلى السينما ليلة ٢٣ يوليو كما لو كانت نكتة أو حكاية طريفة ، فلم تلفت سوى انتباه زملائه فقط من أعضاء مجلس قيادة الثورة .. والأهم أن

السادات لم يذكر أية تفاصيل أخرى عن الواقعة !!

□□

ولكن بعد عام واحد على صدور كتاب السادات « صفحات مجهولة » نشرت روز اليوسف فى عددها الصادر ٢٥ يوليو ١٩٥٥ - وكانت مصر كلها تحتفل بمرور ثلاث سنوات على قيام الثورة . فقد نشرت روز اليوسف تحقيقاً صحفياً عنوانه « من ذكريات ٢٣ يوليو » بقلم إسماعيل الحبروك .

لقد تضمن هذا التحقيق الصحفى ذكريات ثلاثة من رجال الثورة يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . وكان هؤلاء الثلاثة هم : عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وأنور السادات !

لقد روى أنور السادات للكاتب الصحفى إسماعيل الحبروك حكاية ذهابه إلى السينما مساء ٢٢ يوليو ١٩٥٢ على النحو التالى :

« كانت قد وصلتنى تعليمات سرية تقول إن موعد التنفيذ تقرر أن يكون فى المدة ما بين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس وكنت يومها مع صديقى حسن إبراهيم وتولى كل منا من جانبه إبلاغ هذه القرارت إلى مندوبى الضباط الأحرار . وعدت يومها من رفح .. وأخذت زوجتى إلى سينما الروضة وبعد انتهاء الفيلم عدت إلى البيت ، ووجدت ورقة من جمال عبد الناصر تركها لى بعد أن حضر عدة مرات ولم يجدنى . وكتب على الورقة « المشروع سيتم الليلة » .

وقرأت زوجتى الورقة وسألتنى : مشروع إيه ؟!

- مشروع كلية الأركان حرب .. انتى مش عارفة أنى بأعمل مشروع للكلية مع جمال عبد الناصر !!؟

ولم تقل شيئاً فقد كانت شأنها شأن كل زوجات الضباط الأحرار ، تعلم أن جمال عبد الناصر هو الوحيد القادر على انتزاعنا من بيوتنا وزوجاتنا وأولادنا بلا معارضة أو تردد !!

وخرجت .. ذهبت فوراً إلى مقر القيادة بكوبرى القبة .. وكانت تحاصرها القوات المصرية ولم يسمح لى الجنود بالمرور من الحصار واضطررت أن أدور ، وأصل إلى الرباط الثانى من عنبر المستشفى . وعندما حاولت أن أجتاز الحصار قَبض على الجنود ، وظللت حائراً لا أدرى ماذا أفعل .. وفجأة رأيت « عبد الحكيم عامر » و« عبد اللطيف البغدادى » وناديت عليهما فجاءا بسرعة وأطلقا سراحى ، واتجهنا جميعاً إلى مقر القيادة حيث كان جمال عبد الناصر .

إن ما كتبه السادات على صفحات روز اليوسف وطبقا لكلماته يعنى الآتى :

١ - إن السينما لم تعرض سوى فيلم واحد .

٢ - إنه بعد انتهاء الفيلم ذهب إلى بيته (لا إلى بيت والد جيهان السادات كما ذكرت) .

٣ - إنه قال لزوجته بعد أن قرأ رسالة عبد الناصر : أنه يعمل مشروع لأركان الحرب مع جمال عبد الناصر وليس كما روت جيهان من أنه قال لها إن أحد أصدقائه مريض جداً

ويجب الذهاب إليه !

٤ ـ عندما وصل السادات إلى مقر القيادة فقد قام الجنود باعتقاله ولم ينقذه « سوى عبد الحكيم عامر وعبد اللطيف البغدادى .

□□

ونقترب من الشهادة أو الرواية الثالثة للسادات عن ذهابه إلى السينما !

وشهادة هذه المرة جاءت ضمن كتابه « قصة الثورة كاملة » الذى صدر عن دار الهلال فى يوليو ١٩٥٦ « أى فى الذكرى الرابعة للثورة » .

وربما كانت هذه الشهادة هى أخطر وأهم شهادات السادات لما تتضمنه من مفاجآت لم تكن متوقعة أو تخطر على البال !

إن السادات ابتداء من صفحة ٨٧ سيروى لنا القصة على النحو التالى :

جاء حسن إبراهيم ليبلغنا أن الخطة الأساسية ستنفذ مابين ٢٢ يوليو و ٥ أغسطس وطلب حسن منى أن أسافر على الفور إلى القاهرة لمقابلة جمال عبد الناصر .. وقال جمال سالم إنه مادامت الخطة ستنفذ خلال هذه الفترة ، فإنه سيبقى فى العريش لينهى بعض الأعمال العاجلة ثم يطير إلى القاهرة يوم الخميس .

وتركت ـ السادات لايزال يتكلم ـ حسن إبراهيم لأعود إلى رفح سريعاً ، وأعددت حقائبى على الفور ، ثم استأذنت من قائدى فى السفر بعد أن أخبرته أن والدتى مريضة جداً .. وكان القطار الذى يسافر إلى القاهرة يقوم فى الصباح .. وفى صباح ٢٢ يوليو كنت جالساً فى قطار القاهرة !

وفى محطة القاهرة وكانت الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر ، رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى !! فى إحدى دور السينما الصيفية القريبة من منزلنا . اعتزمت هذا على أساس أننى سأتوجه فى الصباح التالى (يقصد ٢٣ يوليو) لأقابل جمال عبد الناصر وأتلقى منه ما يخصنى من أوامر لتنفيذ الخطة .

وكانت دار السينما تعرض ـ كالعادة ـ ثلاثة أفلام مرة واحدة .. وجلست مع الأولاد (!!) نتابع فى السينما الروايات الثلاث .. وخلال تلك المدة كان « جمال » قد ذهب إلى منزلى بسيارته الأوستن المشهورة ولم يجدنى ، ولم يعرف البواب دار السينما التى ذهبنا إليها وعاد جمال يسأل مرة أخرى بعد ساعة ، فلما لم يجدنى ترك لى بطاقة مع البواب كتب عليها : المشروع ينفذ الليلة ، المقابلة فى بيت عبد الحكيم « الساعة ١١ ».

يضيف السادات ما جرى بعد ذلك بقوله :

وما كاد البواب يناولنى البطاقة بعد عودتنا من السينما حتى وجدت نفسى أقفز فوق درجات السلم إلى شقتى ، تاركا أولادى مذهولين مع البواب !! وخلعت القميص والبنطلون وارتديت ثيابى العسكرية ثم ركبت سيارتى الخاصة وانطلقت بها ..» .

وقبل أن نمضى مع باقى ذكريات السادات عن أحداث تلك الليلة ، يسترعى الانتباه

سطر على درجة كبيرة من الخطورة ذكره السادات ببساطة متناهية إذ يقول : « رأيت أن أقضى السهرة مع أولادى فى إحدى دور السينما !! ثم يقول بعدها وجلست مع الأولاد نتابع فى السينما الروايات الثلاث » .

١ ـ ماذا يعنى السادات بقوله « أولادى » أى أولاد يقصد ؟! فهذه أول مرة نعرف أنه ذهب إلى السينما بصحبة أولاده بالإضافة إلى جيهان !! وحتى تلك الليلة ٢٢ يوليو ١٩٥٢ لم يكن السادات قد أنجب بعد أولاداً من السيدة جيهان ، وإن كان قد أنجب من زوجته الأولى السيدة إقبال ثلاث بنات هن : رقية ، راوية ، كاميليا ، أما أولى بناته من السيدة جيهان فقد كانت لبنى التى ولدت فى سبتمبر ١٩٥٤ وبعدها بعامين ولد جمال !!

٢ ـ إن السادات يعترف هنا بأنه شاهد (مع زوجته) الأفلام الثلاثة التى كانت تعرض مساء ذلك اليوم ، بينما سبق له أن اعترف أن السينما لم تعرض سوى فيلم واحد !

٣ ـ لم يشر السادات إلى أى حوار دار بينه وبين زوجته عقب رجوعهما إلى المنزل وقراءته البطاقة التى تركها عبد الناصر مع البواب بعكس ما رواه فى حواره مع روزاليوسف السابق الإشارة إليه !

إن الشيء المؤكد طبقا لروايات السادات ـ رغم تناقضها ـ وكذلك جيهان أنهما كانا معاً ليلة ٢٣ يوليو يشاهدان ثلاثة أفلام . وطبقا لما نشرته جريدة المصرى فى عددها الصادر صباح ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، فقد كانت سينما الروضة تعرض هذه الأفلام :
القطة المتوحشة ، وغرام ثائر ، ولعبة الست (بطولة تحية كاريوكا والريحانى) .

□□

لقد كتب جمال عبد الناصر على صفحات مجلة آخر ساعة « ٤ مارس ١٩٥٣ » فى مقالة بعنوان « قصة أثرت على حياتى » ولم ينتبه الناس لدلالتها !!

يقول جمال عبد الناصر : « لقد كان من أقوى المؤثرات المعنوية فى حياتى فيلم سينمائى أخرجه « فرانك كابرا » وأسماه « يالها من حياة رائعة » . ولقد دخلت هذا الفيلم ذات مرة من سنوات عندما عرض فى القاهرة فى حفلة الثالثة بعد الظهر ، وخرجت بعد انتهاء الفيلم لأشترى تذكرة جديدة وأدخل لأراه مرة ثانية على الفور ، وفى اليوم التالى عدت ومعى عبد الحكيم عامر لأراه للمرة الثالثة !!

ولو استطعت أن آخذ معى كل مواطن إلى دار السينما التى كانت تعرض هذا الفيلم لما ترددت . ولقد كنت أكثر الناس شقاء ، لما علمت أن عرض الفيلم قد انتهى قبل أن يمضى عليه أسبوع لأن الجماهير أعرضت عنه ! ولقد كان من أول الأشياء التى فعلتها بعد حركة الجيش أنى اتصلت بالشركة التى أنتجت هذا الفيلم أطلب نسخة منه وجاءت النسخة بالفعل وهى تعرض الآن فى معسكرات الجيش » .

ولم يهاجم أحد جمال عبد الناصر لأنه دخل السينما ليشاهد فيلماً واحداً لثلاث مرات ، لكن السادات وحده هو الذى استحق الهجوم واللوم !

الفصل الثانى

السادات وجيهان ولعبة الست !

كان ذهاب السادات وزوجته ليلة الثورة إلى السينما جريمة لا تغتفر !!
لقد ترددت هذه الاتهامات على لسان معظم الذين عرفوا السادات وعملوا معه ، وقبلوا أن يتعاونوا معه فى كافة المناصب التى كلفهم بها !
وأثناء حياته لم يكتشفوا شيئاً يدينه أو يعيبه .. ولكن بعد رحيله وانتقاله إلى رحاب الله .. اكتشفوا فجأة أنه .. وأنه .. وأنه ..

كانت كل مصر تعرف بحكاية ذهاب السادات إلى السينما ، ولم تكن تشغلها ولم تدخل فى إطار اهتمامات الناس حتى رحل السادات عن عالمنا ظهر يوم الثلاثاء السادس من أكتوبر عام ١٩٨١ عند المنصة !

حتى الذين كتبوا ونشروا ذكرياتهم ومذكراتهم فى عهد السادات عادوا لنشرها من جديد .. ولكن فى هذه المرة تذكروا واقعة ذهاب السادات إلى السينما !!

أعادوا رواية الواقعة .. وأضافوا لها تفاصيل وحذفوا تفاصيل .. بل ووصل الأمر بالبعض منهم إلى ذكر أن السادات قام بافتعال مشاجرة داخل دار السينما . بل إنه أصر على الذهاب إلى قسم البوليس « لتحرير محضر بالواقعة ، يستند إليه إذا ما فشلت الثورة » !!

والآن نتأمل ونتابع معاً بعض ماقيل بعد رحيل السادات ، ونشر داخل وخارج مصر !!

فى البداية نتأمل شهادة الرئيس محمد نجيب أول رئيس لمصر !!

وابتداء من ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ كان قد تم عزل نجيب واعتقاله حتى تولى السادات الحكم فى أكتوبر ١٩٧٠ .

فى عصر السادات استرد نجيب حريته . وخرج عن عزلته وصمته ، وتسابقت الصحافة فى إجراء الأحاديث الصحفية معه ، بل إنه نشر مذكراته وعنوانها « كلمتى للتاريخ » . وكتب فيها :

« جاء أنور السادات إلى الحكم وانتهى عهد الإرهاب وتنفس الناس الصعداء وتم رفع قيود الحراسة عنى تماما .. وقد عشت أياماً لا أتصور أن حريتى قد عادت لى » .

فى مذكرات نجيب لا نعثر على أى كلمة أو سطر يشير إلى ذهاب السادات إلى السينما .. وكل ما يذكره بشأن السادات هو قوله :

كان البيان الأول للثورة قد أذيع باسمى فى السابعة صباحاً بصوت أنور السادات .

وعلى مدى صفحات المذكرات « ٢٦٠ صفحة » لا تجد إلا السطر السابق وهو يفيد أن السادات قرأ البيان بصوته !!

ولكن .. بعد رحيل السادات .. ثم رحيل نجيب نفسه فى ٢٨ أغسطس ١٩٨٤ ، صدرت مذكرات أخرى لمحمد نجيب عنوانها « كنت رئيسا لمصر » . وفيها يتذكر نجيب ما كان قد نسيه من قبل فيقول :

« أما أنور السادات فكان أكثر منهما ذكاء ، إذ دخل ليلتها السينما ، وتشاجر مشاجرة مفتعلة وحرر محضراً بالواقعة ، حتى إذا ما فشلت الحركة نجح فى الخروج منها كالشعرة من العجين » « ص ١١٦ » .

والحقيقة أن محمد نجيب ليس وحده فى هذا المجال ، أقصد مجال رواية الواقعة الواحدة بأكثر من شكل وبطرق مختلفة !

هناك أسماء كثيرة لامعة فعلت نفس ما فعله نجيب وأكثر منه !!

□□

شهادة السيد عبد المنعم أمين تستحق القراءة بعناية أكثر !!

كان عبد المنعم أمين هو عضو مجلس قيادة الثورة السابق . والذى سرعان ما تم فصله من مجلس القيادة ـ لأسباب لا مجال لشرحها هنا ـ ليعمل فترة سفيراً لنا فى بون ثم يحال للمعاش !!

وفى الأسابيع الأولى من حكم السادات ، وكان قد طرح مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ ومن أجل مساعى السادات لإنجاح المبادرة ، فقد استقبل دونالد بيرجس المشرف على رعاية مصالح الأمريكيين فى مصر ، وكان الوسيط فى هذه المقابلة هو : عبد المنعم أمين نفسه !!

المهم أن عبد المنعم أمين ـ المعروف باتجاهه وميوله نحو أمريكا ـ فى معظم الأحاديث الصحفية المنشورة له لم يتطرف أبداً إلى مسألة ذهاب السادات إلى السينما !!

ولكنه لم يجد أدنى حرج أو عيب أن يعترف بأنه هو نفسه ذهب إلى السينما يوم ٢٢ يوليو ١٩٥٢ . نفس اليوم الذى ذهب فيه السادات مع زوجته إلى السينما وجاء اعترافه السابق للزميل « حمدى لطفى » الذى أورده فى كتابه « ثوار يوليو الوجه الآخر » حيث يقول عبد المنعم أمين ما يلى :

« ... وذهبت إلى حفلة سينما سواريه .. وتركتها عند منتصف الفيلم ، عدت إلى بيتى واستبدلت ملابسى ، وتوجهت إلى رئاسة المدفعية ، وقام كل منا بمهامه حسب الخطة » ..

وهكذا طوال حكم السادات لم يحدث أن قرأنا لعبد المنعم أمين ما يشير من بعيد أو قريب إلى ذهاب السادات للسينما أو أية واقعة أخرى تدين السادات أو تشينه !!

بل إنه يقول لأحمد حمروش فى كتابه « شهود ثورة يوليو » وكان حمروش يسأله عن أسباب خروجه من مجلس القيادة .. ما يلى :

« قامت بين ضباط المدفعية حركة تستهدف عمل انتخابات فى الأسلحة لضباط القيادة ، وقد استخدم بعضهم فى هذه الحركة أسلوب التشهير ضد بعض أعضاء المجلس وقد تعرضت أنا وأنور السادات لهذه الحملة » ..

وكان كتاب حمروش قد صدر عام ١٩٧٧ ومضت السنوات .. سنة وراء سنة !!

١١ سنة بالتمام والكمال إلى أن وقعت المفاجأة !!

على صفحات جريدة الوفد بالتحديد جاءت مفاجأة عبد المنعم أمين !

كانت الوفد ـ فى ذكرى مرور ٣٦ عاماً على ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ـ قد بدأت تنشر فصولا من كتاب جديد اسمه « الضباط الأحرار يتكلمون » للكاتب الصحفى « محمود فوزى » .

وكان عبد المنعم أمين أحد هؤلاء « الضباط » الذين تكلموا على صفحات الوفد !!

وعن أنور السادات قال عبد المنعم أمين ما يلى :

أنور السادات أخطاؤه لا نحصى !! (٦٠٠ ألف خطأ) .

وقال أيضا : يكفى أنه كان فى الحرس الحديدى ثم مع الثورة ، ويقبل أموالا من الملك وليلة الثورة يذهب إلى السينما ولا يأتى سوى الثالثة صباحاً بعد الثورة ما نجحت !! وحين يلام أنور السادات فى مجلس الثورة ويقولون له : كيف لا تأتى ؟!

قال لهم : أنا لى وضع خاص .. أنا لو قبض علىَّ سأعدم ، لكن أنتم سيحدث تحقيق معكم !! » .

وعندما واجهه الزميل « محمود فوزى » متسائلا : أنت الآخر ذهبت إلى السينما ليلة الثورة .. قل لى ما حكاية السينما مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ؟!

رد عبد المنعم أمين قائلاً : (ولاحظ التبرير والعذر الذى سيسوقه) :

أنا ذهبت إلى السينما حتى الساعة الحادية عشرة والنصف وكنت موجوداً بعدها !! أنا ذهبت حتى إذا سئلت قبل قيام الثورة أين كنت ؟! فأجد الإجابة ، وكنت فى الوقت نفسه أريد أن أشغل عقلى بأى شىء ثم إننى لم أهرب .. الأمر يختلف كثيراً ، أنا كنت فى نادى السيارات خصيصاً لكى أظهر أمام الناس ثم ذهبت إلى السينما فى حفلة السواريه وخرجت فى الحادية عشرة والنصف !

أنا لم أذهب للسينما إلا لكى أثبت وجودى ، ولكننى لم أفتعل خناقة مثل « أنور السادات » فى محضر البوليس ، ثم إننى لم أذهب إلى الثورة مثلما فعل أنور السادات .. لا أنا ذهبت إلى الثورة واشتركت فيها ، غاية ما هنالك أننى كنت أغطى فترة ما ، لو حدث فى الأمور شىء كنت أغطى موقفاً من المواقف تماما مثل حكاية الهروب إلى المقابر التى اقترحتها على زوجتى فى حالة فشل الثورة وهروبى » . « الوفد ٨٨/٨/١ » .

□□

وينضم إلى القافلة : قافلة أصحاب المذكرات والذكريات السيد « محمود الجيار » !

عندما نشر الجيار مذكراته فى المرة الأولى على صفحات روز اليوسف بدءاً من نوفمبر ١٩٧٥ وصفته بأنه ظل عبد الناصر وصديقه وعاش حتى آخر يوم من حياة عبد الناصر وهو أول من يراه من رجاله فى الصباح ، وآخر من يراه قبل أن ينام .

وعلى مدى ٢٢ أسبوعاً روى فيها الجيار كل الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر .. لم يذكر موقفاً واحداً ضد أنور السادات ، إنما كان العكس هو الصحيح !!

وفى كل الحلقات لم يتذكر الجيار شيئا عن ذهاب السادات إلى السينما !!

ولكنه فى خريف عام ١٩٨٨ عاد الجيار ليكتب شهادته للتاريخ على صفحات مجلة

« أنباء الأسبوع » وتذكر أشياء كثيرة عن السادات .. ومن بينها قصة ذهاب السادات إلى السينما !!

تذكر الجيار بعد سبع سنوات من رحيل أنور السادات مايلى :

أتعجب ممن يتحدثون عن انتساب السادات ومشاركته للثورة فهو لم يشارك ولو بخطوة أو حتى بدقيقة من وقته بل إنه قام بتأمين نفسه ليلة قيام الثورة تأميناً محكماً بأن ذهب إلى السينما وقام بافتعال مشاجرة وذهب إلى قسم الشرطة حتى يثبت بذلك ابتعاده عن الاشتراك فى الثورة ، لقد افتعل هذه المشاجرة وكان فى قسم الشرطة الساعة الواحدة والنصف صباحاً ..» « ص ٢٤ » . ثم يضيف الجيار قائلاً :

كان السادات على ما أعتقد فى العريش أو رفح ، وتم استدعاء جميع الضباط الأحرار لتنفيذ الثورة يوم ٢٠ يوليو ، إلا أن أحداً لم يحضر فتم التأجيل إلى ٢١ (!!) ولم يأت أحد منهم كذلك يوم ٢٢ وأتت إلينا أوامر بأن نترك وحداتنا ونذهب إلى منزلنا يوم ٢٣ ، فى هذا الوقت كان مقرراً أن تنقل الكتيبة ١٣ إلى السودان ولكن تم تعطيلها وجندت الكتيبة ١٣ بضباطها للاشتراك فى الثورة دون علم قائدها أحمد شوقى (!!) ولما لم يأت الضباط الموجودون فى العريش ورفح والقنطرة أرسل إليهم حسين إبراهيم « بطائرة » يوم ٢١ يوليو وحضر جميع الضباط ماعدا « السادات » الذى لا نعرف كيف اختفى عنهم (!!) وكان يعرف أن عبد الناصر قد استدعى جميع الضباط فى منطقته بالطائرة ، وكان من الواجب أن يتوجه إلى عبد الناصر ليعرف لماذا استدعاه . لم يفعل ذلك بل ذهب إلى منزله واستراح ثم ذهب إلى السينما ، على الرغم من ذلك ذهب إليه عبد الناصر فى منزله حوالى التاسعة مساء ولم يجده ، فترك له خطاباً عند البواب ولم يعد أنور إلا حوالى الساعة الثانية والنصف صباحاً وسبقته جيهان فى الدخول فأعطاها البواب خطاب عبد الناصر فقرأته ولم تسلمه له (ولا ندرى كيف علم الجيار بذلك ؟!) وكان واضحا به أن بداية التحرك ستكون من تلك الليلة !! لماذا ؟ لأن زوجات حسين الشافعى وبغدادى والسادات يكرهن عبد الناصر لاعتقادهن بأن جمال يأخذهم للسهر وليس للاجتماعات ، ولذلك لم تسلمه الخطاب وكان إصرار عبد الناصر على إشراك السادات رغم علمه بموقفه لأن السادات كضابط إشارة كان سيتم تكليفه بالاتصالات فى تلك الليلة لأن « أمين شاكر » لم يحضر وكان أمين أكفأ منه !!

وبعد أن عرف أنور السادات ذهب إلى القيادة وقبل أن يصل وعند أول نقطة حراسة فى العباسية لم يكن يعرف كلمة « سر الليل » فقام الحرس بالقبض عليه ، وأرسلوه إلى المكان المعد وكان فى الكلية الحربية بجوار القيادة وسمع صوت عبد الحكيم عامر فنادى عليه وأخرجه .. . « ص ٢٥ » .

إن شهادة « الجيار » ينقصها الصدق والموضوعية أيضا !

إن كل ماروا ه الجيار فى خريف ١٩٨٨ لم يذكر منه شيئا على الإطلاق طوال صفحات مذكراته التى نشرت وكان السادات نفسه هو الذى يحكم مصر !

ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة إلى الكاتب الكبير الأستاذ « محمد حسنين هيكل » !

وفى حياة أنور السادات وحتى لحظة خلافه مع هيكل وخروج الأخير من الأهرام ، لم يشر هيكل من قريب أو من بعيد لواقعة ذهاب السادات إلى السينما !

وبعد رحيل أنور السادات بعامين أصدر هيكل كتابه الشهير « خريف الغضب » الذى أثار الدنيا وأقامها وأقعدها بطول وعرض مصر والعالم العربى . وفى هذا الكتاب يفاجئنا هيكل بكتابة قصة ذهاب السادات إلى السينما على النحو التالى :

« فى الخطة الأساسية للثورة كان عبد الناصر يريد ضابطاً من سلاح الإشارة كى يتولى مسئولية قطع الاتصالات التليفونية أثناء تنفيذ المراحل الحساسة الأولى فى عملية قلب النظام الملكى فجر يوم ٢٣ يوليو . وفى مشروع الخطة الأصلى المكتوب بخطه حدد جمال عبد الناصر « هذه المهمة ثم وضع أمامها » اسم « أنور السادات » وأضاف بجانبه علامة استفهام بالقلم الأحمر . ولقد أخطر « السادات » بالموعد الأصلى الذى حدد للانقلاب وهو حوالى ٥ أغسطس . ولكن هذا الموعد جرى تقديمه بسبب التطورات السياسية المتلاحقة فى ذلك الوقت . وبعث « جمال عبد الناصر » بأحد أعضاء اللجنة التأسيسية العليا وهو « حسن إبراهيم » إلى العريش ورفح لكى يخطر الأخوين « جمال » و« صلاح سالم » بالموعد الجديد . كذلك طلب « عبد الناصر » من « حسن إبراهيم » أن يخطر « أنور السادات » بضرورة حضوره إلى القاهرة فى موعد أقصاه ٢٢ يوليو » .

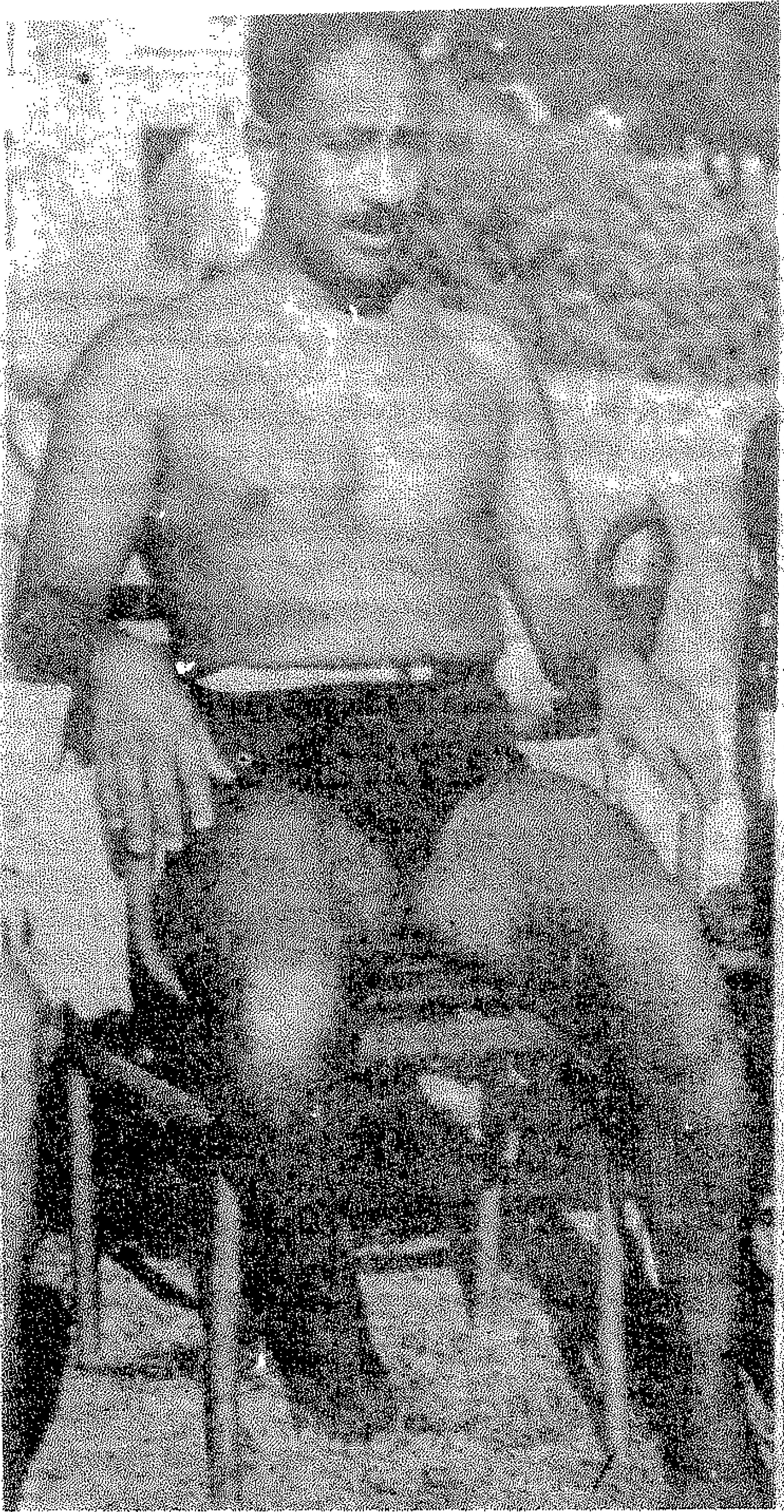
ثم يضيف الأستاذ هيكل فى شهادته بالنص :

« وفى ذلك اليوم بالتحديد وصل أنور السادات إلى القاهرة وتوجه إلى بيته ثم أخذ زوجته « جيهان » وذهب معها إلى إحدى دور السينما الصيفية بالمنيل ، كانت دور السينما الصيفية المفتوحة فى تلك الأيام تعرض ثلاثة أفلام متصلة فى برنامج واحد وقد حضر « أنور السادات » وزوجته كل العرض من أوله إلى آخره !!

وفى هامش الصفحة يروى هيكل الواقعة التالية :

عندما تقابل الرئيس أنور السادات مع الرئيس الأمريكى رونالد ريجان فى صيف سنة ١٩٨١ فى واشنطن قال لريجان إن أحد الأفلام التى شاهدها فى تلك الليلة كان من تمثيله . وليس هناك من يستطيع أن يقطع على وجه اليقين ما إذا كان ذلك صحيحاً أم أنها « مجاملة اجتماعية » من أنور السادات لصديقه الجديد رونالد ريجان . وكان هذا هو الأساس لما قاله بعده رونالد ريجان وهو يرد على مجاملة السادات بمجاملة أخرى من عنده » « وهكذا كان لى دور فى الثورة المصرية دون أن أعرف ، ثم يعود هيكل - بعد هذا الهامش - فيقول :

« وهناك من يدعون (!!) أن أنور السادات أثناء مشاهدته العرض السينمائى فى تلك الليلة دخل فى مشاجرة عنيفة مع واحد آخر من المشاهدين ، ثم رتب هؤلاء على ذلك أن أنور السادات كان يريد أن يجهز لنفسه دليل نفى يقطع بوجوده فى مكان آخر إذا انكشفت الأمور . وليس هناك دليل مادى مؤكد يعزز هذا الادعاء » .



صورة نادرة للسادات بالمايوه ،
ثم رسم كاريكاتورى للسادات سباحاً



أنور السادات : السباحة

ويقول البكباشى أنور السادات :
ـ انى أحب القراءة ، والسباحة ... وقد بدا حبى وممارستى لهما منذ الصغر

وبعد انتهاء العرض السينمائى عاد أنور السادات وزوجته إلى شقتهما وكان ذلك فى الساعة الواحدة إلا الربع من صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وهناك وجد مع بواب العمارة التى يسكنها رسالة مغلقة بخط « جمال عبد الناصر » يسأله فيها أين هو ؟! ثم يخطره بأن العملية سيتم تنفيذها الليلة » .

وارتدى أنور السادات زيه العسكرى واتجه إلى ناحية العباسية حيث كان يعرف أن الهدف الأساسى ليلتها سوف يكون رئاسة أركان حرب الجيش وفى الوقت الذى وصل فيه السادات كانت العملية كلها قد تمت بنجاح ، وكان الضباط الأحرار يسيطرون على قيادة الجيش فى القاهرة وعلى كل المواقع الحساسة فى العاصمة ، ولقد منع الجنود « أنور السادات » من دخول رئاسة أركان حرب الجيش وبقى فى الخارج ينادى على « عبد الحكيم عامر » بعد أن كان قد سمع صوته من بعيد يلقى ببعض الأوامر ، وتعرف « عبد الحكيم عامر » على صوت « السادات » وطلب أن يسمح له بدخول مقر القيادة » .

ويقترب من الاتفاق مع رؤية هيكل لما جرى ليلتها شهادة الكاتب البريطانى « أنتونى ناتنج » فى كتابه الهام « ناصر » عندما يرصد وقائع اللحظات الأخيرة قبل استيلاء الثوار على الحكم ويقول

« ولم يتغيب عن المجموعة إلا « أنور السادات » لأنه فى تلك الليلة التى تغير فيها موعد الانقلاب كان خارج القاهرة ، وعند عودته إلى القاهرة ، توجه - إذ لم يكن على علم بالتغيير - إلى إحدى دور الخيال ولم يكن لغيابه تأثير كبير حيث كان يفترض أنه مسئول عن سلاح الإشارة !

لكن عبد الناصر لم يكن يشعر - فيما يبدو - بأى قلق إزاء تغيب أنور السادات » .

□□

وأصل فى رحلة البحث إلى شهادة لها أهميتها ودلالتها الخاصة !

صاحب الشهادة هو الدكتور السفير « محسن عبد الخالق » عضو الضباط الأحرار والمتهم رقم واحد فى انقلاب المدفعية (١٥ يناير ١٩٥٣) ورغم خلافه العميق والجذرى مع السادات إلا أن تأمل شهادته وقراءتها بعيون واعية يعطى أبعاداً أخرى للقصة :

تقول شهادة د . محسن عبد الخالق بشأن واقعة ذهاب السادات إلى السينما :

قد لا يعرف الكثيرون أن جمال عبد الناصر (رحمه الله) كون لجنة بعد الثورة مباشرة لجمع المعلومات والتأكد من بعض الأمور ، والتحقيق فيما قيل عن بعض التصرفات وكنت سكرتيراً لهذه اللجنة ، بل كنت فى الواقع ممن أنيط به جمع المعلومات وحفظها ومناقشتها مع عبد الناصر . وواقعة اشتراك أنور السادات هى كالآتى :

● أرسل جمال عبد الناصر حسن إبراهيم بالطائرة لإبلاغ أنور السادات بالحضور إلى القاهرة قبل يوم ٢٢ يوليو ، حضر أنور السادات ! ولما لم يجد خبراً أو رسالة من جمال عبد الناصر حتى حوالى الساعة الثامنة أو التاسعة اصطحب زوجته إلى السينما . وترك خبراً لدى البواب باسم السينما وأبلغه أنه إذا حضر أى شخص له وترك رسالة أن يحضرها إلى السينما (مدير السينما) . أبلغ (السادات) مدير السينما بأنه فى الداخل وأنه ينتظر صديقاً أو رسالة منه ورجاه أن يخبره إذا حدث ذلك (ومن هنا نشأت واقعة الخناقة وشائعتها) .

ذهب جمال عبد الناصر لأنور السادات (نلاحظ أن الثورة كانت قد عرفت) وترك رسالة سريعة للبواب . لم يتصرف البواب . انتهت السينما وخرج أنور حوالى الساعة ١٢,٤٥ أو ١٢,٣٠ بعد منتصف الليل . وجد رسالة جمال عبد الناصر ، فلبس الملابس العسكرية وذهب فوراً إلى مقر القيادة فى كوبرى القبة . عند طرف كوبرى القبة وقبل بدء عملية الهجوم على القيادة (الهجوم كان حوالى الساعة الواحدة صباح ٢٣ يوليو) كان الملازم أول (سفير الآن) محمود عباس عبد الهادى من كتيبة مدافع الماكينة بقيادة يوسف منصور صديق ، واقفا للقبض على قواد الجيش ومنعهم من الذهاب إلى وحداتهم . وصل أنور السادات فى ذلك الوقت أى حوالى الساعة الواحدة وقد تأكد وصوله قبل بدء الهجوم . سأل أنور (ملازم أول محمود) عما يحدث ! فرد عليه محمود : أنت عايز تعرف .. طب تعال معايا !! وقبض عليه وأوقفه بجانب الكوبرى ووضع عليه حراسة بالسونكى ! وسمع

أنور صوت عبد الناصر فنادى عليه وطلب من محمود أن يأخذه إليه . فوافق وأخذه لجمال . تقابل أنور مع جمال وكان معه عبد الحكيم عامر واتجهوا إلى مبنى القيادة . إذن فواقعة الاشتراك ثابتة بشهودها ومنهم الأحياء الآن ، وقد تثبتنا منها وقتها ! لأنه كان هناك تندر بذهاب أنور السادات إلى السينما ، والثورة ستقوم وكان يقال : يا أخى أعصابه باردة !!

أخيراً يقول د . محسن عبد الخالق : على من يقول إن هناك محضراً فى قسم البوليس لواقعة حادثة السينما التى افتعلها السادات أن يأتى لنا بصورة من هذا المحضر ، بدل من أن يلقى الاتهامات جزافاً » !

□□

وللإنصاف فإن « حسن إبراهيم » عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار قد دافع عن هذه النقطة فى حديثه لمجلة أكتوبر « ١٩٨٧ » .

وقال : أما عن موضوع السينما والخناقة ومحضر الشرطة ، فأقول لك لماذا تتصورون أن كل الناس ملائكة ؟! كونه أنه أراد أن يؤمن نفسه هذا موضوع لا نعيبه عليه ، ولقد وجد فى موقعه بعد ذلك . ما العيب فى أن يجهز السادات لنفسه أدلة إذا فشلت الثورة لا تدينه ! أنا شخصيا أدافع عنه وأقول : أنور السادات راح السينما ليلة الثورة علشان يريح أعصابه » .

بل إن « صلاح نصر » عضو الضباط الأحرار ومدير المخابرات الأسبق ، والمعروف ما كان بينه وبين السادات من خلاف وخصومة .. فعندما تطرق إلى هذه الواقعة فى مذكراته ، اكتفى بأن يقول هذه الكلمات القليلة :

هَلَّ نور الصباح ، وإذا بالناس يسمعون من الإذاعة أول بيان للثورة يذيعه أنور السادات الذى حضر إلى مبنى القيادة بعد رجوعه إلى بيته مع السيدة حرمه من عرض سينمائى انتهى عند منتصف الليل .. وكان عبد الناصر قد مر عليه مساء ٢٢ يوليو فلم يجده وترك له مذكرة صغيرة مع بواب المنزل وعند حضوره إلى مبنى القيادة كادت قوات الثورة تعتقله ، لولا أنه ظهر عبد الحكيم عامر فسمح له بالدخول » .

ولكن خالد محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة (سابقا) ورئيس حزب التجمع الآن يقول عن واقعة ذهاب السادات إلى السينما مايلى :

إنه كان حريصاً على أن يمسك العصا من المنتصف ـ أى السادات ـ هو فعلا كان فى السينما وخرج !! وهو قادم إلى الثورة افتعل خناقة وحرر بها محضراً أثبت فيه أنه فى الساعة الواحدة ليلا كان بعيداً عن الثورة » .

أما أحمد حمروش (عضو الضباط الأحرار البارز) وصاحب الموسوعة التاريخية الهامة عن « قصة ثورة ٢٣ يوليو » فيقول :

« أنور السادات غادر رفح يوم ٢٢ يوليو ولم يتصور أن الحركة ستتم هذه الليلة ، فذهب

مع أسرته إلى دار صيفية للسينما ، ولم ينضم لزملائه من الضباط الأحرار إلا بعد عودته من السينما وقراءته ورقة تركها له جمال عبد الناصر !

وعندما وصل كانت قيادة الجيش قد سقطت بالفعل فى يد الضباط الأحرار فعلا .. » .

وحتى الكتابات الغربية والأجنبية التى اهتمت بالتاريخ للثورة وأبطالها تعرضت لهذه المسألة ، وإن اختلفت المبررات والدوافع !! فى حجب أو نشر الواقعة !

فمثلا الكاتب السوفيتى « أ . اجاريبشف » له كتاب اسمه « ناصر » صدرت ترجمة عربية له عام ١٩٧٧ عن دار الثقافة الجديدة (دار مصرية ذات اتجاه يسارى) وقام بترجمة الكتاب كل من د . سلوى أبو سعدة وأحمد شرف .

فى هذا الكتاب ـ لاحظ أن ترجمته صدرت والسادات على قيد الحياة ـ لا نجد تفسيراً لحكاية ذهاب السادات للسينما .. وكل ما نعرفه أنه مساء ١٨ يوليو عقد اجتماعا هاما فى مبنى القيادة ، وقال عبد الحكيم عامر : يجب أن يدعى أنـور السادات من سـلاح الإشارة !! فقال كمال الدين حسين : ولكنه فى سيناء !

وأجاب عبد الناصر : فلنرسل له طائرة وإذا لزم الأمر ليخطف حسن إبراهيم طائرة « ص ١١٧ » ثم بعد ذلك تعرف أن عبد الناصر ذهب إلى السادات ولكن لم يعثر عليه فى بيته . ولم يكن من الممكن انتظاره . فترك له بطاقته « ص ١٢١ » فكان من الضرورى إسناد مهمته إلى ضابط آخر !! « ص ١٢٧ » .

والإشارة الوحيدة لمسألة ذهاب السادات للسينما أشار لها المؤلف ضمن السطور التى استعان بها من كتابات السادات نفسه :

أما فى عام ١٩٨٣ ، وكان السادات قد رحل عن عالمنا ـ فقد أعادت دار التقدم بموسكو نشر كتاب أجاريبشيف تحت عنوان « جمال عبد الناصر » وقام بالترجمة د . سامى عمارة . ونلاحظ فى الترجمة هذه المرة تفصيلات أكثر عن دور السادات ليلة الثورة .

تقول الترجمة الجديدة : « ص ٦٥ » وجدير بالإشارة حقيقة أن السادات لم يتوقف طويلاً فى مذكراته الأخيرة عند موضوع دخول السينما ليلة الثورة على النقيض مما كتبه فيما سبق . فقد كان عبد الناصر ما يزال آنذاك على قيد الحياة (وهنا أيضا وساعة كتاب هذه السطور كان السادات قد رحل) وهو الذى كان يعرف بالتأكيد السبب الذى جعل السادات يعزف عن الاتصال به فور وصوله من العريش .. بيد أن السادات لم يشر فى أى من كتبه إلى تلك الواقعة التى حدثت بالسينما يومذاك . ولم يتضح ذلك إلا من المواد التى ضمنها الكاتب المصرى غالى شكرى كتابه « الثورة المضادة » الذى صدر فى بيروت . لقد اتضح فيما بعد ومن سجلات قسم البوليس التابعة له دار سينما « المنيل » أن السادات افتعل شجارا مع جاره أثناء العرض متهما إياه بمعاكسة زوجته . حين وصل جنود البوليس أصر السادات على تحرير محضر يتضمن أسماءهم وأسماء الشهود . فلقد كان يأمل الاستفادة من هذا المحضر فى حالة فشل الثورة مؤكداً عدم اشتراكه فيها .. وقد علم

مقدمة بقلم
الرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام أنور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءنى الرد المنطقى فوراً انه مضمونه المتحلى بسلامة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة فى سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى ارى فيه المؤلف قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها فى صورة واحدة ، ابرزت من مجموعها حقائق واسانيد تتيح لنا دراسة احوال مصر المعاصرة عن كثب.

ان شخصية أنور السادات ، لجديرة بالاعجاب ، خليقة بالاطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة ، وشجاعته ، ورباطة جاشه ، واخلاصه وتفانيه فى خدمة المثل العليا ، الى جانب قوة ارادته ، وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه ، وميله الغريزى للعدالة والانصاف ، كل هذه الصفات جعلته اهلا للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والسير بها قدما فى سبيل النجاح .

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا فى جميع أدوار حياته كما احسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن فى شهر نوفمبر عام ١٠ بأمر العدو المستعمر ، ثم

مقدمة
للرئيس جمال عبد الناصر

فرغت من تصفح كتاب القائمقام أنور السادات ، وساءلت نفسى عما دفعنى لهذا الاعجاب به ، فجاءني الرد المنطقي فوراً ، انه مضمونه المتحل بسلامة الاسلوب ، وقوة التعبير ، وطابع البساطة في سرد الحوادث ، وعرض المواقف ، فى الوقت الذى أرى فيه الكاتب قد تجنب الحديث عن نفسه . فنجده لم يعمد لكتابة قصة حياته ، ولم يقم بتحقيقات صحفية كبرى ، بل قدم لنا سلسلة رائعة متصلة من المشاهدات التى مرت تحت بصره وسمعه ، فجاء كتابه مجموعة لصور حية ، جمعتها ريشة رسام ماهر ، وصورتها في صورة واحدة ، أبرزت من مجموعها حقائق وأسانيد ، تتيح لنا دراسة أحوال العصر المعاصر عن كثب.

لقد استخدم أنور السادات هذه السجايا في جميع ادوار حياته ، كما أحسن استخدامها فى خدمة القضية الوطنية ، فنجده قد سجن في شهر نوفمبر عام ١٩٤٢ بأمر العدو المستعمر ، ثم أعيد اعتقاله عام ١٩٤٤ لنشاطه الوطنى ، ولكم تحمل من ألوان الحرمان والتعذيب ، فلم تهن عزيمته ، ولم تتزعزع عقيدته ، ولا ولم يفت ذلك فى عضده ، بل ازداد رسوخاً وايماناً ، ولا غرو ، فعلى قدر أهل العزم تؤتي العزائم ، فكان له من سنوات سجنه الطويلة فرصة للتفكير ، والتفكير ملياً ،

— ٨ —

كتب عبد الناصر هذه السطور عن السادات عام ١٩٥٤ ، وعندما أعيد طبع الكتاب عام ١٩٥٧ (عن دار الهلال) اختفت هذه السطور من المقدمة ؟!

قادة الثورة المصرية بكل ذلك فيما بعد « ص ٦٥ » .

وهنا أتساءل : لماذا خلت الترجمة الأولى (١٩٧٧) من حكاية المشاجرة ومحضر البوليس ؟!! بينما ركزت الترجمة الثانية (١٩٨٢) عليها .. وهل بالفعل تضمن النص الروسى للكتاب هذه الوقائع أم أنها اجتهاد المترجم ؟!

للأسف الشديد أن أحد الذين أشاروا إلى هذه الواقعة لم يكلف خاطره أن يقدم لنا بالدليل القاطع والبرهان القوى ما يؤكد ما يقول ، ولا نعرف ما دليل غالى شكرى المادى فى هذه الواقعة !! ونلاحظ أن هيكلاً عندما تعرض للواقعة سبقها بقوله « وهناك من يدعون » . أما من هم « هؤلاء » الذين يدعون فلا أحد يعرف !

لقد اعتمدت الترجمة الجديدة لكتاب « أجاريبشيف » فى واقعة ذهاب السادات إلى السينما ثم افتعاله للمشاجرة إلى ما كتبه د . غالى شكرى فى كتابه « الثورة المضادة » ..

ولكن ماذا كتب د . غالى شكرى بالضبط ؟!

وما دليله المادى على ما ذكره ؟!

وفى أية ظروف روى غالى شكرى مارواه ؟

لقد صدرت الطبعة العربية الأولى من كتاب غالى شكرى الثورة المضادة فى مصر « عام ١٩٧٨ . وفى ذلك التاريخ كان غالى شكرى ـ ضمن عشرات المثقفين والكتاب . قد حدث الطلاق بينهم وبين السادات وسياساته واختاروا عواصم لندن وباريس مقراً لهم ، ومن هناك قاوموا السادات وكافة توجهاته !

ضمن هذا السياق كله كتب غالى شكرى الثورة المضادة فى مصر « والذى صدرت طبعته الثالثة عام ١٩٨٧ ضمن سلسلة كتاب الأهالى (سبتمبر ١٩٨٧) الذى يصدر عن جريدة الأهالى (لسان حال حزب التجمع) .

يقول د . غالى شكرى « ص ٣٠ » وتحت عنوان فى البدء كان الانقلاب (والمقصود بالانقلاب هنا ٢٣ يوليو) مايلى :

تأخر الرئيس السادات فى حياته مرتين وكلتاهما كان ينتهى بصفحة جديدة كليا فى تاريخه السياسى . هى صفحة « سعيدة » فى تاريخ عمره الملىء بالتناقضات والاتساق معاً . وهو فى جميع الأحوال غير الكتاب الذى أصدره مؤخراً (ربيع ١٩٧٨ بعنوان : البحث عن الذات ، قصة حياتى) .

ثم يشرح غالى شكرى مغزى كلماته السابقة على النحو التالى :

« أما المرة الأولى التى تأخر فيها البكباشى أنور السادات فهى ليلة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، فقد تأخر عن ساعة الصفر التى حددها له جمال عبد الناصر فى بطاقة تركها له فى منزله قبل ساعات من قيام الانقلاب .. كان السادات خلالها يشاهد مع أسرته فيلما سينمائياً فى دار عرض قريبة من بيته ، وهو لم يمنح أحداً فرصة الهمس بهذه الواقعة بل وضع لها حداً حين اعترف بها مراراً فى ذكرياته الإذاعية والصحفية والتليفزيونية ولكن هذا « التأخير » كما يضيف البعض كان متعمداً ، ويؤكدون هذا الرأى بواقعة أخرى متممة لمشاهدة السينما ، لم يحدث أن ذكرها أبداً ، وبالتالى فتصديقها أو تكذيبها متروك له شخصياً أو مؤرخيه من بعده !!

تقول الواقعة إن أسرة « الضابط الأسمر » افتعلت شجاراً بعد نهاية العرض مع آخرين وسيقوا جميعاً إلى قسم الشرطة حيث سجل المحضر مثول أنور السادات وتوقيعه به منتصف ليلة ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٥٢ ، والمقصود من الحكاية بشقيها . الذى يعترف به صاحبه والذى لم يذكره ، أنه قد أراد فى حالة فشل الانقلاب أن يثبت بعده عنه . ولكن مناقشة « النوايا » مالم تكن موثقة لا موثوقة فحسب ، تحرف أى تحليل عن الموضوعية .

والمهم أن « البكباشى » أنور السادات قد توجه بعدئذ إلى مكان قريب من قيادة الأركان وكان فجر ٢٣ يوليو تموز قد أوشك ، فكلفه عبد الناصر بمهمتين :

الأولى هى التوجه إلى السنترال المركزى لقطع خطوط التليفون من الكابل الرئيسى عن بعض الشخصيات ، ثم أعطاه بيانا مكتوباً لإذاعته من راديو القاهرة ، وهكذا أتيح لمن تأخر عن « ساعة الصفر » أن يكون صاحب « الصوت الأول » للانقلاب فى آذان العالم .

الفصل الثالث

السادات وقصة البيان الأول للثورة !

■ لسنوات طويلة بات مؤكداً فى يقين الناس أن أنور السادات كان أول من أذاع بصوته « المميز » البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو ، وطوال فترة حكم الرئيس السادات (١١ سنة) كانت الإذاعة والتليفزيون حريصتين على تذكير الناس بهذه الواقعة بإذاعة تسجيل صوتى للسادات وهو يتلو كلمات وسطور البيان رقم « ١ » فى حياة الثورة !

وصباح يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يلتفت الناس كثيراً للأصوات العديدة التى أذاعت البيان .

كان السادات أحد هذه الأصوات !! ولم يكن الصوت الوحيد الذى انفرد بإذاعة البيان !!

فى ذلك الصباح المثير من عمر مصر .. سمع الناس البيان بأصوات : جلال معوض وصلاح زكى واليوزباشى محيى الدين خلف الله ولكن ظل « السادات » وحده هو الصوت الأكثر شهرة لدى الناس ولأسباب عديدة ربما كان أهمها على الإطلاق أنه أصبح يحكم مصر ابتداء من عصر يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ حتى حادث المنصة ظهر ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

وبعدها ظهرت عشرات القصص والحكايات التى تفسر ـ بأثر رجعى السر وراء اختيار السادات لإلقاء البيان !

وكما اختلف ثوار يوليو فى واقعة اختيار السادات لهذه المهمة ، اختلفوا أكثر حول من كتب البيان نفسه وظروف كتابته !! وامتد الخلاف ليشمل تفاصيل ما جرى داخل مبنى الإذاعة نفسها فى اللحظات التى سبقت ـ وأعقبت ـ إذاعة البيان !

والآن ندخل فى الموضوع مباشرة ونحاول فك الطلاسم التى تحوطه

□□

يقول محمد نجيب إن جمال عبد الناصر أخبره صباح ٢٢ يوليو بأن كله تمام .. وأنا أرسلت أستدعى أنور السادات من العريش ليستولى ـ بصفته ضابط إشارة ـ على الإذاعة والتليفونات !! « ص ١١١ » .

ونحن نعرف الآن أن السادات ذهب ليلتها إلى السينما مع زوجته وعندما عاد وجد بطاقة من عبد الناصر . وبمجرد قراءتها اتجه من فوره إلى مبنى رئاسة الجيش . ويصف لنا السادات ما جرى بعدها قائلاً :

ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى هرعت إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة ليشاركنى الناس ما أنا فيه من سعادة !! « البحث عن الذات ص ١٤٢ » . وعلى كثرة كتابات السادات فإنه لم يشر بحرف واحد عن ظروف كتابة هذا البيان .

أما فى المذكرات التى أصدرها عبد اللطيف البغدادى عام ١٩٧٧ ـ وكان السادات يحكم مصر ـ فيقول لنا : كان من ضمن تفصيلات الخطة الاستيلاء على محطة الإذاعة ومخاطبة الشعب منها وإلقاء بيان عليه بقيام الانقلاب والمبررات التى دفعتنا للقيام بهذا الانقلاب !!

وحدد موعد إلقاء هذا البيان الساعة السابعة صباحاً من يوم ٢٣ يوليو فى الخطة . وقد قام أنور بإلقاء هذا البيان باسم اللواء أ . ح . محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة . والبيان نفسه لم يعد إلا بعد أن استولينا على القيادة العسكرية . وبعد أن حضر محمد نجيب إليها وانضم إلينا (ولم يقل لنا البغدادى من كتب البيان) ، واختير أنور لإلقاء هذا البيان لعدم انشغاله بوحدات عسكرية خاضعة لقيادته !! « ص ٥٦ » .

ولكن بعد عشر سنوات تقريباً على صدور المذكرات عاد البغدادى ليقول : أما عن فشل شبكة التليفونات فكانت تقع مسئولياتها على عاتق أنور السادات أثناء المرحلة الأولى من الخطة (ثوار يوليو يتحدثون ص ٨٤) .

ويبدو أن هذه الواقعة لم تلفت نظر الدكتور ثروت عكاشة .. وعلى دقة التفصيلات التى ذكرها لنا فى مذكراته فلا نكاد نقرأ شيئاً بالمرة عن واقعة إلقاء السادات لبيان الثورة ولماذا ؟ ومن كتبه ؟

وكل ما نجده فى المذكرات « ١٢٠٠ صفحة » السطور القليلة التالية :

وفى الثالثة صباحاً صحب الملازم أحمد على المصرى ومعه فصيلة من السيارات المدرعة اليوزباشى جمال القاضى على رأس سرية من كتيبة المشاة الثالثة عشرة إلى مقر الإذاعة . واستطاع بالذكاء والحيلة أن يجلى قوات الشرطة عن مبنى الإذاعة إلى أن أذيع بيان الحركة فى (السابعة والدقيقة الخامسة عشرة) على لسان البكباشى أنور السادات ـ فيما أذكر ـ عقب تلاوة القرآن الكريم « ص ١٠٠ » .

فى ذكرى العيد الأول للثورة أصدرت جريدة الأهرام « كان رئيسا تحريرها أحمد الصاوى محمد وعزيز ميرزا » عدداً خاصاً فى ٢٤ صفحة (١٥ مليماً) نقرأ فيه أكثر من مقال هام يكشف عن بعض أسرار ليلة ٢٣ يوليو ، كانت إحدى هذه المقالات بعنوان « مغامرات مجدى حسنين ليلة الثورة » ونقرأ فيها ما يلى :

كان « البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر والصاغ ـ اللواء الآن ـ أركان حرب عبد الحكيم عامر قد كلفاه باحتلال محطة الإذاعة بأبى زعبل وتأمين سلاح الحدود بالجبل الأصفر فأسرع إلى هناك على رأس قوة من الدبابات . ووضع الصاغ مجدى حسنين فوهة مسدسه فى أذن مهندس محطة توليد الكهرباء للإذاعة وهدده بإطلاق النار عليه إذا لم يعد التيار الكهربائى فوراً لتشغيل محطة الإذاعة وكان الموعد المحدد لإلقاء بيان قائد الثورة اللواء أركان حرب محمد نجيب قد اقترب !! وأعطى مجدى حسنين لموظفى محطة توليد الكهرباء مهلة عشر دقائق يعود فى خلالها العمل سيرته الأولى وإلا فإنه يقتلهم جميعاً رمياً بالرصاص » « ص ١٥ » .

ولكن مجدى حسنين يعود ويقول « لأحمد حمروش فى كتابه شهود ثورة يوليو » وكان فريد زعلوك (وزير التجارة والصناعة فى وزارة أحمد نجيب الهلالى الأخيرة » هو الذى أعطى الأوامر لمهندس محطة الكهرباء بقطع التيار .. وخلال هذه العملية السريعة أمكن

إعادة الإرسال إلى طبيعته ، ولكننى لم أسمع البيان الأول الذى قرأه أنور السادات ، حيث كنت أحاول تأمين المحطة تأميناً كاملاً » . « ص ٣٦١ » .

أما صلاح نصر فيكشف عن مفاجأة لم تكن فى الحسبان عندما يقول فى مذكراته : كان اليوزباشى جمال القاضى قد وصل إلى مبنى الإذاعة واستطاع أن يستولى عليها بسهولة ويسيطر عليها ، ولقد صدر أول بيان للثورة باسم قائد حركة الجيش يعلن عن حدث جديد ، وقد كلف عبدُ الناصر أنورَ السادات بتلاوة هذا البيان من الإذاعة !! « المصور ٣ يناير ١٩٨٦ » .

أما خالد محيى الدين : « رئيس حزب التجمع الآن وعضو مجلس قيادة الثورة سابقا » فيرى أن السادات لم يكن له دور كبير فى الثورة غير أنه أعلن بيان الثورة لأن إلقاءه ولغته العربية كانا جيدين !!

ولكن كمال الدين حسين « عضو مجلس قيادة الثورة » يؤكد أن السادات جاء متأخرا بعد أن تم كل شىء فلم يجد له عملاً ، وهكذا أسندت إليه مهمة إلقاء البيان الأول للثورة !

□□

ونصل لشهادة محمد نجيب حول « بيان الثورة الأول » فهذا البيان وما تضمنه من أفكار وآراء إنما حمل اسمه للناس فى نهاية الأمر بوصفه قائد الحركة ، والمتحدث الرسمى بلسانها !!

يقول نجيب : كان علينا قبل أى شىء آخر أن نعد البيان الأول ونجهزه قبل أن تفتح الإذاعة إرسالها ، كنا نريد صياغة بيان موجز ومؤثر فى وقت قصير جداً . ووقعت البيان بعد أن قام بتبييضه الصاغ جمال حماد ، وأرسل على وجه السرعة مع مخصوص إلى دار الإذاعة ، الذى دخل به إلى المذيع ، الذى كان يستعد لقراءة النشرة فإذاعه دون اعتراض وإن كان قد ترك الضابط يقرأه بنفسه !

لكن عندما سمعت البيان بصوت ذلك الضابط لم يعجبنى ، فقد كان يتعثر فى النطق وكان مرتبكاً ومهزوزاً .. ونظرت إلى بغدادى أو السادات وطلبت أن يتولى أحدهما مهمة إعادة البيان بطريقة أفضل ، فتحمس « السادات » وانطلق إلى مبنى الإذاعة ، وبعد نصف ساعة كان البيان يذاع بصوته المعبر » ص ١١٨ .

ولا نفهم مما رواه محمد نجيب مَنْ الذى قام بكتابة البيان ؟! ولكنه يشير إلى أن « جمال حماد » الذى أعاد « تبييض » البيان ثم قام نجيب بالموافقة عليه . ولابد من العودة إلى شهادة الصاغ جمال حماد « وفوق أنه من الضباط الأحرار فهو كاتب وأديب ومؤرخ أيضاً » ، ولعل من أشهر كتبه « ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر » الصادر فى أبريل ١٩٨٢ .

يقول جمال حماد : فى حوالى الرابعة صباحاً كان مكتب اللواء محمد نجيب بمبنى رئاسة الجيش الذى تم الاستيلاء عليه أشبه بخلية النحل . وفى هذا الجو المليء بالضجيج

انسحب ضابطان من وسط المجموعة التى كانت فى مكتب محمد نجيب ، هما « عبد الحكيم عامر » و« جمال حماد » ودخلا غرفة المؤتمرات التى كانت تواجه مباشرة مكتب اللواء محمد نجيب وأغلقا باب الغرفة عليهما من الداخل وجلسا على مقعدين متجاورين على مائدة المؤتمرات الخشبية الفخمة يلتقطان أنفاسهما ويستعيدان الهدوء الذى افتقداه خلال وجودهما بمكتب اللواء محمد نجيب . وكان الغرض من هذه الجلسة المغلقة هو كتابة « البيان الأول للثورة » الذى سيوجه من اللواء محمد نجيب إلى الشعب المصرى من دار الإذاعة فى السابعة صباحاً .

واتفق الزميلان (أى عبد الحكيم عامر وجمال حماد) على النقاط الأساسية التى ينبغى أن يضمها البيان ودوناها فى ورقة صغيرة ثم لم يلبث عبد الحكيم أن ترك زميله وحده بالغرفة ليتيح له فرصة صياغة البيان الأول للثورة فى هدوء !! وعكف جمال حماد على صياغة البيان وفقاً للنقاط التى تم الاتفاق عليها مع عبد الحكيم وبعد عدة مسودات استقر رأيه على الصيغة النهائية التى كتبها على ورقة فولسكاب بيضاء بقلمه الحبر ، ولم يستغرق ذلك أكثر من نصف ساعة عاد بعدها عبد الحكيم إلى الغرفة حيث قرأ البيان فى اهتمام وأبدى رضاءه التام . وعندما عرض البيان على اللواء محمد نجيب وأفق على الصيغة ولكنه رأى إضافة بعض الكلمات إلى البيان فأخرج قلمه وكتب هذه الكلمات حشراً بين السطور المكتوبة ثم وقع البيان بإمضائه . وانحصر التعديل فى عبارة واحدة كانت فى الأصل « وإنى أوكد أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجرداً من أية غاية » فأصبحت بعد التعديل « وإنى أوكد (للشعب المصرى) أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن (فى ظل الدستور) مجرداً من أية غاية » .

والمفاجأة الهامة فى شهادة جمال حماد تكمن فى باقى سطور روايته إذ يقول :

وكان المتفق عليه بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر أن يتولى جمال حماد إذاعة البيان بنفسه باعتباره كاتبه ولثقتهما التامة فى إجادته النطق السليم باللغة العربية بصفته أديبا وشاعراً ، وأخبره عبد الحكيم أن سيارة ستكون فى انتظاره الساعة السادسة صباحاً لنقله إلى دار الإذاعة ، ولكن الظروف تدخلت لتغيير الأمر الذى كان متفقا عليه ؛ فقد طلب « زكريا محيى الدين » من جمال حماد أن يكون متأهباً فى أية لحظة للتحرك إلى معسكر اللواء السابع المشاة بالعباسية ، إذ أن نجيب الهلالى خلال اتصالاته التليفونية من الأسكندرية حذر من الأنباء التى وصلته عن تحركات تقوم بها القوات البريطانية على طريق السويس فى اتجاه القاهرة ! ولما أبلغه جمال حماد بأنه قد عين لإذاعة البيان من دار الإذاعة رفض ذلك بشدة وأخبر زميله بأنه سيتفق مع عبد الناصر لتكليف ضابط آخر للقيام بمهمة إذاعة البيان .. وبعد قليل تسلم أنور السادات البيان لإذاعته ..» « ص ٢٧٢ » .

□□

منذ ستة أعوام وبالتحديد فى ٢٣ يوليو ١٩٨٢ ، صدر كتاب على درجة كبيرة من الأهمية

ولم يلتفت إليه أحد . الكتاب هو « ليلة ٢٣ يوليو » (٤٣٠ صفحة) من تأليف المؤرخ أحمد عطية الله (مواليد ١٩٠٦) وكان أيامها يعمل مديراً لمتحف التعليم بوزارة المعارف . وبعد أيام من الثورة زاره أحد الضباط وعرض عليه التعاون بقلمه وخبرته مع الحركة . وتعرف على القائمين بشئون الإعلام الصحفى . وجيه أباظة للصحافة العربية ، ورياض سامى للصحافة الأجنبية ، وما لبثت أن كلفته الثورة بمهمة تحرير وإعداد المطبوعات التى كانت تستهدف إعداد الرأى العام لتشريع جديد مثل تحديد الملكية الزراعية الذى صدر فى ٧ سبتمبر ١٩٥٢ ، وكان يتسلم نفقات هذه المطبوعات من مصطفى بهجت بدوى (رئيس مجلس إدارة دار التحرير والكاتب فى الأهرام الآن) .

إن أخطر ما قام به « أحمد عطية الله » هو تدوينه لذكريات وحكايات معظم الذين اشتركوا فى الثورة إلى أن طلبه عبد الناصر ذات يوم ، فذهب للقيادة بصحبة « محمد أبو الفضل الجيزاوى » وهناك قابله مدير مكتب عبد الناصر « أمين شاكر » الذى تسلم منه المذكرات ولم يعرف عنها شيئاً بعد ذلك !! ولكنه يقترح على عبد الناصر مشروع إقامة دار لوثائق الثورة تشمل الأشرطة الصوتية والأفلام التسجيلية والصور الفوتوغرافية الخ . وسمح له عبد الناصر باستخدام غرفة أرضية كانت مخصصة للشرطة العسكرية !! ولكن فى مناسبة مرور عام على الحركة قام محمد نجيب وأعضاء مجلس قيادة الثورة بافتتاح متحف الثورة بمبنى السراى الصغرى بالجزيرة الذى أقامه أحمد عطية الله بالفعل ، وضم مجموعة من الوثائق الهامة مثل وثيقة تنازل الملك ، ومجموعة منشورات الضباط الأحرار ، وكانت محفوظة لدى المخابرات العسكرية قبل قيام الحركة (نصوص كلماته) بطاقات تشتمل على خطة التحرك ليلة ٢٣ يوليو ، قرار مجلس قيادة الثورة بإعلان سقوط الملكية . المرسوم الجمهوى رقم واحد بترقية الصاغ عبد الحكيم عامر إلى رتبة اللواء وتعيينه قائداً عاماً للجيش .. وأما المهم فى كل هذه الوثائق فهو بيان الثورة الأول بخط عبد الحكيم عامر وتوقيع محمد نجيب وصدر بتاريخ ٢٣ يوليو !

والمؤلف يعترف أن كل هذه الوثائق أصدرها فى كتابه باسم « حقائق ووثائق عن ثورة مصر » تولت إدارة الشئون العامة للقوات المسلحة نشره ، والأهم أنه سلم الأوراق والوثائق بعد ذلك إلى « على صبرى » المدير الفنى لرئيس الوزراء (وقتها) جمال عبد الناصر !! ولم يقل لنا المؤلف مصير هذه الوثائق بعد ذلك وأين استقرت !!

على أية حال نصل مع المؤلف إلى حكاية البيان الأول ، فيروى لنا « ص ٢١٨ » قائلاً : « كانت صياغة البيان التى تقررت إذاعتها مع ضوء الصباح المهمة التى شغلت نجيب وزملاءه .. جلس نجيب على مكتب رئيس الأركان ، وقيل إنه اكتشف فى الدرج قائمة بأسماء الضباط الأحرار الذين كانوا قد تقرر اعتقالهم فى نفس اليوم ، وجلس الحاضرون حول مائدة الاجتماع المقابلة ودار النقاش حول صيغة البيان .

وانتهى المجتمعون إلى الصيغة الآتية للبيان (انظر صورة البيان المنشورة) وقام

الصاغ عبد الحكيم عامر بتبييضه واللواء نجيب بتوقيعه ، وفيه اتخذ لنفسه ولأول مرة لقب القائد العام للقوات المسلحة مع أن هذا اللقب كان ينبغى أن يسبقه اجتماع لقادة الحركة يعلنون فيه تنحية حيدر باشا وانتخاب نجيب خلفاً له » !

وفى السطر التالى مباشرة يقول المؤلف أحمد عطية الله : وفى رواية أخرى يذكر الصاغ جمال حماد أن البيان كتب بخط يده مع تنقيح للواء نجيب ومازال يحتفظ بالصورة الأصلية له « ص ٢١٩ » .

□□

ولكن صلاح الشاهد « كبير الأمناء » يؤكد أن « صباح الأربعاء ٢٣ يوليو [تموز] قصد بالبكباشى أنور السادات إلى الإذاعة وتوجه إلى غرفة المذيع ليعلن بيان الثورة الأول وامتنع المذيع عن السماح للسادات بإذاعة البيان إلا بعد موافقة الرقيب العام الأستاذ أنور حبيب [الذى كان ممثل النيابة فى قضية اغتيال أمين عثمان المتهم فيها السادات عام ١٩٤٦ ثم رئيس ديوان المظالم والمدعى الاشتراكى أثناء حكم السادات] واتصل البكباشى السادات بالأستاذ أنور تليفونيا فوافق على إذاعة البيان على مسئوليته الخاصة ، وحمل الأثير صوت السادات يعلن انتهاء عهد وبدء عهد !!

يكمل الصورة أنور حبيب نفسه إذ يقول : فى فجر ٢٣ يوليو (تموز) كنت رقيبا عاماً ، دق جرس التليفون ، ورفعت السماعة لأسمع صوت الرقيب الأستاذ « كمال كيره » ومعه الأخ المذيع « فهمى عمر » [رئيس الإذاعة المصرية السابق] ليقولا لى إن البكباشى « أنور السادات » يريد محادثتى ، وتبادلنا التحية وقال لى : [يقصد السادات] إن القوات المسلحة قامت بحركة وثورة لتصحيح الأوضاع وإن الإذاعة تريد موافقتى على إذاعة بيان الثورة ، فلم أتردد لحظة ، وقلت للبطل : إنى موافق على إذاعة البيان على مسئوليتى ، وحذرته من محاولة قطع الإذاعة عند منطقة أبى زعبل ، وتلى القرآن الكريم وتردد بعد ذلك فى أرجاء مصر والعالم صوت السادات يذيع بيان الثورة !!

أنظر المقال كاملاً وعنوانه « أنور السادات المناضل السياسى » ضمن مقالات كتاب تذكارى صدر عام ١٩٧٧ بعنوان السادات من القرية إلى الثورة ص « ٨٠ » .

□□

ولكن ماذا جرى داخل الإذاعة نفسها صباح ٢٣ يوليو ؟!

كانت الإذاعة تبدأ إرسالها فى تمام الساعة السادسة والنصف وكان برنامج الإذاعة لهذا اليوم على النحو التالى : (٦,٣٠ موسيقى ٦,٣٥ تمرينات رياضية ٦,٤٥ قرآن كريم من الشيخ محمد مصطفى الشرقاوى ٧,١٥ حديث دينى للشيخ شلتوت ثم موسيقى وفى السابعة والنصف إعادة إذاعة مراسيم تأليف الوزارة التى كانت قد تشكلت قبل ٢٤ ساعة ثم نشرة الأخبار .

فى السادسة والربع وصل السادات إلى الإذاعة حاملاً البيان . وبعد ذلك وصل مذيع الفترة الصباحية فهمى عمر (رئيس الإذاعة السابق) فماذا جرى خلال تلك اللحظات ؟!

ينسب المؤرخ أحمد عطية الله لفهمى عمر أنه قال له بالحرف :

عندما دخلت شارع الشريفين استرعى نظرى كردون للجنود حول الإذاعة يتألف من نحو ٢٠ ـ ٢٥ عسكرى وعربة مصفحة . وعند دخولى شارع علوى حيث الاستديوهات تعرض لى ضابط برتبة ملازم ثان ومنعنى من المرور ثم أخذنى الضابط بعد أن تعرف على شخصى إلى مدخل الإذاعة قائلاً : ستعرف كل حاجة !!

عند وصولى إلى صالة المذيعين والزوار وجدت مجموعة من الضباط وعلى كرسى وجدت شخصاً عرفت فيه أنور السادات من قضية أمين عثمان !! ومعه ٣ ضباط وبعد تبادل التحية قال : متأسفين .. برنامجك سيدخل عليه بعض التعديلات !! والساعة الآن ٦,٢٠ ولم يتصل بى أحد ، قلت له : مؤكد أنت البكباشى أنور السادات ؟ قال نعم ! قلت الساعة ٦,٣٠ نبدأ بمارش عسكرى ، قال لا مانع يذاع البيان بعد المارش ! ودخلت الاستديو معه !

ويحكى فهمى عمر كيف انقطع الإرسال ؛ فقام السادات لإجراء بعض المكالمات التليفونية وبعد ذلك قام فهمى عمر بتقديم تمرينات الصباح الرياضية ثم القرآن وأثناء ذلك اتصل به كبير المذيعين حسنى الحديدى وقال له خليك حذر وإلا فإن الملك سيذبحك !! كل ذلك والإرسال مقطوع وقبل نهاية القرآن بثلاث دقائق عاد الإرسال ثانية (ويقول فهمى عمر) فقال لى الضابط ـ يقصد السادات ـ سأقول البيان عقب كلمة صدق الله العظيم قلت له : هناك حديث تفسير ! قال : كفاية الأحاديث التى خربت الناس .. أنا سأقول البيان بعد القرآن على طول !!» .

وقبل قول المقرىء صدق الله العظيم أخبرنى مهندس المراقبة ـ الكلام لا يزال على لسان فهمى عمر ـ إن الإرسال قطع ثانية ولكن هذه المرة من مصلحة التليفونات . أخبرت الضابط بذلك ، أحسست أنه « انخض » وقام وأجرى اتصالات تليفونية وعاد الإرسال فى الساعة ٧,٢٧ أى قبل نشرة الأخبار بثلاث دقائق !!

« ولننتبه معا للكلمات التالية على لسان فهمى عمر « ص ٣٢١ » فبعد أن دقت الساعة ٧,٣٠ بدأ فهمى عمر يتكلم : « أعلنت ساعة جامعة فؤاد الأول السابعة والنصف .. وهذه أولى نشرات الأخبار ونستهلها ببيان من القائد العام للقوات المسلحة » وبدأ الضابط إلقاء البيان ومشى ـ أى السادات ـ ثم دخل على الاستديو أكثر من ضابط ، كل يقدم البيان حتى ٨,٠٥ وهو موعد الفترة الصباحية لتعود الإذاعة الساعة ١٠ لفترة الضحى .

□□

ويؤكد فهمى عمر فى روايته : لم يسجل البيان إلا فى فترة الضحى ، سجله أحد الضباط على الهواء مباشرة وجاء بلغة عربية مكسرة وأذيع طوال اليوم . وفى المساء سجل بصوت

المذيع جلال معوض . وفى يناير ١٩٥٣ سجل بصوت السادات عندما كانت الإذاعة تعد برنامجا بمرور ٦ أشهر على حركة الجيش فذهبت وحدة إذاعة وسجلت البيان .. » ص ٣٢٢ » .

ونعود لرواية جمال حماد كما سجلها فى كتابه الهام « ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر » حيث يقول « ص ٢٧٤ » وعلى إثر مغادرة السادات دار الإذاعة بعد إلقائه البيان الأول (استغرقت تلاوته دقيقتين ونصفا) كثرت الاتصالات مع الإذاعة لإعادة إذاعة البيان نظراً لأن فئات عديدة من الشعب لم تتح لها فرصة الاستماع إليه . وعندما استأنفت الإذاعة إرسالها فى فترة الضحى والتى تبدأ فى العاشرة صباحا وتنتهى فى الحادية عشرة والنصف كان المهندس أحمد عواد المختص بالتسجيل قد وصل وطلب المذيعون من أحد الضباط القائمين بالحراسة إلقاء البيان بصوته ليسمعه الذين فاتهم الاستماع إليه فى الفترة الصباحية ، وتقدم الرائد محيى الدين عبد الرحمن حيث ألقى البيان على الهواء مباشرة فى العاشرة صباحاً وتمكن المهندس عواد من تسجيله وبدأت المحطة تذيعه على فترات ، ولكن قراءة الرائد محيي الدين كانت مليئة بالأخطاء اللغوية إلى الحد الذى أثار ثائرة الكثيرين وجعلهم يتصلون بالقيادة لتدارك الموقف ، وبالفعل تم اتصال الرائد جمال حماد بالرائد محيي الدين عبد الرحمن بالإذاعة وطلب منه وقف تلاوة البيان بصوته فوراً وتكليف واحد من المذيعين بتلاوة البيان بطريقة صحيحة . وكان أول مذيع يقرأ البيان بصوته هو المذيع صلاح زكى ، كما أذاعه المذيع جلال معوض بصوته فى نشرة أخبار الثامنة والنصف مساء.. ولم يسجل البيان بصوت السادات إلا خلال الاحتفال الذى أقيم بمناسبة مرور ستة أشهر على قيام الثورة أى فى ٢٣ يناير ١٩٥٣ « ص ٢٧٤ » .

ويلفت النظر ما كتبه محمد عبد السلام الزيات بعد ٣٥ عاماً من إلقاء السادات لبيانه ما قاله على صفحات الأهالى « ٩ سبتمبر ١٩٨٧ » :

دخلت على السادات مرة فى مكتبه بمجلس الأمة وكان ذلك بعد حرب ١٩٦٧ فوجدته مع مندوب للإذاعة يسجل بصوت جهورى ومنغم ، وبعد انتهاء التسجيل وانصراف المندوب قال لى : لقد أردت أن أبدل الشريط الموجود فى أرشيف الإذاعة بصوتى يوم إعلان نجاح الثورة صبيحة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لأن صوتى كان فى هذا اليوم خافتاً ومتردداً !!

ويختتم الزيات الملحوظة بقوله : والقصة لا تحتاج إلى تعليق !!

□□

وهكذا نرى أن الروايات لم تتفق بشأن واقعة بسيطة للغاية هى « إلقاء السادات للبيان الأول لثورة يوليو ومن الذى كتبه !! فأين الحقيقة يا ترى فى الأحداث الهامة .. البحث عن الحقيقة يستمر إلى الفصل التالى !!

اعترافــات شهــــود بيـــان ٢٣ يوليـــو !

تعرض الفصل السابق لمناقشة قصة البيان الأول لثورة ٢٣ يوليو .. من كتبه ؟!
هل كان عبد الحكيم عامر أم جمال حماد ؟!
وما ظروف وملابسات إذاعة البيان بصوت أنور السادات ؟!
والسطور التالية تتضمن ثلاثة ردود هامة :
الرد الأول : كتبه الأستاذ « جمال حماد » الكاتب المؤرخ وهو أيضا أحد أعضاء الضباط الأحرار !
والرد الثاني : كتبه لواء متقاعد « جمال القاضي » وهو أيضا أحد الضباط الأحرار !
والرد الثالث : للإذاعي الكبير « جلال معوض » .
إن أصحاب الردود الثلاثة كانوا في ذلك اليوم شهود عيان لكل ما جرى !
والآن نقرأ شهاداتهم :

● جمال حماد : كتبت البيان وليس عبد الحكيم عامر !

إن موضوع صياغة وإذاعة البيان الأول للثورة يعد أمراً منتهياً منذ بدأت لجنة التاريخ عملها في بداية عام ٧٧ فلقد استمعت اللجنة الفرعية التى كان يرأسها اللواء محمد حسن غنيم مدير هيئة البحوث العسكرية السابق إلى عدد كبير من ضباط ثورة يوليو مما أتاح للجنة فرصة معرفة معظم الحقائق التى كانت خافية عن ثورة ٢٣ يوليو .. وفي الندوة التاريخية عن الثورة التى أقيمت بالكلية الحربية في يوليو ٨١ ألقى العميد أ ح . مصطفى ماهر رئيس مركز التاريخ العسكرى بالقوات المسلحة وقتئذ وعضو اللجنة الفرعية بحثاً شاملاً عن « الجيش المصرى وثورة ٢٣ يوليو » تضمن كل الحقائق التى استخلصها من أقوال الشهود . وكان من ضمنها كيفية إعداد وصياغة البيان الأول للثورة والظروف التى أدت إلى أن يقوم المقدم أنور السادات بإذاعته رغم أنه كان من المقرر أن أتولى أنا هذه المهمة نظرا لأننى كاتب البيان .

وقد سبق لي إيضاح الحقائق التى وردت في بحث رئيس مركز التاريخ العسكرى المتعلقة بالبيان الأول في الصفحات من ٢٦٩ إلى ٢٧٥ في كتابى « ٢٢ يوليو أطول يوم في تاريخ مصر » الذى صدر عام ١٩٨٣ .

ويتضح من هذه الحقائق المسجلة أن دور الأخ عبد الحكيم عامر اقتصر على اشتراكه معى فى تحديد النقاط الأساسية التى ينبغى أن يتضمنها البيان الأول ولكنى أنا الذى قمت بمفردى بصياغة هذا البيان وكتابته بخط يدى . وبعد أن وافق عبد الحكيم على ما كتبته عرضناه معا على اللواء محمد نجيب الذى وافق على الصيغة ولكنه رأى إضافة بعض الكلمات إلى البيان فأخرج قلمه الحبر وحشرها بين السطور المكتوبة ثم وقع البيان بإمضائه .

إن البيان الذى نشرت صورته فى العدد الماضى من صباح الخير بخط المرحوم عبد الحكيم عامر يتضح من النظرة الأولى إليه أنه لا يمكن أن يكون البيان الأصلى للأسباب الآتية :

١ ـ لا يوجد أى عنوان للبيان مع أن الأمر الطبيعى أن يوجه البيان إلى الشعب المصرى كما هو مذكور فى البيان الذى كتب بمعرفتى .

٢ ـ إن الخط والتنسيق اللذين كتب بهما البيان قاطعا الدلالة على أنه مكتوب بعد مدة من قيام الثورة وفرق كبير بين تبييض البيان وبين صياغته .

٣ ـ التعديلات التى اعترف اللواء محمد نجيب أنه قام بحشرها بين سطور البيان بخطه لا وجود لها ، إذ أن البيان كله بخط عبد الحكيم عامر والتعديلات مكتوبة فى صلب البيان على خلاف الحقيقة ..

٤ ـ هل كان فى إمكان اللواء محمد نجيب أن يضيف إلى توقيعه لقب القائد العام للقوات المسلحة فى التوقيت الأصلى الذى كتب فيه البيان ؟

٥ ـ التاريخ المدون أسفل البيان يدل على أنه قد كتب بعد فترة وبعد اكتشاف أن البيان غير مؤرخ لأن الخط والحبر يختلفان عن البيان المكتوب ، كما أن عادة العسكريين قد جرت على كتابة التاريخ بمجرد التوقيع وفى أسفله مباشرة وليس إلى أقصى اليمين كما هو ظاهر فى البيان .

وقد كان تكليفى بصياغة البيان الأول للثورة أمراً طبيعياً بحكم أن عبد الناصر وباقى الزملاء كانوا على علم بأننى كاتب وأديب وقد صدرت لى مؤلفات قبل الثورة قرأها معظمهم وكان من الأهمية بمكان أن يصاغ البيان الأول الموجه إلى الشعب المصرى بلغة عربية رصينة وأن يكون خالياً من الأخطاء النحوية حتى تنال حركة الجيش احترام الشعب .. ومع احترامى للأخ عبد الحكيم عامر فإن الجميع يعرفون أن قدراته فى الكتابة لم تكن تسمح له بصياغة بيان بمثل هذا المستوى .

ويرجع الأمر فى حدوث مثل هذه البلبلة إلى اهتمام بعض أعضاء مجلس الثورة بعد نجاحها بتضخيم أدوارهم أو محاولتهم أن ينسبوا إلى أنفسهم أدوارا قام بها غيرهم منتهزين فرصة وجودهم فى السلطة وعدم مقدرة أحد على تكذيبهم أو الاعتراض عليهم . ولعل القراء يعجبون إذا علموا أن عبد الحكيم عامر لم يكن هو وحده الذى قام بعد فترة من

قيام الثورة بتبييض البيان الأول الأصلى بخط يده ؛ فقد قام بهذا العمل أيضا الرئيس الراحل السادات ؛ فقد نشرت صورة البيان بخط يد السادات فى الصفحة رقم ٥ من كتاب « هذه الثورة » الذى أصدرته جريدة الأهرام فى ٢٣ يوليو ٥٣ بمناسبة مرور عام على الثورة .. ورغم أن كلا من السادات وعامر قد بيض البيان الأول الأصلى ، وهو الأمر الذى يسترعى الالتفات أن أحداً منهما لم يدع فى أى موضع أو حديث عقب قيام الثورة أن البيان من صياغته .

ولعل أكبر دليل على محاولة بعض رجال الثورة تضخيم أو تحسين أدوارهم بعد نجاح الثورة هو ما ورد فى تحقيقكم بالعدد الماضى ؛ فلقد شهد الأستاذ فهمى عمر بأن تسجيل السادات للبيان بصوته لم يتم إلا بعد ستة أشهر من قيام الثورة ، ثم جاء السادات بعد أكثر من ١٥ عاماً ـ كما شهد الأستاذ عبد السلام الزيات ليسجل البيان مرة ثانية بصوت جهورى منغم كى يحفظ هكذا فى أرشيف الإذاعة وكى تسمعه الأجيال القادمة على أنه هو البيان الذى ألقاه السادات صباح ٢٣ يوليو ٥٢ دون إقامة أى وزن أو اعتبار لعامل الصدق أو الأمانة التاريخية .

جمال حماد « القاهرة فى ٣ أغسطس ١٩٨٨ .

● جمال القاضى : كلفت جلال معوض بالقاء بيان خروج الملك

قرأت ما ورد بمقالكم الأخير بمجلتكم الغراء صباح الخير والخاص بالاستيلاء على الإذاعة فجر يوم ٢٣ يوليو المجيد .. وأريد أن أوضح الآتى :

١ ـ كنت أنا قائد القوة التى احتلت الإذاعة صباح ٢٣ يوليو بناء على التكليف الذى ورد بأمر العمليات الذى قرىء علينا بواسطة السيد / زكريا محيى الدين وبحضور الرئيس جمال عبد الناصر والمشير / عبد الحكيم عامر رحمة الله عليهما فى منزل صلاح سعده بالمنيل فى هذا الوقت . وكان التكليف كالآتى : وبحضور صلاح نصر قائد ثان ك ١٣ وأحمد شوقى قائد الكتيبة .. مبنى الإذاعة / سرية من الكتيبة ١٣ وعربتان شياب هاوند مدرعتان بقيادة اليوزباشى جمال القاضى .

وقد استلمت العربتين من الصاغ ثروت عكاشة بقيادة الملازم أحمد المصرى والسرية من ك ١٣ بقيادة الملازم الشناوى رحمة الله عليه ولورى من سلاح خدمة الجيش من الصاغ حمزة البسيونى رحمه الله .

٢ ـ كنت مسئولا عن السيطرة على الإذاعة من ألف إلى الياء .. وقد وفقنا الله بالذكاء والحيلة كما قال السيد / ثروت عكاشة أن تتم العملية بنجاح ودون إطلاق طلقة واحدة بالرغم من أن الإذاعة كانت محروسة بقوات كبيرة من بلوكات نظام الأقاليم (الأمن المركزى الآن) .

٣ ـ التوقيتات فى مقالكم غير دقيقة وتصحيحها كالآتى من واقع مذكراتى .

بيان

من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى

اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم . وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين

وأما فترة ما بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب .

أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب . فى ظل الدستور

وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن مجردا من أية غاية وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر .

وإن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال . وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونا مع البوليس

وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولى التوفيق

لواء أ.ح

٢٣/٧/٥٢

• البيان صياغة وخط جمال حماد •

(أ) حضر فهمى عمر أول شخص للإذاعة وأحضره الكردون المحيط بها من الحرس لى أنا شخصيا فسألته عن هويته فأخبرنى أنه مذيع الفجر ، فسألته عن برنامجه فأخبرنى أنه ألعاب رياضية ثم قرآن كريم ثم بعد ذلك الأخبار ، فأمرته أن يذيع القرآن الكريم ثم مارشات عسكرية حتى يصل بيان هام سيذاع على الشعب ، وعندما سألنى عن السبب صارحته بأن هناك انقلابا .

(ب) حضر السيد / الرئيس أنور السادات بعد فهمى عمر بنصف ساعة تقريبا ومعه البيان وكانت الإذاعة معطلة وقت وصوله فجلس ينتظر استئناف الإرسال ، وقيل إن الذى أمر بقطع الإرسال هو على خليل مدير الإذاعة وقتها وقد قبض عليه صباح الثورة .

(جـ) البيان انا فى الحقيقة لم أر من الذى كتبه لنيابى عن القيادة وقت كتابته إذ كنت أقوم بعملى فى الإذاعة ولكن علمت بعد ذلك كما علم جميع الضباط الأحرار أن الذى كتب البيان هو الزميل العزيز جمال حماد ، ونقحه ووقعه الرئيس / محمد نجيب ثم كلف بإذاعته الرئيس أنور السادات لأنه كان مسئولا عن الاتصالات السلكية واللاسلكية بصفته كان ضابط إشارة . وكان الرئيس السادات هو أول من أذاع البيان بصوته ولكن لم يسجل فى حينه لغياب مسئولى التسجيل فى هذا الوقت الباكر .

البيان سجل فى نفس اليوم صباح ٢٣ يوليو فى الساعة العاشرة تقريبا بصوت الرئيس /

محمد نجيب عندما حضر لمبنى الإذاعة لزيارته فى جولته الصباحية التى حدثت فى مدينة القاهرة واستقبل فيها من الشعب استقبالا لم يكن له نظير .

(د) لم يكن المرحوم الصاغ محيى الدين عبد الرحمن خلف الله ضمن القوة المكلفة باحتلال الإذاعة ولكن حضر صباح يوم ٢٣ يوليو فى الفجر لتعزيز القوة التى كانت معى على رأس تروب دبابات شيرمان (ثلاث دبابات) وسرية أخرى من اللواء الثالث مشاه وقد أرسله عبد الحكيم عامر عندما علم بأن الإذاعة تحت حراسة مشددة من بلوكات نظام الأقاليم (الأمن المركزى الآن) وعندما تأخرت أنا فى إعطاء إشارة النجاح بتمام السيطرة على الإذاعة وقد كلفته أنا بإذاعة البيان بعد إذاعته بواسطة السيد / الرئيس السادات حتى لا أحرج المذيعين لأن الأمور لم تكن قد استقرت نهائيا ولم أكن أريد أن أحمل أحداً المسئولية فى أى شىء أو أعرض أحداً للمساءلة فى حالة الفشل والعياذ بالله ، وعندما وجدت أنه يلحن كثيرا فى الشكل كلفت أحمد المصرى بإذاعته فأذاعه مرة واحدة وكذا الشناوى مرة هو الآخر حتى سجل بصوت الرئيس / نجيب .

٤ ـ بخصوص الأخ العزيز والزميل الكريم مجدى حسنين فقد كان مكلفا بالاستيلاء على مبنى الإذاعة فى أبى زعبل لأنه كان ضابطاً بسلاح خدمة الجيش وكانت له قوات بالجبل الأصفر بجوار أبى زعبل ـ وقد حضر الأخ مجدى لمبنى الإذاعة فى الفجر وعندما أخبرناه بتعطلها غاب حوالى نصف ساعة ثم حضر مرة أخرى وقام ببعض الاتصالات التليفونية وانتظم بعد ذلك الإرسال .

٥ ـ الأخ جلال معوض هو الذى أذاع بيان تنحى الملك فاروق وتنازله عن العرش يوم ٢٦ يوليو الساعة ٦ مساء وقد سلمته البيان بيدى فى مكتبى بالإذاعة وكنت قد استلمته من الرئيس / عبد الناصر شخصيا صباح نفس اليوم الذى أمرنى ألا يعرف أحد كلمة منه ـ من البيان ـ قبل إذاعته فى تمام السادسة مساء .

● جلال معوض : اقترحت على السادات تسجيل البيان بصوته !

بعد أن قرأ الرئيس أنور السادات البيان بصوته غادر الاستوديوهات وتناوب بعض الضباط الذين كانوا مكلفين باحتلال مبنى الإذاعة بقراءة البيان طوال الفترة الصباحية للإرسال الإذاعى .

وأذكر على وجه التحديد أنه فى ظهر يوم الأربعاء ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عقد السيد « على خليل » وكيل الإذاعة فى ذلك الوقت اجتماعاً للمذيعين وربما كان أهم جملة قالها ومازلت أذكرها ـ وتلخص الموقف لحظتها ـ هى قوله :

ـ إننا بين سلطتين سلطة شرعية تملك ولا تحكم ، وسلطة غير شرعية تحكم ولا تملك !! وعلينا أن نمسك العصا من منتصفها .

وفى هذا اليوم ـ الأربعاء ٢٣ يوليو ـ كانت نوبة عملى تبدأ من الثامنة والنصف مساء . وتوجهت إلى استوديوهات مبنى ماركونى بشارع علوى وعندما رآنى الضباط المكلفون

باحتلال الإذاعة طلب منى أحدهم وهو اليوزباشى « جمال القاضى » أن أقوم بقراءة هذه البيانات الصادرة عن الحركة أو الثورة ، وكان عدد هذه البيانات حتى تلك اللحظة (الثامنة والنصف) ثلاثة بيانات ، وكان الأول منها هو الذى ألقاه السادات .

وأذكر جيداً أن جمال القاضى قال لى : أنا فاكرك كويس قوى لأنك كنت مع « أخويا » فاروق القاضى فى معتقل « الهايكستب » .

المهم أننى رحبت بقراءة البيانات ، وقد حذرنى زميلى « عزمى إبراهيم » مشرف غرفة المراقبة وقتها (ومدير عام التشغيل حاليا فى التليفزيون) بل أخذ يرجونى ألا أقرأ شيئاً بصوتى ، كما شاركه فى هذا الرجاء والتحذير زملاؤه المهندسون ، ولكنى كنت قد اتخذت قرارى بقراءة البيانات .

وفعلاً أذيعت البيانات بصوتى ، وكنت أول مذيع يعمل فى الإذاعة ، يقرأ البيانات بصوته ، وصدر البيان رقم ٤ فى حوالى الساعة التاسعة والنصف وأذعته أيضاً ، كما أنه مسجل بصوتى . وأحب أن أشير هنا إلى أن وسيلة التسجيل فى ذلك الوقت هى الأسطوانة وليس الشريط كما هو معروف الآن ، وللتاريخ فقد قام المهندس « حلمى رسمى » بتسجيل كل هذه الأسطوانات ومازال الرجل موجوداً حتى الآن ، وفى نفس الوقت أحب أن أشير إلى أن كل البيانات المسجلة بصوتى أذيعت يوم الخميس ٢٤ يوليو ١٩٥٢ .

وفى هذا اليوم أيضاً (الخميس) وقبل أن أتوجه لتنفيذ عملى وكان يبدأ فى الساعة ٢ ظهراً استدعانى المرحوم « حسنى الحديدى » وكان كبير المذيعين وقتها ، وجرت مناقشة حادة تضمنت أن « كريم ثابت باشا » المستشار الصحفى للملك يستمع للإذاعة ، وأن السراى نفسها تقوم بتسجيل برنامج الإذاعة ومستاءة مما يذاع ، وانتهت المناقشة بأن أصدر حسنى الحديدى قراراً بإيقافى عن العمل ، وبعدها مباشرة استدعانى على خليل وكيل الإذاعة الذى يبدو أنه قدر خطورة الموقف بشكل عام ، ووجدته يستدعى الأستاذ « حافظ عبد الوهاب » [الذى منح اسمه فيما بعد للفنان عبد الحليم حافظ] ، وكان وقتها مراقباً للتنفيذ وطلب منه أن يصحبنى للاستديو وكأن شيئاً لم يكن ، وبالفعل قمت بقراءة نشرة أخبار الساعة الثانية والنصف وكانت تتضمن أول بيان تأييد للثورة ، وكان صادراً من جامعة الأسكندرية (فاروق وقتها) وموقعاً باسم مديرها د . سليمان حزين ،

أما فى اليوم الثالث « الجمعة ٢٥ يوليو » فقد كنت مكلفاً بتفيذ فترة الصباح الباكر ، ولم أجد وسيلة مواصلات تنقلنى للإذاعة ، وكان السادة الضباط الموجودون بالمبنى يريدون إذاعة بيان خاص بإلقاء القبض على « إبراهيم إمام ـ وأحمد طلعت » وكانا من أخطر الشخصيات ، وتطوع بعض الأخوة فأخبروا الضباط بأننى تم إيقافى عن العمل بسبب قراءتى لبيانات الثورة .

المهم أننى أخذت « تاكسى » ووصلت الإذاعة فوجدت « على خليل » و« حسنى الحديدى » فى غرفة المراقبة ، وسألنى الضابط أمامهما عن حكاية إيقافى فنفيت هذا

الموضوع لأنى أدركت فى لحظتها أن أية كلمة قد أتفوه بها ستلحق الأذى بهما وانتهى الأمر وباشرت مهمة إلقاء البيانات .

وأصل إلى يوم السبت « ٢٦ يوليو ٥٢ » وكان قد طلب منى منذ الصباح الباكر ألا أغادر مبنى الإذاعة لأن هناك بيانا هاما سوف يذاع ولم يحدد موعده بعد . وحوالى الساعة الرابعة بعد الظهر « وكان الإرسال متوقفا » ، قيل لى عندما أبدأ إرسال فترة الساعة الخامسة أن أبدأه بالتنويه كل بضع دقائق عن وجود بيان هام سيذاع فى تمام الساعة السادسة . كان معى الزميل يوسف الحطاب المخرج الإذاعى المعروف وهو الذى اختار لى بعض المقطوعات الموسيقية التى تلائم هذا البيان الهام والخطير ، فقد أدركنا أن البيان على جانب كبير من الخطورة . وكان زميلى يوسف موفقا فى القطعة الموسيقية التى صاحبت إذاعة البيان وأشاد بها فيما بعد د . حسين فوزى « السندباد المصرى » .

وكان البيان الذى أذيع الساعة السادسة هو بيان خروج الملك فاروق من الأسكندرية ، وسجل البيان بصوتى ومازال تسجيله موجوداً .

وتبقى لدى بعض الملاحظات الأخرى أوجزها فيما يلى :

١ ـ إننى المذيع الوحيد الذى أوقف عن العمل بسبب قراءته هذه البيانات وذلك يعنى أننى كنت أول مذيع يقوم بهذا العمل !

٢ ـ إن الرئيس السورى أديب الشيشكلى حينما جاء لزيارة مصر لأول مرة وكنت مكلفاً بإذاعة استقبال اللواء محمد نجيب له أننى سمعته شخصياً وهو يقول لنجيب :

إنه لم يفهم مضمون بيانات الثورة إلا بعد أن قرأها فلان « وذكر اسمى لنجيب » وكان اللواء نجيب قد تفضل بتقديمى للضيف .

٣ ـ أما عن بيان مغادرة الملك فاروق لمصر فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ والذى قال محمد نجيب فى مذكراته أنه هو الذى قرأه بصوته فإن الواقع يؤكد أنه لا يوجد بأرشيف الإذاعة تسجيل له إلا بصوتى .

٤ ـ أما تسجيل البيان الأول بصوت الرئيس أنور السادات فلم يحدث كما قيل بعد ستة شهور .. بل بعد عدة سنوات ، فقد جرت العادة أن يتم كل عام فى ٢٣ يوليو إعداد برنامج خاص عن إنجازات الثورة يتولى تقديمه كل من الزميلة « همت مصطفى » وأنا ، وكان من ضمن مواد هذا البرنامج إذاعة البيان بصوتى .. وقد مللت هذه المسألة ، فاتصلت بالسيد الرئيس السادات أقترح عليه تسجيل البيان بصوته ورحب بالفكرة ترحيبا شديداً ، ودعانى إلى لقائه . ووجدته فى انتظارى على رأس السلم المؤدى إلى مكتبه بمجلس الأمة وكان موجوداً بجواره سكرتيره فوزى عبد الحافظ .

وتم تسجيل البيان وحفظ فى أرشيف الإذاعة ، وأذكر أن السادات أثناء حديثى له فى التليفون أنه سألنى إذا كان يوجد لدى نسخة من البيان حتى يستطيع قراءته فلا تحدث أخطاء . وبالفعل كانت لدى نسخة وهى التى قرأ منها السادات البيان !

الفصل الرابع

السادات والحرس الحديدى !

فوجيء الضباط الأحرار صباح ٢٧ يوليو ١٩٥٢ بجريدة الأساس تنشر برقية من جمعية ابناء ميت ابو الكوم تؤيد حركة الجيش المباركة بقيادة الفريق نجيب بك وتحيى ابنها البطل البكباشى « محمد انور السادات » !

كانت اسماء الضباط الأحرار لا تزال احد الأسرار الكبرى للحركـة .. وجاء السادات ليخرج على هذا الإجماع .. ويثير اللغط ويلفت انتباه المراقبين ويذكرهم بتاريخه السياسى طوال عشر سنوات سابقة على قيام الثورة كان آخرها اشتراكه فى تنظيم الحرس الحديدى التابع للملك فاروق بشكل خاص .

ويعترف الكاتب الكبير « احمد بهاء الدين » بان ظهور اسم انور السادات على النحو الذى ظهر به فى هذه الأيام الأربعة كان يزعجنى ويثير مخاوفى وكان اسمه يظهر فى ملابسات تثير الشك والارتياب ، وشاعت حكاية ان الملك فاروق قد كون حرساً حديدياً « يقوده الضابط وطبيبه الخاص يوسف رشاد لاغتيال اعداء الملك ، وكان يذكر دائماً اسم انور السادات واسم مصطفى كمال صدقى كعضوين بارزين فى الحرس الحديدى » .

والحقيقة أن الناس ـ كل الناس ـ نسيت تماماً حكاية السادات مع الحرس الحديدى ، ولم يتذكروها إلا بعد رحيل السادات ، ولا نكاد نعثر على سطر واحد فى صحافة مصر يشير إلى اسم أنور السادات فى واقعة الحرس الحديدى منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى رحيله فى السادس من أكتوبر ..

ونشرت « آخر لحظة » التى كانت تصدر كملحق أسبوعى مع مجلة آخر ساعة بتاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥٢ ، سطوراً لها دلالتها البالغة . كان الخبر بعنوان « المتهم بقتل عبد القادر طه ، سبق اتهامه فى الاعتداء على الشاهد فى قضية أمين عثمان بمصر الجديدة » ثم نشر الخبر على النحو التالى :

« علم مندوب آخر لحظة فى الدوائر القضائية أنه تبين لرجال التحقيق أن المهندس على حسنين المتهم بقتل المرحوم الملازم أول عبد القادر طه سبق أن اتهم فى قضية محاولة قتل عبد القادر الشافعى الشاهد الوحيد فى قضية مصرع أمين عثمان باشا الذى شاهد حسين توفيق وأرشد عنه ، وقد قبض عليه تحت ذمة هذه القضية ثم أفرج عنه لعدم كفاية الأدلة .

ونلاحظ أن الخبر لم يشر من بعيد أو من قريب إلى اسم أنور السادات لا باعتباره مشتركاً فى قضية اغتيال أمين عثمان ، ولا باعتباره عضواً فى الحرس الحديدى الذى قتل عبد القادر طه !!

ولم تسكت الشائعات ضد أنور السادات .. بل كان الضباط الأحرار أنفسهم أول من يردد قصص وحكايات حول السادات والحرس الحديدى ، ووصل الأمر إلى سؤال محمد نجيب نفسه ، ونشرت مجلة « الاثنين والدنيا » خبراً تقول سطوره : سئل الرئيس اللواء محمد نجيب عن حقيقة الشائعات التى راجت فى الفترة الأخيرة حول مركز البكباشى

أنور السادات فأجاب : إنها شائعات لا نصيب لها من الصحة ، ولا تستحق حتى الاهتمام بتكذيبها ، ومع ذلك فقد كلفت أنور نفسه أن يكذبها أولاً بأول .. وحتى أنور لم يهتم بأن يكذب هذه الشائعات بصورة من الصور ، وذلك لسبب بسيط هو أنها اتفه من أن يقف عندها » [١٠/١١/١٩٥٢] .

□□

ونصل إلى شهادة اللواء حسن طلعت « مدير المباحث العامة سابقاً » . « فى خدمة الأمن السياسى » (مايو ٣٩ ـ مايو ١٩٧١) هو عنوان ذكرياته عن تلك الفترة .

وربما كان أهم ما فى شهادة حسن طلعت هو السطور القادمة .

وقد قرأت أخيراً (وقت كتابة ذكرياته بالطبع) فى إحدى المجلات أن الرئيس السابق أنور السادات كان من بين أفراد هذا الحرس الحديدى ، وقد ذكرتنى هذه المقالات بواقعة حدثت بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو بفترة قصيرة وتفصيلها أن الأستاذين عبد السلام داود الصحفى بدار أخبار اليوم (يكتب بابا يومياً فى الأخبار بعنوان علامة استفهام) وسامى الليثى الصحفى بدار الهلال وكلاهما من أقاربى كانا عند قيام الثورة فى مقتبل شبابهما ، وكانا يمثلان صحفهما لدى مجلس قيادة الثورة . الأول ممثلاً للأخبار والثانى ممثلاً لروزاليوسف .

« يقول حسن طلعت : وفى أحد الأيام أوعز لهما السيد زكريا محيى الدين بأن يسألا السيد أنور السادات عن ماهية صلته بالحرس الحديدى للملك فاروق !! توجها بهذا السؤال بحسن نية إلى السيد أنور السادات فهاج وماج وأصر على أن يعرف مصدر الإيحاء لهما بهذه المعلومات : فوجئا (أى عبد السلام وسامى) برد الفعل العنيف هذا والذى لم يكونا يتوقعانه ولكنهما كانا يخشيان السيد زكريا محيى الدين أكثر من خشيتهما أنور السادات فرفضا رفضاً باتاً الإباحة له باسم من أبلغهما بهذه المعلومات . وبعد استجواب استمر حتى الساعة الثالثة صباحاً فى دار أخبار اليوم أعلنهما السيد أنور السادات بأنه قد بات محظوراً عليهما التردد على مجلس قيادة الثورة منذ هذه اللحظة .

استحوذ عليهما الخوف على عملهما الصحفى وسارعا بالاتصال بقائد الجناح وجيه أباظة وكان يشرف على الشئون العامة بالقيادة وأبلغاه بقرار السيد أنور السادات فكان رده أن الأخير « أى السادات » لا يملك مثل هذه السلطة وطلب منهما التوجه فوراً إلى مبنى مجلس قيادة الثورة ومزاولة عملهما ، وفعلا تم ذلك وانتهى الموضوع عند هذا الحد » ص ٧٧ [الطبعة الأولى ١٩٨٣] .

ولا تكتمل شهادة حسن طلعت إلا إذا أشرت لواقعة هامة يذكرها بنفسه عند ختام ذكرياته وهو أنه كان من ضمن الذين اعتقلهم السادات فى أعقاب أحداث ١٤ مايو ١٩٧١ فيما أسماه السادات وقتها مؤامرة مراكز القوى !! ومنذ ذلك التاريخ والسيد حسن طلعت

يختزن فى قلبه هذا السر ولم ينطق به إلا بعد رحيل السادات عن عالمنا !!

□□

إن المفاجأة المذهلة فى قصة « الحرس الحديدى » هى التى فجرها « صلاح نصر » فى ذكرياته التى نشرت عام ١٩٨٥ على صفحات المصور :

ربما كانت المفاجأة الأولى هي اعترافه بأن جمال عبد الناصر كان يرتبط بجماعة من الحرس الحديدى التي شكلها الملك فاروق لأغراض سياسية منها القضاء على خصومه ، الخ .

يضيف صلاح نصر : روى لى عبد الناصر هذه القصة فقال : جاء الضابط مصطفى كمال صدقى وحدثه عن الانضمام إلى جماس الحرس الحديدى ، وفعلا حدد له عبد الناصر موعداً للانتظار عند تقاطع شارع مصر والسودان بشارع رمسيس ، وكان من المفترض أن تنتظره عربة من السراى تقله إلى مكان الاجتماع .. وتوجه عبد الناصر فى الموعد المحدد إلى مكان اللقاء ووجد العربة فى انتظاره ولكن هاتفا مفاجئاً جعله يقود سيارته الصغيرة بأقصى سرعة ممكنة وهكذا أفلت من الفخ كما يقول : وقد سألته ـ صلاح نصر لعبد الناصر ـ عن الدافع الذى جعله يغير فكره ، فأجاب بأن غرضه كان الإلمام بدخائل هذه الجماعة ، ولكنه خشى أن يتورط فى أعمال تتنافى مع ضميره ومبادئه !! .

حاولت السراى احتواء تنظيم الضباط الوطنيين ففكرت فى إنشاء حرس سرى خاص يحمى الملك ويقوم باغتيال خصومه من تنظيم الضباط الوطنيين ، وفعلا تم إنشاء هذا الحرس وعرف باسم الحرس الحديدى ، وقد استقطب بعض من ضباط تنظيم الضباط الوطنيين عن طريق الدكتور يوسف رشاد الطبيب بالخدمات الطبية والذى انتدب للسراى ليعمل طبيبا خاصا للملك وياوراً له .. ولقد قام هذا التنظيم بعدة عمليات إرهابية منها إطلاق الرصاص على مصطفى النحاس فى ٥ أبريل (نيسان) ١٩٤٨ فى محاولة فاشلة لاغتياله . ومحاولة نسف منزله بسيارة محملة بالديناميت فى الخامس والعشرين من أبريل أيضا !!

ومع أن هذا التنظيم لم يكن له أى انتماء رسمى للسراى أو الجيش ، فقد كان محمد حيدر وزير الدفاع يعلم به ويباركه ويشد من أزره !! .

وكان من أفراده البارزين الضابط مصطفى كمال صدقى (زوج الفنانة تحية كاريوكا فى إحدى الفترات) وعبد الرءوف نور الدين ، وحسن فهمى عبد المجيد وسيد جاد ، كما انضم إليه أنور السادات عن طريق الدكتور يوسف رشاد . ولم يقل لنا صلاح نصر كلمة واحدة بعد ذلك .

ثم ننتقل لشهادة اللواء « محمد نجيب » أول رئيس لمصر عن قضية السادات والحرس الحديدى يقول نجيب :

كان الحرس الحديدى بمثابة بقعة صديد على جسم ثوار الجيش فى ذلك الوقت ، كان من

السهل على هذا الجسم القوى أن يحتملها ويلفظها .

فبعض من رجال الحرس الحديدى حاولوا ضمى إليهم وحاولوا تحريضى على السير فى طريقهم ، وعندما رفضت دعوتهم ، وهددت بالإبلاغ عنهم اتهمونى بأننى سأقوم بانقلاب .

ونعود لعلاقة السادات بالحرس الحديدى لما جاءت فى شهادة نجيب . يقول:فى عام ١٩٤٢ اتهم اليوزباشى أنور السادات بأنه يعمل جاسوسا لصالح الألمان ، وذهب والد السادات إليه منزعجاً ليقول : الحقنى ابنى قبضوا عليه !

كان محمد نجيب يعرف والد السادات منذ كان صديقا وجاراً له فى الخرطوم وقبل أن يولد أنور السادات بسنوات وسنوات .. المهم أن نجيب هدد قائد الجيش بأنه سوف يستقيل إذا ماحوكم السادات الابن !

ويعود نجيب ليقول : اكتفوا بطرده من الجيش ، وخرج أنور السادات من الجيش ليدخل الحرس الحديدى وقد حزنت على هذا التصرف منه !

وتستوقفنى حكاية لها دلالتها البالغة رواها السادات فى كتابه « صفحات مجهولة » الصادر عام ١٩٥٤ . ولن يعود السادات إلى ذكر هذه الحكاية على الإطلاق فى كل ما أصدره من كتب بعد ذلك بما فيها البحث عن الذات كنا قد انتهينا من إقرار التنظيم العام للتشكيل السرى داخل الجيش واخترنا له اسم « الضباط الأحرار » (ص ١٩٢) وكنا فى بدء أيامنا كتشكيل سرى عندما اتصل مصطفى كمال صدقى بجمال (عبد الناصر) وحاول التفاهم معه على أن تنضم مجموعته القديمة إلى تشكيلنا توحيداً للجهود ، وكان معنى هذا أن تشكيلنا كله قد بات فى خطر .. فإن معلوماتنا عن مصطفى صدقى وجماعته كانت تدل دلالة كبيرة على أنهم يعملون لحساب القصر .. وكان لابد أن يقتنع مصطفى صدقى بأنه ليس هناك أى تشكيل يضمنا وأن جمال عبد الناصر لا يعمل شيئاً على الإطلاق .. ولم يكن هذا صعباً على جمال فقد استطاع فى لحظات قليلة أن يقنع مصطفى صدقى بأنه قد أصبح بعيداً عن كل نشاط أو كل اتصال بنشاط ، وأنه أكثر من هذا صمم « أى جمال » منذ أن عاد من فلسطين على أن يأكل « عيش » وبس ! واقتنع مصطفى صدقى بهذا الكلام ومضى . (ويكمل السادات قائلاً) وفى الحقيقة كان مصطفى منجماً جيداً للمعلومات .. وكنا نستغله كيفما نشاء دون أن يشعر فقد كان مولعاً بالتباهى والتفاخر يحب أن ينسب إلى نفسه أشياء كثيرة مما تحدث ، يحيطها بما يعلمه جيداً من الملابسات .. كنا نستفيد (يقصد الضباط الأحرار) من ذكرها فائدة لا تقدر .

ولننتبه جيداً إلى سطور السادات القادمة والتى يقول فيها :

« وكان أخوف مانخافه جهتين : القصر ومخابراته الخاصة وقيادة الجيش ، وكنا لذلك قد رتبنا أمورنا جيداً على تطويق الجهتين كلتيهما . وبينما كان « صلاح سالم » يقوم بدوره فى كسب ثقة حيدر باشا لجلب المعلومات منه . وإعطائه المعلومات المضللة وتغطية نشاط

الضباط الأحرار . كلما تعرض لخطر الانكشاف .. كنت أنا (أى السادات) أقوم بهذا العمل نفسه بالنسبة للقصر وعن طريق الدكتور يوسف رشاد . وبهذه الطريقة كنا نضمن دائماً أن نعرف أولا بأول كل ما يمكن أن يكون قد وصل إلى علم إحدى هاتين الجهتين من معلومات صادقة أوكاذبة عن نشاطنا ، وأن نعرف أيضا أولاً بأول كل ما يمكن أن تفكر فيه إحدى هاتين الجهتين من إجراءات خاصة بنا وأن نضمن أيضاً تغطية الموقف فى كل حالة من الحالات .. » ص ١٩٤ و ١٩٥ .

إن المعنى الواضح والمباشر لسطور السادات السابقة واعترافه هو :

١ ـ كان السادات يعطى معلومات مضللة إلى القصر عن طريق يوسف رشاد (طبيب الملك الخاص وقتها) لحماية نشاط الضباط الأحرار !

٢ ـ أن تنظيم الضباط الأحرار بقيادة جمال عبد الناصر كان يعلم بذلك !

٣ ـ أن اعتراف السادات السابق لم يكن سراً فقد نشر على صفحات الجمهورية عام ١٩٥٣ ، وعندما أعيد نشره فى الكتاب السابق ، نجد أن جمال عبد الناصر قد قرأه ووافق عليه بل وكتب عن السادات يقول :

« إن شخصية أنور السادات لجديرة بالإعجاب ، خليقة بالإطراء ، فعبقريته العسكرية الممتازة وشجاعته ورباطة جاشه ، وإخلاصه ، وتفانيه فى خدمة المثل العليا إلى جانب قوة إرادته وتنزهه عن الغرض ، ورقة عواطفه وميله الغريزى للعدالة والإنصاف كل هذه الصفات جعلته أهلاً للقيام بدور هام فى التمهيد لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ والسير بها قدماً فى سبيل النجاح .. » ص ٥ .

□□

وابتداء من ٢٩ مايو عام ١٩٤٩ ستصبح « جيهان صفوت رءوف » زوجة لأنور السادات بعد فترة خطوبة دامت ثمانية شهور .. وعاشت معه زوجة وشريكة عمر لمدة ٣٢ سنة . وستشاركه رحلة الألم والفقر ثم مابعد ذلك !!

ماذا تقول جيهان عن علاقة زوجها بالدكتور يوسف رشاد « مؤسس الحرس الحديدى ؟! » وما طبيعة دور السادات فى هذا التنظيم ؟!

إن العودة إلى كتاب « سيدة من مصر » (مذكرات جيهان) ضرورة لمحاولة البحث عن إجابة لكل الأسئلة السابقة . إن جيهان تروى لنا كيف أنهما ـ هى والسادات ـ عانيا من صعوبة وسوء الأوضاع المالية ولم يكن قد مر عام على زواجهما . وتحكى عن معاناتها قائلة : « كنت أغسل الملاءات وأكنس الأرض وأغسل وأكوى بدل زوجى وقمصانه على يدى .. » ص ١٣٦ .

وما أن حل شهر يناير (١٩٥٠) حتى كانت نقودنا قد نفدت تماماً .. وكان علينا أن ندفع إيجار البيت فى اليوم التالى . وكذلك فاتورة البقال . وشعرنا بالقلق وبعدم الاستقرار ، وبرغم أن أنور كان قد قدم طلباً للعودة إلى الجيش (كان قد تم فصل السادات



● محمد نجيب أول رئيس لمصر
وخلفه أنور السادات الرئيس رقم (٣)

قبل سنوات من ذلك) فإنه كان يشك فى قبول طلبه !!

بعد ذلك بأيام .. تروى لنا جيهان أنها خرجتْ مع السادات للنزهة عبر كوبرى عباس القريب من منزلهما بالروضة . حتى وصلا إلى مقهى فتقدم منهما عراف ، وعلى سبيل المزاح والتسرية عن السادات أعطته أحد القروش الباقية معها ، وكذلك يدها ، الذى تفرس فيها بعناية . ثم قال لها : ستصبحين سيدة مصر الأولى ! وستنجبين أربعة أطفال من بينهم ولد ! وتقول جيهان : إن السادات ابتسم لأول مرة منذ أيام !!

وفى اليوم التالى دق جرس التليفون وكان المتحدث يوسف رشاد صديق أنور وكان الطبيب الخاص للملك .. فقد رتب يوسف عودة أنور إلى الجيش !! ونقرأ معاً باقى تفاصيل الحكاية كما روتها .

« لم يكن هناك أى أمل فى عودة أنور إلى الجيش لولا العمل الطيب الذى كان أنور قد قدمه إلى يوسف رشاد فى الصحراء منذ ثمانى سنوات (تقصد جيهان عام ١٩٤٢ حيث أنها تروى ذكرياتها عن عام ١٩٥٠) فقد قابل أنور الطبيب الشاب حين كان مع فرقته فى معسكر بين الأسكندرية وحدود ليبيا .. كان رشاد قلقاً على ابنه الصغير الذى كان مريضاً بالتهاب رئوى ، وكان يريد أن يتصل ببيته تليفونياً . وكان أنور ضابطاً فى سلاح الإشارة ولديه جميع التليفونات فى خيمته . فتبادل الخيمة مع الدكتور رشاد حتى يستطيع أن يستعمل

التليفون فى أثناء الليل ، ولم ينس رشاد هذا العمل الإنسانى أبداً » ..

إن المعنى الواضح من كلام جيهان ، أن زوجها أنور السادات قد أسدى جميل العمر إلى الطبيب الشاب يوسف رشاد بأن سمح له بأن يستخدم التليفون للاتصال ببيته كى يطمئن على ابنه الصغير المريض . وأن رشاد بالتالى لم ينس له هذا العمل الإنسانى !!

وأترك رواية جيهان لنتعرف على رواية السادات نفسه حول ظروف تعرفه على د . يوسف رشاد يقول السادات :

هناك على شاطىء البحر الأبيض بلاج فى غاية الجمال كانت تشغله فى سنة ١٩٤١ وحدات من الجيش المصرى . وكنت أنا ضمنها مبعداً بأمر المخابرات . وهناك فى الجراولة كما كانوا يسمونها تعرفت على ضابط طبيب اسمه « يوسف رشاد » كانت خيمته إلى جوار خيمتى وتصادقنا .. كان لابد من ذلك (ولنتأمل الأسباب التى سيوردها السادات لهذه الصداقة) فهو دمث الأخلاق (!!) مثقف يقرا كثيراً (!!) ولا يكاد غليونه يفارق شفتيه (نلاحظ أن السادات اشتهر طوال عمره بتدخينه للبايب أو الغليون) ولا يكاد الكتاب يفارق يده (!!) وبلغت بنا الصداقة حد التلازم فكنا لا نفترق إلا ساعة النوم ، نطهو طعامنا ونأكل معاً . ونتحدث ونفكر ونقرأ معاً .. ومازلت أذكر اليوم الذى أعطانى فيه كتاباً ترك فى نفسى أثراً عميقاً وهو كتاب من تأليف « جون ستيوارت ميل » عنوانه « النظام الشمولى والحرية والحكم النيابى » وكان بالانجليزية . ومرت الأيام وابتعد كل منا عن الآخر ـ ولكن صداقتنا ظلت كما هى ـ لم يخدشها شىء « ص ١٣٢ » .

انتهى ما كتبه السادات فى ذكرياته (البحث عن الذات) حول ظروف تعرفه على يوسف رشاد ولم نجد حرفاً واحداً أوحتى إشارة من طرف بعيد لحكاية ابن يوسف رشاد المريض الذى قلق والده عليه وسمح له السادات باستخدام التليفونات الخاصة به ليطمئن عليه ولم ينس له جميل العمر !!

ونعود إلى كتاب « صفحات مجهولة » الذى كتبه السادات ، أن السادات فى هذا الكتاب لم يشرح لنا ظروف معرفته بالدكتور يوسف رشاد ، ولا كيف التقى به ، ولا حقيقة علاقته به .. ولكن السادات ابتداء « من ص ١٠٠ » كان يحكى عن ظروف هربه من المعتقل فى نوفمبر ١٩٤٤ ثم بدأ يتصل سراً بإخوانه فى تشكيل الجيش ويتصل سراً بحسن البنا .. ويروى السادات واقعة لقائه بحسن البنا (المرشد العام للإخوان المسلمين) والتى ورد فيها اسم د . يوسف رشاد على النحو التالى :

تبسط معى حسن البنا بصورة لم تسبق له من قبل ، شرح لى حسن البنا متاعبه التى تأتيه من ناحيتين : ناحية الملك .. وناحية الأجانب ، وقال لى : إن الملك قد بدأ يشعر شعوراً قوياً بخطورة دعوة الإخوان « ص ٩٩ » ونظر فى عينى طويلاً وهو يقول : أنا أستطيع أن أكسب طمأنينة الملك لو تقابلت معه (!!) وقصد رحمه الله إلى هدفه بعد ذلك مباشرة فقال لى : أنت تعرف يوسف رشاد ؟!

قلت له : نعم أعرفه .. وبينى وبينه صداقة كبيرة ومودة !! فقال : (حسن البنا) ويوسف اليوم ذو حظوة ، فلو استطعت أن تشرح له هدفى وأن تفهمه أننى لست خطراً على الملك ولا أريد أن أكون خطراً لأمكنه إقناع الملك بمقابلتى .. (!!) وأجبته أنا : أحاول ..!! « ص ١٠٠ » .

وطبقاً لسطور السادات السابقة فإننا نفهم أنه بينه وبين يوسف طبيب الملك الخاص صداقة كبيرة ومودة .. ولكن المهم أن السادات لم يقل لنا كيف ولماذا كل هذه الصداقة والمودة .

ويضيف السادات فى كتابه السابق : مضيت فى تلك الليلة أبحث الأمر بينى وبين نفسى هل أقوم بهذه الوساطة ، وكيف أقوم بها ، وما مدى ما يمكن أن يترتب عليها (لاحظ أهمية ومغزى السطر التالى) وكنت إذ ذاك لا أزال هارباً أعيش متنكراً وأتحاشى الظهور فى أى مكان . ولكننى مع ذلك ذهبت إلى يوسف رشاد وأبلغته رسالة حسن البنا ، فناقشنى فيها ثم وافق على أن يلعب هذا الدور « ص ١٠١ » وعندما رأيت يوسف رشاد بعد ذلك قال لى : لقد فاتحت الملك فى هذا الأمر فى محادثة تليفونية بينى وبينه وإذا به يقطع حديثى قطعاً ويوجهه وجهة أخرى .. وقابلته بعد ذلك فقال لى : (أى الملك ليوسف رشاد) كيف تكلمنى تليفونياً فى أمر كهذا ، ألا تعلم أن حسن رفعت وكيل وزارة الداخلية وقتها يراقب التليفونات (؟!!)

ويكمل السادات : عاودت الإلحاح على يوسف رشاد بعد ذلك وفى هذه المرة استطاع يوسف أن يحصل على إذن من الملك بأن يقابل هو أولاً حسن البنا ويستمع إليه وينقل حديثه إلى الملك ليرى إن كان يقابله ، وكدنا نحدد موعد المقابلة (يقول السادات) بين حسن البنا ويوسف رشاد ، وفى أحد الأيام كنت فى منزل يوسف رشاد فدق جرس التليفون . وكان الملك هو المتكلم .. واستمع يوسف لحظات قصيرة ثم قال حاضر .. وانتهت المكالمة ونظر إلىّ يوسف وقال : إن الملك يقول : الغ كل ما قلته لك بشأن حسن البنا (ويضيف السادات معلقاً) ويئست أنا من المحاولة وخصوصاً أنى كنت أقوم بها فى حالة تنكرى واختفائى .. وأبلغت حسن البنا بيأسى ص « ١٠١ ».

إن الملفت للانتباه حقيقة هو إغفال السادات التام - ربما عن عمد أو غير عمد - لكل هذه الوقائع عندما كتب البحث عن الذات !! وهى وقائع على درجة كبيرة من الأهمية بحيث تسقط هكذا بسهولة من الذاكرة !! إن السادات وطبقا لكلماته كان يلعب دور الوسيط بين حسن البنا من ناحية والملك من ناحية أخرى عبر د . يوسف رشاد صديق عمر السادات كما اعترف هو !! ولعلكم تتساءلون معى عن مغزى اعتراف السادات الهارب المتنكر والذى يتحاشى الظهور فى الأماكن العامة ومع ذلك يتصل بطبيب الملك الخاص (!!)

على أية حال إن السادات يعود فيؤكد لنا على إلحاح حسن البنا عليه بتدبير مقابلة له مع الملك ، ويقول السادات « ص ١٠١ »

قصدت إلى الأسكندرية ، فقد كان الملك هناك وكان يوسف رشاد إلى جانبه ، وتحدثت

مع يوسف فى الأمر واقنعته بمعاودة المحاولة ، وبذل يوسف رشاد جهداً كبيراً مع الملك ، وضحى فى سبيل ذلك تضحية كانت كبيرة فى ذلك الوقت ، فقد غضب منه الملك واقصاه عن صحبته عشرة أيام طوال ، وعندما عاد يقربه قال له : إياك أن تفاتحنى مرة أخرى فى هذا الموضوع .

□□

إننا لا نعرف على وجه اليقين الظروف والملابسات التى جعلت د . يوسف رشاد يقترب من الملك فاروق وينال ثقته . بل تصبح زوجة يوسف الحسناء « ناهد رشاد » أهم وأخطر وصيفات الملكة . وعلى كثرة ما كتب من ذكريات ومذكرات فإن أحداً من السادة الذين كتبوا لم يتفضل بشرح وتفسير قصة بداية علاقة د . يوسف مع الملك .. ثم علاقة السادات بيوسف بعد ذلك !! إن السيدة جيهان السادات تحاول فك هذا اللغز فى مذكراتها قائلة :

وسرعان ما جاء جزء آخر من اللغز ، فبعد الحرب (العالمية الثانية ٣٩ ـ ١٩٤٥) كان الملك فاروق يسرع بسيارته فى الطريق الصحراوى من قصر رأس التين فى إحدى سيارات السباق العديدة فتصادم مع لورى بريطانى ، وأسرع الملك إلى أقرب مستشفى حيث كان يوسف رشاد « نوبتجيا » وتأثر الملك فاروق بالعناية الطبية التى تلقاها من يوسف فعينه فى حاشيته واتخذه كبير أطبائه ، وهكذا نزلت جزئية أخرى فى مكانها وأصبح رشاد الآن فى موقع سلطة من العرش ، وشعر أن عليه ديناً لأنور ، وفى يوم ١٠ يناير ١٩٥٠ قال رشاد لأنور : اذهب وقابل الفريق « محمد حيدر باشا » وذهب انور لمقابلة قائد القوات المسلحة الذى صرخ فى سكرتيره قائلاً : يعود هذا الولد إلى الجيش من اليوم . وعاد أنور مرة أخرى إلى الجيش برتبة نقيب .. « ص ١٣٨ » .

وكان السادات قد اعترف فى « البحث عن الذات » « ص ١٣٢ و ١٣٣ » قائلاً : يوسف رشاد هو أملى الوحيد . فقد أصبح طبيباً فى الحرس الملكى ولا أعتقد أنه سيرد لى طلباً ، فاتصلت به تليفونياً وطلب منى زيارته فى بيته .. هناك شرحت لى حالى .. و .. و ..

وتتفق رواية السادات ـ لأول مرة ـ مع ما ذكرته جيهان فيما روته من تفاصيل إلى أن يقول السادات :

وصدرت النشرة العسكرية بعودتى إلى القوات المسلحة اعتباراً من ١٥ يناير ١٩٥٠ برتبة اليوزباشى ـ وهى الرتبة التى خرجت بها ـ وكان زملائى فى الجيش قد سبقونى فى ذلك الوقت برتبتين .. رتبة صاغ ورتبة بكباشى .. كان أول من زارنى مهنئاً جمال عبد الناصر ومعه عبد الحكيم عامر . علمت من عبد الناصر أن تنظيم الضباط الأحرار قد أصبح أوسع انتشاراً وأن قوته تشتد يوماً بعد يوم . وكأنما أراد أن يثبت لى مدى قوة التنظيم أو أن يختبر هذه القوة ، طلب منى أن اتقدم لامتحانات الترقية بحيث استعيد مافقدته من رتب وأنا خارج الجيش ، وألا اهتم بالصعاب التى سوف تواجهنى . فمهما كان شأنها سيذللها التنظيم ويتخطاها .. وفعلاً تم هذا وحصلت على رتبة بكباشى فى وقت قصير « ص ١٣٣ »

٣٠ - روز اليوسف - العدد - ١٢٢٢



● السادات بريشة الفنان عبد السميع [٢١ ديسمبر ١٩٥٣ روزاليوسف]

وما لم يذكره أنور السادات بشأن هذه الواقعة ، ورواها لى تليفونياً واحد من ألمع الصحفيين المصريين الذين اقتربوا من السادات وكانت له « حوارات » مع « السادات » روى لى الصحفى الكبير أن السادات قال لعبد الناصر : أنا ماليش « خلق » على المذاكرة عشان أتقدم لامتحانات الترقية !! فطمأنه عبد الناصر قائلاً : ولا يهمك سنتولى نحن الباقى حيث إننى ـ اى عبد الناصر ـ الذى سأتولى تصحيح أوراق الإجابة . ويقال إن عبد الناصر هو الذى أجاب بنفسه عن كل الأسئلة فنجح السادات بهذه الطريقة وحصل على رتبة بكباشى ..

وبعد ٢٦ عاما على نشر خبر .. محاكمة زعماء الحرس الحديدى .. وعلى رأسهم د . يوسف رشاد عاد السادات ليروى هذه الواقعة التى جرت فى الساعة ٩ من صباح ٢٦ يوليو ١٩٥٢ وكان قد ذهب مع اللواء نجيب إلى الأسكندرية كى يتسلم الملك الإنذار الخاص برحيله عن مصر .

تقدم منى رجل وهمس فى أذنى : حاجة مهمة يا أفندم ، الدكتور يوسف رشاد على التليفون ويلح أن يكلمك قبل أن تدخل عند على ماهر .. كان واضحاً أن الملك يريد أن يطمئن (يقول السادات) وإنه كان مازال يعتقد أنى كصديق ليوسف رشاد يمكننى مساعدته ، فالتفت إلى الرجل وقلت : قل ليوسف رشاد ينتظر ، العجلة دارت ولن تعود مرة أخرى إلى الوراء .. لقد كان الدكتور يوسف رشاد صديقا عزيزا واستخدمته فى تضليل الملك . ولذلك ولأن الأمر أكبر من الصداقة وهو مصلحة الوطن . فقد رفضت أن أكلمه إلا بعد أن تنتهى معركة التخلص من الملك . أما بعد خروج الملك وبعد أن أصبح كل شىء فى أيدينا ؛ فيوسف رشاد بالنسبة إلىّ هو الصديق الذى أحبه وأحفظ له وقوفه إلى جانبى فى ساعة الشدة » .. ص ١٤٩ « البحث عن الذات » .

بعد التخلص منّ الملك طلب منى مجلس قيادة الثورة اعتقال يوسف رشاد ، فوجىء مجلس قيادة الثورة بى وأنا أدخل الاجتماع أحمل فى يدى حقيبة ملابسى وأقول لهم .. يوسف رشاد هذا الذي تتكلمون عنه أنا فعلت معه كذا .. كذا وعبد الناصر يعلم كل التفاصيل ولذلك إذا اعتقلتم يوسف رشاد فيجب أن تعتقلونى معه .. وأنا على أتم استعداد لذلك ، ترون « فمعى حقيبة ملابس ، فهذا أمر خلقى ومبدئى بالنسبة لى » .. ولم يعتقل يوسف رشاد وتركوه وشأنه إلى أن مات !!

ولكن إذا عدنا إلى مجلة « الاثنين والدنيا » الصادرة فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٢ يستوقفنا تحقيق صحفى هام ومثير عنوانه « كبار الساسة فى مصيدة الثورة » وروى كاتب هذا التحقيق (لم يذكر اسمه) كيف اعتقلت الثورة ٥٤ من المشتغلين بالحياة العامة فى مصر . وروت بالتفصيل ظروف ملابسات اعتقال كل من : فؤاد سراج الدين وحافظ عفيفى وإبراهيم عبد الهادى وعثمان محرم واحمد طلعت ومرتضى المراغى وعباس حليم .. و« يوسف رشاد » . وعن يوسف نقرأ ما يلى :

كان يوسف رشاد نائماً فاستيقظ على دقات الباب وصاح من فراشه : مين بره يا حامد (وحامد هو خادم المنزل) وصاح الضابط : عاوزين نشوفك يا دكتور لحظة واحدة !!

وخرج إليهم بالبيجاما الحريرية الأنيقة وقال : إحنا مش خلصنا من الدوشة اللى فاتت على خير ؟ وأجابه الضابط : لا لسة شوية ، البس واتفضل معانا .. ودلف الدكتور إلى حجرته وارتدى ملابسه ، وخرج يسب ويلعن الظروف التى وضعته فى طريق الملك السابق ويلعن من كان السبب فى هذه البهدلة فى أنصاف الليالى وقال للضابط : أنا مالى .. أنا بعيد عن كل حاجة .. هاتوا واحد بس يشهد ضدى فى حاجة . « !! » .

الفصل الخامس

أول تحقيق سياسى مع السادات

البطولة بأثر رجعى هى طابع المذكرات والذكريات السياسية التى تصدر فى مصر !!

رحل جمال عبد الناصر فصدرت عشرات المذكرات التى تروى عن مواقف وبطولات ومغامرات لا تخطر على البال . بل وصل الأمر بأحدهم أنه روى لنا كيف قام بتكتيف جمال عبد الناصر وأوثق يديه ورجليه بالحبال !!

وطوال حكم أنور السادات لمصر لم يذكر لنا واحد من « كتبة » المذكرات سطراً واحداً عن الحرس الحديدى والسادات !! ولكنه بمجرد أن رحل السادات عاد نفس « الكتبة » ليقولوا لنا إن السادات كان .. وكان .. وكان .. ومازلت أبحث معكم عن الحقيقة .

□□

الاستماع إلى شهادة « حسن عزت » ضرورة كبيرة !

كان حسن عزت زميل وصديق عُمْر لأنور السادات قبل قيام الثورة بسنوات طويلة تعود إلى سنة ١٩٤٣ ، تصعلكا معاً . اشتركا فى التجارة معاً ، سجنا معاً .. الخ .. .

بعد شهور قليلة من قيام الثورة زاره حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة وقتها وأبلغه برغبة المجلس فى أن يكتب كتاباً يروى فيه بدايات الثورة .. وكان كتاب « أسرار معركة الحرية » .. (كان الناشر يومها يس سراج الدين شقيق فؤاد باشا سراج الدين) .

صدر الكتاب بعدة مقدمات لخالد محيى الدين وفتحى رضوان وعبد اللطيف البغدادى والشيخ أحمد حسن الباقورى وثروت عكاشة وأنور السادات .

كتب السادات بتاريخ ١٩٥٣/٧/١٤ تحت عنوان « أخى فى الإرهاب » يقول :

هذه صفحات كتبها زميلى حسن عزت عن فترة تعتبر جزءاً من تاريخ الكفاح فى هذا البلد ، كفاح شُبان آمنوا ، أول من آمنوا أن الوطنية شرف تهون دونه كل تضحية وأنها ليست تجارة أو مغنماً ، وأجمل شىء فيها أنها حلقات من صميم كفاح هذه الثورة توجت بالنصر يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ رغم أنها بدأت قبل هذا التاريخ بسنوات طويلة .

وفى عام ١٩٨٥ عاد حسن عزت ليصدر كتاباً بعنوان « قصتى مع العمالقة والأقزام السبعة وثامنهم هيكل » وتضمن الكتاب الجديد إعادة نشر « أسرار معركة الحرية » كاملاً . وفى مقدمة الكتاب الجديد يروى لنا حسن عزت أنه قبل صدور كتابه عام ١٩٥٣ حاول أكثر من مرة الاتصال بجمال عبد الناصر وزير الداخلية وقتها ؛ ليروى له دوره فى الحركة ، لكن سكرتير عبد الناصر اليوزباشى محمود الجيار كان يعتذر له ، وتكرر نفس الشىء بالنسبة لعبد الحكيم عامر ، ولذلك صدر الكتاب « أسرار معركة الحرية » خالياً من ذكر أى شىء يتعلق بدور عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وصلاح سالم وغيرهم ، وبمجرد صدور الكتاب اتصل وجيه أباظة الذى كان يتولى شئون الإعلام فى مجلس قيادة الثورة وأبلغ حسن عزت أنه مكلف من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بشراء بضعة آلاف

نسخة من الكتاب لتوزيعها على إدارات ووحدات الجيش .. وعلمت فيما بعد « يقول حسن عزت » أن نسخ الكتاب استقرت فى مخازن الجيش والتهمها السوس !!

والآن نبدأ فى تقليب صفحات كتاب حسن عزت « العمالقة والأقزام السبعة » .

يقول حسن عزت : عدت لمنزلى : وفوجئت بوجود أنور السادات عضو مجلس قيادة الثورة فى انتظارى وتعجبت ماذا يريد منى أنور السادات بعد كل الذى جرى ؟! (يقصد اتهام السادات له بانه نصاب عندما قرر مجلس الثورة تكريمه) .

يكمل حسن : بعد أن قابلنى بالأحضان بدأ الحديث وقال :

ـ انا عايزك فى حكاية مهمة يا حسن

ولم ينتظر وأكمل قائلاً : الواد المجرم على حسنين اتهمنى بأننى كنت معهم فى الحرس الحديدى ومشتركاً فى قتل الضابط عبد القادر طه .

على حسنين مهندس بحرى وكان محكوماً عليه بالسجن فى قضية اغتيال عبد القادر طه ـ شقيق أحمد طه عضو مجلس الشعب الآن ـ على يد الحرس الحديدى .

قلت للسادات : إن هذه مسألة أنا لا أعرف عنها شيئا !

فقال : بس ده خطر علىّ لأن الصاغ « محسن عبد الخالق » يكرهنى ويحقد علىّ ويسعى إلى إخراجى من مجلس قيادة الثورة بأى شكل والآن ينبش حولى ورفع تقريراً يشكوكه فى اشتراكى فى الحرس الحديدى ، وعبد الناصر حول التقرير إلى النيابة للتحقيق وسماع شهادتك وآخرين عنى وعن الفترة منذ طردنا من الجيش عام ١٩٤٢ وإلى حين عودتى إليه سنة ١٩٥٠ !!

ـ أنت الشاهد الوحيد ياحسن الذى عاصرتنى فى هذه الفترة وشهادتك ، إذا كانت فى صالحى ستبعد عنى هذه التهمة لأن على حسنين والشاهد الآخر . (يقصد محسن عبد الخالق) مجرمان وشهادتهما مشكوك فيها . سألته عن المطلوب منى بالضبط فقال السادات :

ـ نيابة جنوب القاهرة ستطلبك لأخذ أقوالك والبركة فيك والباقى على الله وعليك وتذكر العيش والملح والفول المدمس الذى كنا نأكله صباحاً ومساء .

طمأنته وقلت له : إننى فلاح وسأعمل بأصلى ..

فى اليوم التالى طلبنى الأستاذ موافى رئيس نيابة جنوب القاهرة وسألنى عن علاقتى بأنور السادات طوال العشر سنين الماضية ؟!

فذكرت له الحقيقة وركزت على وطنية وصدق أنور السادات وصلته القوية بالله سبحانه وتعالى من يوم أن دخل السجن إلى أن افترقنا !!

وسألنى عن سبب الخلاف بيننا عندما ترك المقاولات وعاد للجيش ؟!

فقلت له : إنه خلاف شخصى وعائلى ولا صلة له بالسياسة والكفاح .

ثم عرج على كيفية رجوعه للجيش فقلت له : أنا أعرف أنه صديق شخصى ليوسف رشاد

وزوجته ناهد رشاد من أيام ما كان « يوزباشي » في « الجراولة » وأنها صداقة شخصية بريئة لا علاقة لها بالملك .

ـ هل تعلم أن أنور السادات كان مشتركا مع المهندس البحري المحكوم عليه بالسجن المؤبد « علي حسنين » في قضية الحرس الحديدي ومقتل الضابط عبد القادر طه ؟!

فاستنكرت بشدة وقلت ـ أي حسن عزت ـ إن أنور السادات الوطني الذي أعرفه وقاسمته السجن سنوات طويلة يستحيل أن ينحدر إلى هذا المستوى بل إلى هذه الخيانة واقسمت أنني لم أفارقه لحظة . وأن عملاقاً مثله في الوطنية لا يشترك في مثل هذه الخيانات ولا يعقل أن لرجل وضع يده على المصحف واقسم أن يكون أول هدف لنا هو خلع الملك أن ينحدر ويخون هذا القسم ويعمل لحساب الملك بل ويشترك في تصفية الضباط الأحرار زملائنا !! هذا مستحيل ولا يمكن أن يصدقه عقل !!

فقال لي ـ أي رئيس النيابة ـ إن علي حسنين ذكر لك عندما زارك مرتين في مكتبك وحذرك أن أنور السادات أثناء شهر العسل مع جيهان كان على اتصال يومي بيوسف رشاد ومتعاونا معه من أجل رجوعه للجيش !!

فقلت : نعم حضر مرتين لزيارتي لأنني كنت رئيسه عندما كان مهندسا بشركة السويس للملاحة البحرية وكنت كبير المهندسين للشركة البحرية وأنا الذي الحقته بالعمل في الشركة وخاصة أنه بلدياتي (من بني سويف) .

ملحوظة : الصحيح أن السادات من ميت أبو الكوم (المنوفية) وإن (جيهان السادات هي التي من بني سويف) .

واجهني رئيس النيابة بعلي حسنين الذي كان محكوماً عليه بالسجن في هذه القضية التي قتل فيها عبد القادر طه فاتهمته بالكذب والافتراء وتمسكت بموقفي في تبرئة أنور السادات من الاشتراك في الحرس الحديدي بأي شكل من الأشكال وأكدت أنها مجرد صداقة بين يوسف رشاد وأنور السادات الذي استغله أنور لرجوعه للجيش بغرض تكملة المشوار مع الضباط الأحرار !!

إنني أعرف أنور السادات منذ عشر سنوات وأنه وطني ومتطرف ضد الملك ومصلي وصالح وتقي وعلى صلة عظيمة بالله سبحانه وتعالى وصاحب هدف وطني مثلي بل وأكثر مني !!

فقال لي رئيس النيابة : وبأي مقابل أعاده يوسف رشاد للجيش ؟!

فقلت له : لمجرد الصداقة البحتة !

فقال لي : طيب وما هدف أنور السادات برجوعه للجيش وترك العمل معك ، مع أنه كان يكسب من المقاولات آلاف الجنيهات ، بدليل أنه وجد المال ليتزوج بسيدة من أسرة كريمة بعد شهور قليلة من العمل معك ؟!

فذكرت له : إنني أقرضته المبلغ وعند المحاسبة النهائية سيرده من أرباحه !!


ام بهية صاحبة السمط
وأنور السادات
رسول الغرام !


الشيال أنور السادات !

● رسوم كاريكاتورية بريشة الفنان «رخا» من كتاب حسن عزت «أسرار معركة الحرية» الصادر عام ١٩٥٣ ●

فاستطرد قائلاً : ولكن عودته للجيش معناها أن يحصل على مرتب يوزباشى الذى لا يزيد على ثلاثين جنيها ولا تكفيه إلا بالكاد ليعيش ؟!

فقلت له : إن أنور السادات رجل وطنى وأظنه كان يهدف بالعودة إلى الجيش ، الاتصال بالضباط الأحرار ويعاونهم من خلال صلته بيوسف رشاد بأن يضلل الملك خصمهم اللدود ، وهذا الهدف يكفى لأنور السادات كما أعرفه كى يضحى بالمادة فى سبيل المبدأ !

فسألنى رئيس النيابة وما علاقتكما بعد أن أصبح عضواً بمجلس قيادة الثورة ؟!

فأجبت والألم يعصرنى : علاقتنا كلها إخلاص ومحبة وثقة متبادلة ، علاوة على أنه عديلى . « ص ٢٠٩ » .

بعد ثلاثين عاماً وفى ميلانو بإيطاليا دار الحوار بين حسن عزت وجمال منصور !

ذهب الضابط الشاب جمال منصور ضابط الفرسان والحماس يلهب قلبه ويحمل بين جنبيه تقريراً من صفحة واحدة بخط يده .. ذهب إلى قائد السلاح (خالد محيى الدين وقتها) وأبرزله التقرير وطلب منه أن يأمر بتحويله إلى مجلس الثورة لما احتواه من مسائل تتعلق ببعض الضباط ومن بينهم عضو فى مجلس الثورة !! فأجابه القائد : بأن الريح عاتية ويجب أن ننحنى أمامها حتى تهدأ ونحن لازلنا فى أول الطريق مع الثورة ، وأنا لست على

استعداد أن أوقع هذا التقرير أو أرفعه إلى مجلس قيادة الثورة !

كان التقرير يحتوى على قائمة أسماء ضباط الحرس الحديدى الذين عملوا قبيل الثورة لصالح الملك ، وكان الغرض من تشكيل الحرس الحديدى تحت رئاسة د . يوسف رشاد هو حماية الملك والقيام بأعمال خطيرة إلى حد الاغتيال !!

وتساءل التقرير عن السبب الذى أدى إلى معاملة هؤلاء الضباط ـ أعضاء الحرس الحديدى ـ بطريقة مختلفة فمنهم من تم تعيينه ـ بعد الثورة فى مناصب رفيعة فى الدولة وفى المنظمات السياسية والشعبية فى حين أنه تم طرد أحدهم من الجيش وهو اليوزباشى سيد جاد عبد الله سالم ـ فى حين أن الجميع ينخرطون فى كيان واحد هو الحرس الحديدى !

وطبقا لما كتبه حسن عزت فقد نسب جمال منصور لسيد جاد قوله :

إن الحرس الحديدى تم تشكيله من الضباط المشهود لهم بالجرأة والعنف تحت رئاسة د . يوسف رشاد الطبيب الخاص للملك فاروق وكانت هذه المجموعة تتكون من :

عبد الرءوف نور الدين ، وسيد جاد عبد الله سالم ، ومصطفى صدقى ، وحسن التهامى ، وحسن فهمى عبد الحميد ، وخالد فوزى ، وأنور السادات ، وعبد الله صادق (ضابط المطافىء فى الحرس الملكى) .

وقد قامت هذه المجموعة بعمليات خطيرة للغاية بإذن الملك ومن بينها إطلاق النار على رفيق الطرزى فى مصر الجديدة لمنافسته للملك على إحدى الراقصات ، ومنها الاعتداء بالقنابل والرشاشات على منزل النحاس باشا ، وكانت هذه المجموعة تقوم بأعمال تتعلق بالحياة الشخصية للملك ومنها متابعة سلوك الملكة فريدة وعلاقتها بالسيد وحيد يسرى .

وكانت هذه المعلومات تبلغ تباعاً إلى الملك بواسطة د . يوسف رشاد !

وأن كل ضابط من هذه المجموعة كان يتقاضى مرتبا شهرياً قدره ثمانون جنيها يأخذه من د . يوسف رشاد ، وكانت لكل منهم عربة صغيرة يتنقل بها ويذهب إلى لقاء زملائه فى أماكن متفرقة للاتفاق على تدبير وتنفيذ ما يأمر به الملك عن طريق طبيبه الخاص . وعندما خرج السادات من السجن بعد براءته فى قضية قتل أمين عثمان ، تلقفه د . يوسف رشاد وأحاطه برعايته وهو يعلم أنه معدم لا يملك شيئاً . وانضم السادات إلى الحرس الحديدى وأصبح له نفس المزايا والمرتبات . وزيادة على ذلك أعطاه د . يوسف رشاد مبلغ ألف جنيه حتى يستطيع أن يرتب أموره وأحوال عائلته بعد فترة السجن وطرده من الجيش .

وبعد شهر بالضبط من قيام الثورة جرى حديث بين جمال منصور وخالد محيى الدين وسأل خالد محيى الدين عن قصة أنور السادات وعلاقته بالحرس الحديدى ود . يوسف رشاد . وطلب الضابط الشاب من خالد محيى الدين أن يقسم قسماً غليظا بألا يبوح بما سوف يسمعه منه ! فأقسم خالد على ذلك وبدأ الضابط الشاب فى سرد القضية بكاملها كما سمعها من اليوزباشى سيد جاد عضو الحرس الحديدى .

تقول باقى رواية حسن عزت : لم تمر ثلاثة أيام حتى أرسل عبد الناصر فى طلب جمال

منصور (وكانت تربطه به علاقة قوية منذ بدء الإعداد للثورة) وجلس الاثنان فى الشرفة المطلة على حديقة مجلس الثورة . وفجأة دخل خالد محيى الدين من الغرفة المجاورة وربت على كتف الضابط الشاب وطلب منه أن يعيد أمام عبد الناصر ما سبق أن قاله له منذ ثلاثة أيام ! فتعجب الضابط والتفت لخالد قائلاً :

- إننا اتفقنا على ألا نبيح بهذه الأسرار !

فتدخل عبد الناصر قائلاً : إذا كنت لا أعرف هذه الأسرار عن أعوانى الموجودين فى مجلس الثورة فمن إذن يعرف هذه الأسرار ؟

وشدد عبد الناصر عليه أن يروى له ما رواه لخالد ، فروى الضابط الشاب روايته بدقائقها وما أن انتهى من روايتها حتى قال عبد الناصر : نحن نعلم هذا عن السادات وكان الشك يخالجنا أحيانا ولكن تأتى هذه التفاصيل لنثبت أن السادات كان عليه الكثير من المآخذ .. على أية حال أنا وراه والزمن طويل ! « ص ١٥٩ » .

وليسمح لنا حسن عزت بالسؤال لماذا كتم فى قلبه كل هذه الأسرار والتفاصيل ؟! ولماذا لم يشر إليها بحرف واحد فى كتابه « أسرار معركة الحرية » الذى صدر عام ١٩٥٣ ؟! وهل تذكر فجأة كل ذلك بعد أن رحل السادات عن دنيانا فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ .. أين كان حسن عزت ؟!

وحده حسن عزت الذى يملك الإجابة !!

لقد نسب « حسن عزت » إلى أنور السادات قوله : « إن الصاغ محسن عبد الخالق يكرهنى ويحقد علىَّ ويسعى إلى إخراجى من مجلس قيادة الثورة بأى شكل والآن ينبش حولى ورفع تقريراً بشكوكه فى اشتراكى فى الحرس الحديدى ... » .

فما شهادة د . محسن عبد الخالق عضو الضباط الأحرار وأحد أبطال حرب فلسطين والذى ترجع علاقته بجمال عبد الناصر إلى أيام حرب فلسطين أثناء حصار الفالوجة الشهير ، وكان له الدور المرموق فى الثورة .. إلى أن اعتقل فى ١٥ يناير ١٩٥٣ بتهمة انقلاب المدفعية الشهير ، وكان المتهم رقم واحد فى هذه القضية يقول د . محسن عبد الخالق :

إن موضوع الحرس الحديدى وعلاقة السادات به بحثته بنفسى - ضمن موضوعات أخرى خاصة بالسادات وكانت مثار لغط شديد - والذى كلفنى بهذا التحقيق هو جمال عبد الناصر شخصياً !! وأذكر أننى قمت بإعداد تقرير شامل ودراسة وافية حول الموضوع ، وأذكر أننى سألت جمال عبد الناصر سؤالا واضحاً لا غموض فيه :

- هل كلفت أنور السادات بالاتصال بالحرس الحديدى ؟!

قال لى جمال عبد لناصر بالحرف الواحد : نعم أنا الذى كلفت السادات بهذا ! وتفاصيل ما جرى بالضبط وقتها كان كالتالى :

بعد الثورة مباشرة كون عبد الناصر لجنة لجمع المعلومات والتأكد من بعض الأمور ، وكنت من أنيط به جمع المعلومات وحفظها ومناقشتها مع عبد الناصر نفسه ، وكان ذلك فى

شهر أغسطس أو ديسمبر ١٩٥٢ .

إن جمال عبد الناصر كان على علم بالاتصال بين أنور السادات ود . يوسف رشاد بل قام بتنفيذ أشياء طلبها منه جمال عبد الناصر ، بل ثبت لدى من أقوال يوسف رشاد وزوجته أن أنور السادات لم يبلغهما يوما بما جري في الجيش أو بأسماء الضباط بل « نومهما » !

وهذه المجموعة لم تفعل شيئاً ضاراً بالجيش أبداً ، ولم تتجسس أبداً على ضباط الجيش وكنا نحن الضباط الأحرار نعرفهم بالاسم ، وهم يعرفوننا ونحن الذين سميناهم الحرس الحديدى !! وكان بعضهم يبلغنا بأخبار السراى !! وأقول لو كان أحد ضباط الحرس الحديدى يتجسس علينا لأضروا بواحد منا مثلا ولو بنقله ولكن لم تحدث حادثة واحدة !

واشترك بعض ضباط الحرس الحديدى في الثورة ، أى خرجوا ليلة ٢٣ يوليو وبعدها حدثت مشكلة وأقاويل حول الحرس الحديدى فكلفنى « جمال عبد الناصر » بالذات بتولى الموضوع والتحقيق وجمع المعلومات . وسلمت التقرير النهائى له .. وفي يوم من الأيام .. بعد إعداد هذه التقارير فوجئت بجمال عبد الناصر يعقد جلسة أشبه بالمساءلة ، وكان موجوداً فيها فتح الله رفعت (رئيس مجلس إدارة مؤسسة الائتمان الزراعى وعضو مجلس الشعب) وطلب منى جمال عبد الناصر فتح المناقشة في هذه الموضوعات كلها بل كنت أشبه بما يكون بممثل الادعاء ثم استدعى أنور السادات من خارج الغرفة .

وقام أنور السادات بالرد على كل ذلك ـ أى على النقاط التى أثيرت ضده ـ وبالدليل ومستشهداً بجمال عبد الناصر نفسه وبعدها اجتمعت بجمال عبد الناصر نفسه ورد على كل التساؤلات بنفسه مبرئاً أنور السادات تبرئة كاملة .

□□

كان « عبد المنعم عبد الرءوف » هو الوحيد الذى اعترض على ضم « أنور السادات » إلى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار !! بينما وافق الجميع على ضم السادات !

لقد أشار إلى هذه الواقعة عبد اللطيف البغدادى في مذكراته

ولم يشرح لنا أسباب رفض عبد المنعم عبد الرءوف لانضمام السادات !! ولكنه شرح لنا بتفصيل شديد ـ أى البغدادى ـ أسباب فصل عبد المنعم عبد الرءوف من اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار . فقد كان يصر على إخضاع الضباط الأحرار للإخوان المسلمين .

ومنذ أسابيع صدرت مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف بعنوان « أرغمت فاروق على التنازل عن العرش » وكان عبد المنعم قد رحل عن عالمنا في ٣١ يوليو ١٩٨٥ .

كتب عبد المنعم يقول : في أوائل عام ١٩٤٠ بينما كنت أسير في شارع مراسينا بحى السيدة زينب (عبد المجيد اللبان الآن) التقيت بالملازم ثان « محمد أنور السادات »

وتصافحنا وتعانقنا وهو من دفعتى فى المدرسة الحربية (دفعة فبراير ١٩٣٨) .

وعلى مدى صفحات طويلة يروى لنا عبد المنعم عبد الرءوف كيف دعاه السادات لزيارة « عزيز المصرى » ثم كيفية اشتراكه مع السادات فى تدبير محاولة تهريب عزيز المصرى لخارج الحدود . وفشل المحاولة .. ثم انضمامه لجماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٤٢ ، وكيف ضم جمال عبد الناصر حسين لحضور درس الثلاثاء الذى كان يلقيه حسن البنا ثم انضم إليهم كمال الدين حسين وخالد محيى الدين وحتى لا يتوه منا الخيط الأساسى من تتبع مسار علاقة عبد المنعم بالسادات نعود إلى مذكراته فيقول :

وجاءنى مرة عام ١٩٤٤ - أى السادات - فى صحبة الطيار أول حسن عبد العظيم عزت وكانا هاربين من معتقل الزيتون ، وطلبا الاختفاء عندى كما طلبا قرضاً من المال ، وقد تم تدبير المال لهما واستفادا به ، ولم يعد إلى جيبى جزء كبير منه حتى الآن .

« وفى عام ١٩٤٦ أرسل إلىّ ضابط شرطة يطلب منى وضع خطة لتهريبه خارج القطر من معتقل ماقوسة قرب مدينة المنيا ، وفعلاً أرسلت له الخطة (أى للسادات) وقد عاوننى فى وضعها الطيار أول حسن إبراهيم (عضو مجلس قيادة الثورة فيما بعد) ولكن أنور السادات رفضها لأنها مركبة من بعض المجازفات وغير مضمونة مائة فى المائة ». ص ٦١ .

وابتداءً من صفحة « ٢٧٧ » سيروى لنا عبد المنعم عبد الرءوف كيف وصله خطاب من اللجنة العسكرية لتسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو ، كان الخطاب بتوقيع اللواء محمد حسن غنيم مساعد وزير الحربية ومقرر اللجنة الفرعية العسكرية وقتها (مارس ١٩٧٧) وتضمن الخطاب ثلاثين سؤالا وأجاب عبد المنعم عن هذه الأسئلة فى خمسين صفحة .. والآن نقرأ تفسيراً أوضح وأعمق للعلاقة مع السادات فيقول :

قبلت وساطة السيدة ناهد رشاد (زوجة طبيب الملك يوسف رشاد) لدى الفريق محمد حيدر باشا لعودة محمد أنور السادات إلى الجيش عام ١٩٤٩ بعد أن ظل بعيداً عنه قرابة سبع سنوات ، استاء البكباشى أنور السادات منى لرفض قبوله فى تنظيم الإخوان الضباط الذى سمى فيما بعد بالضباط الأحرار (!!) وذلك عندما استشارنى المرحوم البكباشى جمال عبد الناصر فى أوائل عام ١٩٤٩ فى هذا الشأن ، أما أسباب معارضتى فهى صداقته للدكتور يوسف رشاد الطبيب الخاص للملك المخلوع وخشيتى من أن يصل نبأ تشكيلاتنا وعلاقتنا بالإخوان للقصر الملكى وقد تحدث أنور السادات عن هذه الصلة « ص ١١٢ ».

ولم يقل لنا عبد المنعم عبد الرءوف ماذا كان رأى جمال عبد الناصر وباقى أعضاء اللجنة التأسيسية تعليقاً على ذلك !! وهل تعمد عبد المنعم أن يتجاهل تماماً هذه النقطة لأن لجنة تسجيل تاريخ ثورة ٢٣ يوليو كان صاحب فكرتها أنور السادات رئيس الجمهورية !!

يضيف عبد المنعم .

ومما أوجد عندى حذرا وريبة أنه فى أحد الأيام من عام ١٩٤٨ وقبيل حادث انفجار

القنبلة فى بيت النحاس باشا جاءنى ضابط لا يزال حياً (وقت كتابة المذكرات) يدعى « سيد مرعى » وأبلغنى أنه أحد الضباط العاملين فى سجن « قرة ميدان » القريب من القلعة ، ومرسل من قِبَل السجين محمد أنور السادات ليبلغنى رسالة شفوية مؤداها أن أذهب لمقابلة الطبيب « يوسف رشاد » بداره فى موعد حدده لى ، فذهبت في الموعد المحدد حيث التقيت هناك بالمرحوم الضابط مصطفى كمال صدقى الذى كان سجيناً معى ومع الصاغ أركان حرب محمد رشاد مهنا عام ١٩٤٧ كما وجدت ضباطاً آخرين منهم محمد يوسف حبيب ، وحسن فهمى عبد المجيد وتحدثوا فى رغبة الملك فى قتل النحاس باشا واقترحوا ملء حقيبة بالمفرقعات لنسف بيته أثناء نومه . فقلت للمجتمعين : إننى أعترض على هذا العمل واستأذنت فى الانصراف وأبلغت جمال عبد الناصر ومحمود لبيب (من الإخوان المسلمين) بما حدث ، وفى صباح اليوم التالى وصلتنى إشارة بالسفر لسيناء خلال ٤٨ ساعة ثم حدث انفجار القنبلة المشهور « ص ٢٨٧ » .

ولكن نفس الرواية السابقة كان عبد المنعم عبد الرءوف قد رواها بشكل مختلف وشهود جدد فى نفس المذكرات السابقة « ص ٦٢ » على النحو التالى :

حضر الملازم « سيد مرعى » طالبا منّى الاتصال بطبيب الملك الخاص الدكتور يوسف رشاد فاتصلت به على العنوان الذى أعطاه لى الضابط . وفى بيت يوسف رشاد التقيت بأنور السادات وببعض الضباط الشبان .. لم يتحدث معى الدكتور رشاد حديثاً خاصاً على انفراد .. وإنما كان كثير المديح والثناء على شخصية جلالة الملك ، وأثناء حديثه أشار إلى التخلص من رئيس الوفد المصرى مصطفى النحاس ومن المرشد العام للإخوان المسلمين الشهيد حسن البنا ، وقد أمن الحاضرون على حديث الدكتور يوسف رشاد بينما غمرنى الاضطراب وصعد الدم إلى رأسى وبادرت بالانصراف مستأذناً . ذهبت فوراً إلى الصاغ محمود لبيب وأبلغته بما سمعته فى هذه الجلسة .

والملفت للانتباه بشكل قوى عند المقارنة بين الروايتين مايلى :

١ ـ فى الرواية الأولى يقول عبد المنعم : إن السجين السادات أرسل له رسالة شفوية عن طريق سجين آخر بأن يذهب لمقابلة طبيب الملك الخاص .

وفى الرواية الثانية يقول لنا : إنه قابل السادات فى بيت يوسف رشاد طبيب الملك !! (كيف ؟) .

٢ ـ فى الرواية الأولى يعترف أنه خرج من الاجتماع وأبلغ جمال عبد الناصر بما دار فيه ، وفى الرواية الثانية لم يرد اسم عبد الناصر (!!)

ومن مذكرات عبد المنعم عبد الرءوف ، أرغمت فاروق على التنازل عن العرش إلى مذكرات إبراهيم بغدادى وعنوانها : أنا المتهم بقتل الملك فاروق .. وفى الحلقة الأولى التى نشرتها جريدة الرأى العام الكويتية يفاجئنا البغدادى بهذه الشهادة :

الحرس الحديدى بدأ فى التفكير فيه عام ١٩٤٩ وكان يختار أفراده من الضباط الذين



جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والسادات يداعب ابنته .

يدينون بالولاء المطلق الأعمى للملك سيد القصر وذلك على حساب أى شىء آخر .. وكنا نعرفهم بالاسم وكنا نتحاشى اللقاء بهم أو الصدام معهم وكانوا نشيطين فى معرفة العناصر المناهضة للملك .

ويقول لنا إبراهيم بغدادى (الحلقة المنشورة بتاريخ ٨٧/١/٣) كيف أنه ذات يوم اتصل بعبد الناصر تليفونيا ليبلغه عن رغبته فى الذهاب إلى فلسطين والتطوع مع أفراد مجموعته ولكن عبد الناصر يرد عليه تليفونيا بقوله : كويس بس قول لـزملائـك .. ما تاخدوش قرار فى الموضوع ده لغاية ما أقول لكم ! قلت : دول متحمسين يافندم ومش عاوزين تأجيل !! قال جمال : أنا مش بأَقَبَّط عزيمتهم ، إنما فيه كلام لازم ينقال يا إبراهيم .. فاهمنى !

ثم يروى إبراهيم ما جرى على هذا النحو :

وقلت لزملائى عما دار بينى وبين جمال عبد الناصر من حديث تليفونى ثم بدأنا نراقب الأحداث وكان أهم خبر وقع علينا فى حينه كالصاعقة ويبدو اننا لم نفهم أبعاده،، هو انضمام اثنين من المتطوعين فى الكتائب المسافرة مع كمال الدين حسين إلى الحرس الحديدى فيما بعد عام ١٩٤٩ هما حسن فهمى عبد الحميد وخالد فوزى . ويبدو أيضا أن الاثنين انضما للحرس الحديدى بناء على توجيه من جمال عبد الناصر شخصياً !! كان

لابد من اختراق حرس الملك والتصدى له من الداخل بمغامرة محسوبة غاية فى التخطيط كان هذا هو عقل جمال عبد الناصر المخطط .

والملفت للنظر فى شهادة بغدادى خلوها من اسم « أنور السادات » .

□□

وننتقل إلى شهادة الكاتب الصحفى الأستاذ « حمدى لطفى » وله أكثر من كتاب هام يروى فيه بعض أسرار ٢٣ يوليو ، وفى شهر أغسطس ١٩٨٢ كتب حمدى دراسة هامة بعنوان : خطأ عبد الناصر فى ليلة الثورة ونشرت فى مجلة الوادى . وفيها يزيح الستار عن بعض الغموض فى علاقة السادات والحرس الحديدى .

قال حمدى لطفى فى تحقيقه السابق :

- إننى أذكر كصحفى عند إعلان أسماء أعضاء مجلس قيادة الثورة بعد أشهر قليلة من القيام بها وكانت تضم أنور السادات وعبد المنعم أمين ، أن ثارت ضجة كبيرة بين قاعدة الضباط الأحرار . اعتراضاً على هذين الضابطين ، وترددت عشرات القصص ضدهما كما تردد أيضاً أن عبد الناصر نفسه كان يشجع سراً انتشار هذه القصص ومنها أن السادات عضو بالحرس الحديدى (!!)

ويضيف حمدى لطفى :

ذكر لى المرحوم الضابط بالفرسان « مصطفى كمال صدقى » وهو من الثوار القدامى وأحد قادة تنظيم الحرس الحديدى الذى كان يعمل سراً لحساب الملك ، ذكر لى عام ١٩٧٢ أن الحرس الحديدى استطاع ضم أنور السادات فى الفترة التى كان متنكراً فيها وما قبل سنة ١٩٤٥ عن طريق الدكتور يوسف رشاد صديق الملك وأحد المسئولين عن تنظيم الحرس الحديدى ، وكان يعطف بشكل خاص عليه . وأن السادات اشترك فى قتل « أمين عثمان » الذى لعب دوراً مؤسفاً لحساب الانجليز ضد الملك فى حادث فبراير ١٩٤٢ وكان الملك قد أصدر أوامره بالتخلص سراً من النحاس وأمين عثمان معاً ، والدليل هو تهريب حسين توفيق قاتل أمين عثمان من السجن إلى سوريا بتعليمات من الملك وبراءة أنور السادات وآخرين من المتهمين فى القضية !! كما قال لى (يقول حمدى لطفى) مصطفى كمال صدقى أيضا إنه والسادات اشتركا فى محاولة اغتيال مصطفى النحاس بعد ذلك ، ولكن المحاولة لم تنجح وكانت العملية بتكليف من الملك الذى وافق فى النهاية وبناء على توصية من الدكتور يوسف رشاد صديق الملك والسيدة ناهد رشاد على إعادته إلى القوات المسلحة وتسهيل حصوله على ترقياته التى حرم منها وأن عبد الناصر كان يعرف هذه الحقيقة ، غير أن السادات منذ عاد إلى الجيش طلب نقله إلى سيناء . وبقى هناك حتى عاد إلى القاهرة ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وطوال هذه الفترة حرم على نفسه القيام بأى نشاط لحساب الحرس الحديدى وهذا ما جعل عبد الناصر يطلب منه فى بداية عام ١٩٥٢ الاشتراك معهم وتجنيد بعض ضباط الإشارة فى رفح لحساب الضباط الأحرار .

ويعلق حمدى لطفى على رواية مصطفى كمال صدقى له قائلاً :

ولم أصدق قصة مصطفى كمال صدقى أوكل تفاصيلها ، فقد كان معروفاً عنه أنه يتكلم كثيراً ، ولكنى سمعت القصة ذاتها من السيد « سعد منصور » وكان يعمل مديراً لأحد مخازن عمر أفندى وهو شقيق الملازم جمال منصور وكيل وزارة الخارجية وأحد الضباط الأحرار فى المدرعات ، وقد ذهبت إلى سعد منصور ، الرجل الذى دفع من ماله الخاص مبلغ ٣٣ جنيها ثمناً لماكينة طباعة رونيو وتم الشراء باسم « محمد شوقى عزيز » موظف بالسكة الحديد وذلك لإبعاد أية شبهة تصيب الضباط الأحرار . قال لى سعد منصور : كنت أمتلك محلاً للخردوات بشارع مصر والسودان عام ١٩٤٩ وكان عبد الناصر يأتى مساء أكثر أيام الأسبوع إلى المحل ويجلس مع أصدقائه وأكثرهم من زملاء أخى الأصغر ضابط المدرعات جمال منصور الذى كنت أشجع فيه نشاطه الوطنى ، ثم فوجئت بأنور السادات الذى كان يعمل بالمقاولات يستأجر شقة تعلو المحل وسمعت عنه الكثير ، وذات مساء شاهد عبد الناصر وهو يغادر باب المنزل فتحدث معه عنا وسأله بعض الضباط لماذا لا ينضم إلينا ؟ وسمعت عبد الناصر يقول :

ليس الآن ، فهو لم يَعُدْ رسمياً للجيش ، وسمعته الشخصية تجعل المرء يتوقف قليلاً عندها ؛ فهذا الرجل له صلات عديدة بالإخوان المسلمين وبالأحزاب السياسية وبجماعات الإرهابيين الذين قتلوا أمين عثمان وبالحرس الحديدى الذى قام الملك بتكوينه للتخلص من العناصر التى تعمل سراً ضده ، وأنا حقيقة احترت فيه (الذى يقول هو عبد الناصر نفسه) خاصة أنه يسعى الآن للعودة إلى الإشارة « السلاح » وأعتقد أن الحرس الحديدى سيعاونه فى ذلك وعلينا أن نضعه تحت الاختبار فترة طويلة قبل أن نفاتحه فى الانضمام إلينا .

وفى نهاية الشهادات تتبقى شهادة ذات طابع خاص ومميز .

صاحب الشهادة هو « أحمد طه » عضو مجلس الشعب « حزب الوفد » وشقيق المرحوم « عبد القادر طه » الذى اغتيل على يد الحرس الحديدى يوم مارس ١٩٥٢ بإجماع كل الذين تحدثوا عن العمليات التى قام بها هذا التنظيم !

جاء اعتراف أحمد طه فى كتاب « حريق القاهرة !: قرار اتهام جديد » للأستاذ جمال الشرقاوى الصادر عام ١٩٧٦ ، وعلى ص ٨٦٨، نقرأ المفاجأة :

ـ أعتقد أنه لم يكن يوجد شىء اسمه الحرس الحديدى (!!!) وهذه رواية اختلقتها « أخبار اليوم » (!!) وليس ما يسمى بالحرس الحديدى هو الذى قتل عبد القادر طه .. إنما الذى قتله هو مجموعة السراى التى قتلت حسن البنا (!!!)

□□

رفيق الطرزى يرد : الملك والحرس الحديدى وأنا .. !

نشرت صباح الخير .. سلسلة تاريخية تحت عنوان .. شاب يسال اين الحقيقة . تناولت الحلقة الاخيرة علاقة السادات بالحرس الحديدى .

فقد علمت ان مجلتكم نشرت بالعدد ١٧٠٦ بتاريخ ١٩٨٨/٨/١٥ موضوعا عن التاريخ المعاصر « شباب يسال اين الحقيقة » ورد فيه « صفحة ٢٨ » ما يلى :

وطبقاً لما كتبه حسن عزت فقد نسب جمال منصور لسيد جاد قوله :

إن الحرس الحديدى تم تشكيله من الضباط المشهود لهم بالجراة والعنف تحت رئاسة د . يوسف رشاد الطبيب الخاص للملك فاروق وكانت هذه المجموعة تتكون من :

عبد الرءوف نور الدين ، وسيد جاد عبد الله سالم ، ومصطفى صدقى ، وحسن التهامى ، وحسن فهمى عبد الحميد ، وخالد فوزى ، وانور السادات ، وعبد الله صادق (ضابط المطافىء فى الحرس الملكى) .

وقد قامت هذه المجموعة بعمليات خطيرة للغاية بإذن الملك ، ومن بينها إطلاق النار على رفيق الطرزى فى مصر الجديدة لمنافسته للملك على إحدى الراقصات ، إلخ ومنها الاعتداء بالقنابل والرشاشات على منزل النحاس .

وللمرة الثانية خلال عام واحد ارانى مضطراً إلى قطع عزلة فرضتها على نفسى منذ ستة وثلاثين عاماً لأبدد للشباب الذى يسال اين الحقيقة ؟ اقول اخفيت عنه بعناية حتى اليوم ، وسيعلم هؤلاء الشباب يوماً : من كانوا ثواراً حقيقيين لوجه الله والوطن ، ومن هم الذين قطفوا ثمار شجرة الحرية التى اريقت من قبلهم بدماء الكثيرين .

١ - اسماء الحرس الحديدى صحيحة ولكنها غير كاملة وإن كان عبد الرءوف نور الدين قد استشهد فى حرب فلسطين .

٢ - عبد الله صادق : مطافىء السيارات الملكية - لم يكن ضابطاً حينئذ بل كان بدرجة « كونستابل » ثم كوفىء بعدها بالترقية إلى ضابط قبل وبعد ١٩٥٢ .

٣ - الاعتداء بالقنابل والرشاشات لم يكن يستهدف منزل النحاس باشا ، بل على النحاس باشا نفسه ، وقد استشهد اثنان من رجالى دفاعاً عنه يومئذ ضمن حراس آخرين .

٤ - الاعتداء على « رفيق الطرزى » صحيح - ولكن السبب غير صحيح - فلم اكن يوماً من رجال الراقصات ، بينما كان منهن فى حياة الملك فاروق اكثر من واحدة ، اما السبب الحقيقى فلم ينشر عنه حرف حتى اليوم - إنه مصر وحدها - لم يستطع فاروق ولا غيره ان ياخذ مكانها عندى !

تلك سطور موجزة ارجو ان تتفضلوا بنشرها كاملها واضحة . اما القصة الكاملة . فقد رويتها فى مذكراتى التى اودعتها مكاناً اميناً ، ومنها سيعلم الشباب من الذى بذل الشباب والولاء والدم فى سبيل مصر ، ومن الذين كانوا قتلة ماجورين للملك فاروق ، ثم من بعده من تولى حمايتهم . بل واكرمهم فاصبحوا حكاماً وسفراء لمصرنا الغالية فى عدد من البلدان .

ختاماً فإنى ادعو الشباب الذين يريدون معرفة الحقيقة أن يتاملوا قليلاً - وليس طويلا - لِمَ استهدف رصاص الحرس الحديدى للملك فاروق رجلين فقط من الوفد ، فقط مصطفى النحاس باشا رحمه الله - ورفيق الطرزى ؟!

اشكركم مقدماً إن تفضلتم بالمساهمة فى توضيح حقائق التاريخ . والسلام عليكم ورحمة الله .

الفصل السادس

الضباط الأحرار بين عبد الناصر والسادات !

لسنوات طويلة كان المعروف والشائع أن جمال عبد الناصر هو الذى أنشأ وأقام تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

ولسنوات طويلة استقر فى أذهان الناس والرأى العام المصرى والعربى أن جمال عبد الناصر هو العقل المفكر لهذا التنظيم الذى نشأ داخل صفوف الجيش المصرى !

ولم يكن هناك من يشكك فى ذلك الأمر .

بل لم يخطر ببال أحد أصلاً أن يتساءل مثلا : وهل كان الضباط الأحرار هو التنظيم الوطنى الوحيد الذى تصدى لمهمة التغيير أو الانقلاب أو الثورة طوال سنوات ما قبل الثورة !!

ومنذ الأيام الأولى لنجاح الثورة توالت المقالات والأحاديث الصحفية التى كتبها أو أدلى بها ثوار يوليو وكلها تؤكد على حقيقة واحدة لا تقبل أى شك أو مناقشة :

جمال عبد الناصر هو صاحب تنظيم الضباط الأحرار وعقله المفكر ورأسه المدبر !!

ولقد حرص أنور السادات نفسه فى كل ما كتبه من مقالات نشرت فى سنوات الثورة الأولى على تأكيد دور جمال عبد الناصر فى تكوين وتأسيس الضباط الأحرار !!

روى السادات وشرح ذلك كله فى كتبه « قصة الثورة كاملة » و« ياولدى هذا عمك جمال » و« أسرار الثورة المصرية » وفعل نفس الشىء كبار الصحفيين وقتها فيما كتبوه من مقالات وذكريات ونوادر .

وحتى بعد رحيل جمال عبد الناصر عن الدنيا وتولى أنور السادات مقاليد الحكم فى خريف ١٩٧٠ لم يكن هناك من يناقش مثل هذه البدهيات والحقائق التى استقرت فى عقول الكل .

أكثر من هذا أن الرئيس السادات نفسه هو الذى أمر وزارة التربية والتعليم بأن تقرر تدريس كتابه « ياولدى هذا عمك جمال » على طلبة المدارس ضمن منهج اللغة العربية !

ولكن ما لبث كل ذلك أن بدأ يتغير !! كان التغيير ببطء لكن فى استمرارية !!

وفجأة بدأت تلميحات هنا وهناك تحاول إعادة كتابة تاريخ الثورة .

وبدأ البعض يكتب أن أنور السادات هو الذى أسس تنظيم الضباط الأحرار وجاء جمال عبد الناصر ليسرق منه هذا الفضل . واستناداً على أن بيان نجاح الثورة نفسه كان قد ألقاه السادات وحتى ذلك الوقت ـ منتصف السبعينيات ـ كان السادات بعيداً ـ أو هكذا كان يبدو ـ عما يجرى ويكتب على صفحات الصحف والمجلات !

وبدون مقدمات أخذ السادات يكتب مذكراته فى الأهرام ثم مجلة أكتوبر والتى روى فيها قصة تأليفه وتكوينه للضباط الأحرار .. ثم عندما كانت المذيعة همت مصطفى تحاوره فى مناسبة عيد ميلاده على شاشة التليفزيون كان يعيد ترديد هذه القصة .

ثم عندما صدر كتابه « البحث عن الذات » لم يكن هناك أدنى شك فيما كان يسمعه الناس أو يقرأونه من أن السادات وحده لا جمال عبد الناصر هو الذى أسس الضباط الأحرار !!

كانت الحيرة تزداد .. والدهشة تتوالى مما يسمع ويقرأ ويكتب وكان السؤال الصامت هو : حيرة الضباط الأحرار بين عبد الناصر والسادات !! ولمن ينسب فضل تكوين وتشكيل هذا التنظيم ؟!

فى كتاب « قصة الثورة كاملة » [صدر عن دار الهلال يوليو ١٩٥٦] يقول السادات :

كان تنظيم الضباط الأحرار فى ذلك الوقت - ١٩٤٩ - قد لحقته خسائر شديدة أثناء المعركة فى فلسطين ، وكان حتما بعد المحنة أن يعوض التنظيم تلك الخسائر . وقد بدأ الضباط الأحرار يعملون على الفور لإعادة الاتصال من جديد ، وكان هدفهم فى هذه المرة تكوين هيئة تأسيسية للضباط الأحرار ثم السيطرة على الجيش تماماً وتكونت الهيئة التأسيسية فعلا وكانت تضم فى البداية جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وعبد المنعم عبد الرءوف .

ثم تضاعف نشاط الضباط الأحرار بعد تلك الخطوة مما حتم زيادة أعضاء الهيئة التأسيسية فانضم إليها عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وجمال سالم وعبد اللطيف البغدادى وكاتب هذه السطور (وطبقا لكلام السادات فقد كان هو العضو رقم عشرة فى الهيئة التأسيسية) وفى يناير ١٩٥٠ أجريت انتخابات رئاسة الهيئة التأسيسية ، وانتخب جمال عبد الناصر رئيسا لها بالإجماع . وفى يناير ١٩٥١ أجريت انتخابات جديدة للهيئة التأسيسية للضباط الأحرار وأعيد انتخاب جمال عبد الناصر رئيسا لها للمرة الثانية !! « ص ٥٤ ، ٥٦ من الكتاب » .

وفى موضع آخر يقول السادات : كان من رأى جمال عبد الناصر وهو رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار والذى انتخب فى كل مرة رئيسا والذى كان عليه أن يقود الثورة فى العلن مثلما قادها فى السر قبل ٢٣ يوليو . أقول كان من رأى جمال أن يكون قائد الثورة حاملا لرتبة كبيرة من رتب الجيش !! « ص ٥٨ » .

وعن خطة الثورة نفسها يقول السادات : كان جمال عبد الناصر هو الذى وضع الخطة العامة وعاونه عبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين ! « ص ٧٧ » .

كانت الثورة قد نجحت وتقرر إخراج الملك وقرر عبد الناصر الاستقالة من رئاسة الهيئة التأسيسية ويقول السادات : رفضت استقالة جمال بالإجماع . لكنه أصر على الاستقالة واضطررنا إلى إجراء انتخاب جديد ، وتمت عملية الانتخاب فى اقتراع سرى كالعادة ، ففاز جمال بالإجماع ! « ص ١٤٩ » .

وفى كتاب السادات « أسرار الثورة المصرية » الذى كتب مقدمته جمال عبد الناصر « الصادر فى ٦٥/٧/٢٦ » يقول السادات : واختار جمال للتشكيل اسم « الضباط

الأحرار » « ص ٢٤٥ » .

ونفس الشيء يكرره السادات فى كافة أحاديثه الصحفية التى أدلى بها طوال فترة وجود جمال عبد الناصر .

مازالت الأوراق والذكريات القديمة تحاول الإجابة عن الحقيقة الضائعة بين عبد الناصر والسادات فى قصة الضباط الأحرار ! ومن الضرورى العودة إلى شهادات بعض أعضاء الضباط الأحرار أنفسهم حول ذلك . وسنعرض لها فى إيجاز شديد . فليس هنا شرح الأدوار التى قام بها كل منهم بقدر معرفة ، وتلمس الحقيقة الضائعة فى أمر تنظيم الضباط الأحرار .

روى يوسف منصور صديق « الذى اقتحم مقر القيادة ليلة الثورة » :

علمت أن البكباشى جمال عبد الناصر هو قائد الضباط الأحرار فتوجهت لزيارته فى مصر « أكتوبر تشرين ١٩٥١ » حيث كان يعمل مدرساً فى كلية أركان الحرب ولم أكن قد قابلته قبل ذلك .

وأصبحت بعد ذلك مسئولاً عن منطقة العريش وكانت المجموعة القيادية تضم : جمال سالم عن الطيران وعبد المنعم عبد الرءوف الذى كان منتمياً للإخوان المسلمين عن الكتيبة ١٤ ، وصاغ صلاح نصر كما تعرفت بضباط أحرار آخرين فى غزة ورفح كان أهمهم عبد الحكيم عامر وصاغ صلاح سالم وبكباشى أنور السادات !

ونتأمل معاً شهادة « كمال الدين حسين » عضو مجلس قيادة الثورة السابق :

- فرضت علينا حرب فلسطين رؤية جديدة ، وهى اكتشاف أن أسباب الفساد جميعاً ترجع إلى القاهرة . واتفقنا على أن نشكل تنظيماً من الضباط لا يكون مرتبطاً بحزب ، شكلنا تنظيم الضباط الأحرار الذى شكلت لجنته التأسيسية الأولى من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين [وبصراحة أكثر يقول :] وليس صحيحاً على الإطلاق أن أنور السادات هو الذى كون تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بالثورة !!

أما خالد محيى الدين فيقول بحسم شديد وبكلمات قاطعة لا تقبل الشك :

تنظيم الضباط الأحرار هو ذلك التنظيم الذى أنشأه جمال عبد الناصر بهذا الاسم عام ١٩٤٩ بعد انتهاء حرب فلسطين . ولا أوافق على رأى السادات القائل بأن حركة الضباط الأحرار بدأت بداية مبكرة منذ أيام عزيز المصرى . إن أول خمسة أشخاص أسسوا الضباط الأحرار هم جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم وأنا وبدأ بهم العمل ثم انضم عبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم فجمال سالم فأنور السادات .

ويضيف : أنه تعرف على جمال عبد الناصر فى تنظيم « الإخوان المسلمين » عام ١٩٤٤ ، وفى عام ١٩٥٠ صدر أول منشور للضباط الأحرار وقد كتبته مع جمال منصور [السفير فيما بعد] .

ولا مانع أن نعود إلى مذكرات اللواء « محمد نجيب » أول رئيس لمصر الذى يقول :
بعد لقاءات عديدة دعانى عبد الناصر إلى تنظيم الضباط الأحرار وهو تنظيم سرى كان هو مؤسسه ، ورئيسه ووافقت على ذلك ! (ثم يضيف فى موضع آخر) ولكن الحقيقة تقتضى أن أقول إننى أول من أطلق عبارة « الضباط الأحرار » على التنظيم الذى أسسه جمال عبد الناصر !!

ولا تزال شهادات الآخرين تحمل أكثر من مفاجأة !!

تقول شهادة عبد اللطيف البغدادى (عضو مجلس قيادة الثورة) كنا نحن ضباط الجيش عندما نناقش أحوال بلادنا وما وصلت إليه حالنا باحثين ومنقبين عن مخرج لنا مما نحن فيه لكسر تلك الحلقة الفولاذية التى كانت مضروبة حول شعبنا لا نجد أمامنا من سبيل ولا طريق لكسر تلك الحلقة إلا بتفجير ثورة .

وكانت حرب فلسطين هى الشرارة التى دفعتهم إلى التحرك والتقاء المواطنين المتحمسين بعضهم بالبعض الآخر والبدء فى تنظيم أنفسهم فى منظمة سرية بهدف الإعداد والاستعداد للقيام بهذه الثورة . وكان السَبَّاق فى هذا التحرك هو « جمال عبد الناصر » .

وقد بدأ جمال عبد الناصر تحركه بالاتصال بقلة من ضباط الجيش والطيران والمعروفين بوطنيتهم .. وكان قد بدأ اتصاله قبل قيام حرب فلسطين بالطيار عبد المنعم عبد الرءوف الذى سبق وقام بمغامرته المشهورة مع عزيز المصرى . وعبد المنعم بدوره قدم لجمال كلا من كمال الدين حسين وخالد محيى الدين وحسن إبراهيم ، وكانت تتم بين تلك المجموعة بعض اللقاءات قبل حرب فلسطين ولكن بعد انتهاء الحرب وما آلت إليه وتحرك الضباط الوطنيين وتذمرهم فقد اقترح جمال على تلك المجموعة التى كان يجتمع بها أن يضم إليهم كل من عبد الحكيم عامر وصلاح سالم وأنا وبذا أصبح عدد هذه المجموعة ثمانية . وضم إلى هذه المجموعة قبل نهاية عام ١٩٥١ الطيار جمال سالم . واقترح جمال عبد الناصر ضم أنور السادات للجنة بعد أن سألنا عن رأينا فيه لسابق اشتراكه معنا فى التنظيم السرى عام ١٩٤٠ ، ولم يكن جمال مشتركاً معنا فى هذا التنظيم السرى بسبب وجوده فى السودان حتى عام ١٩٤٣ . وكان أنور قد أعيد إلى الخدمة بالجيش من فترة ليست بالطويلة ـ عام ١٩٥٠ ـ وقد وافق على انضمامه الجميع ولم يعترض عليه إلا عبد المنعم عبد الرءوف » !!

ولعل شهادة د . ثروت عكاشة عضو الضباط الأحرار ووزير الثقافة الأسبق تلقى كثيرا من الضوء حول قصة تنظيم الضباط الأحرار فيقول هو الآخر فى مذكراته :

« عدنا إلى القاهرة من حرب فلسطين بعد أمل ضاع حزانى موتورين ، وعُينت بإدارة التدريب الحربى فى رياسة هيئة أركان حرب الجيش ، وعُين جمال عبد الناصر مدرساً بكلية أركان الحرب ، وعين عبد الحكيم عامر برياسة سلاح المشاة وبدأ يدعوان إلى تشكيل تنظيم جديد أطلق عليه اسم « الضباط الأحرار » . وكان من الطبيعى أن انضم إليهما فور إبلاغهما لى بالشروع فى العمل . كان جمال عبد الناصر هو الداعى الأول لهذا

التنظيم ومن ثم فقد أسلمنا إليه القيادة . فما شهدنا عليه إلا نزاهة فيما يفعل ويأتى ، وتضحية من أجل الغير ، وحرصاً على إغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت أم معنوية ، فضلاً عن حنكته السياسية ودرايته العسكرية وتجرده المثالى » .

ويكمل حسن إبراهيم عضو مجلس قيادة الثورة السابق ونائب رئيس الجمهورية الرواية بإضافة أبعاد جديدة فيقول :

صاحب تخرجنا فى الكلية الحربية اشتعال الحرب العالمية الثانية وظهور شعور معاد للانجليز ومؤيد لهجوم الألمان . وقد تشكل فى سلاح الطيران نوع من التنظيم ضم مجموعة من الأصدقاء والزملاء منهم (عبد اللطيف البغدادى ، ووجيه أباظة ، وعبد المنعم عبد الرءوف ، وحسين ذو الفقار صبرى وكان عزيز المصرى هو الرأس المفكر والمدبر لهذه المجموعة ، ولكن نشاط هذه المجموعة توقف بعد هرب زميلنا محمد سعودى إلى الألمان . وأثناء حرب فلسطين بدأ تجمعنا من جديد وتشكلت المجموعة التأسيسية للضباط الأحرار من جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر وخالد محيى الدين وكمال الدين حسين ومنّى ثم انضم إلينا أنور السادات عام ١٩٥١ وكانت له صلات سابقة هو وحسن عزت بتنظيم الطيران فى فترة الأربعينيات ولكنها توقفت بخروجه من الجيش واعتقاله » .

وفى موضع آخر يقول حسن إبراهيم : جمال عبد الناصر تحدث إلينا أنا وعبد اللطيف البغدادى بالذات قبل أن يضم إلينا أنور السادات إلى مجلس الثورة وسألنا رأينا ، وأنا فى رأيى أن السادات كان يستحق أن يكون عضواً فى مجلس الثورة باعتبار تاريخه السابق ودوره ، وكانت بعض الآراء غير موافقة عليه والبعض اتهمه بالخيانة إلا أننى كنت من الآراء التى وافقت على انضمامه » .

يقول حمدى عاشور أحد هؤلاء الضباط الأحرار ومحافظ الأسكندرية السابق :

إن تنظيم الضباط الأحرار لم يبدأ إلا بعد حرب فلسطين ١٩٤٨ . وكنت فى ذلك الوقت مازلت ضابطاً مدرساً فى الكلية الحربية . وعرض علىّ جمال عبد الناصر الانضمام إلى الضباط الأحرار ، فرحبت على الفور . وكان دافعى لهذا الانضمام الفورى هو ثقتى غير المحدودة فى عبد الناصر وخاصة دوره فى حرب فلسطين ثم دوره فى انتخابات نادى الضباط وتحديه السافر للسراى !! وكانت خليتى فى الكلية الحربية تضم حوالى عشرة ضباط يرأسها زكريا محيى الدين وتضم كمال الحناوى ومحمد فوزى -وزير الحربية فيما بعد :

ويقول مجدى حسنين عضو الضباط الأحرار :

فى البداية جاء تعرفى على جمال عبد الناصر عام ١٩٤٣ عندما كان يتردد على صديقنا وزميلنا حمدى عاشور ، واستمرت الاتصالات إلى أن قامت حرب فلسطين ، وتبلورت كل مناقشاتنا واجتماعاتنا إلى أن تم إطلاق اسم الضباط الأحرار .. على التنظيم الذى كنا ننتمى إليه .

ونصل لشهادة وجيه أباظة :

فى عام ١٩٣٩ تخرجت فى مدرسة الطيران العليا مع زميلى عبد اللطيف البغدادى ومحمد سعودى وبدأنا نحن الثلاثة نعمل معاً . وما لبث البغدادى أن ضم إلى مجموعتنا حسن عزت وبواسطته تعرفنا على أنور السادات وكانت تربطه بحسن صلة نسب ومصاهرة وأصبحنا بذلك خمسة أفراد .. واستمر تنظيمنا يعمل إلى أن تعرفت عام ١٩٤٧ على جمال عبد الناصر وفى العام الذى يليه كنت أقوم بتوصيل الذخيرة إلى عبد الحكيم عامر فى العريش ، ولكن لم يطلق اسم الضباط الأحرار على التنظيم إلا بعد حرب ١٩٤٨ ..

أما د . محسن عبد الخالق فيؤكد :

- إن تنظيم الضباط الأحرار فقد كان فى واقعه تجمعا من تجمعات وطنية أخرى كانت موجودة فى الجيش . وكانت كلها صدى وتجاوبا بطريقة أو بأخرى مع الأحداث الوطنية العامة . وللتاريخ أقول : إن جمال منصور (مساعد وزير الخارجية فيما بعد) ومجموعته من ضباط سلاح الفرسان هم أصحاب اسم الضباط الأحرار . ولقد اتفقت كافة الجماعات الوطنية التى انضمت إلى بعضها بعد حرب فلسطين على اختيار جمال عبد الناصر قائداً وزعيما لتنظيم الضباط الأحرار . وقد اخترناه اختياراً حراً واعياً !!

ومنذ عامين نوقشت رسالة دكتوراة كان عنوانها « حادث فبراير ١٩٤٢ والحياة السياسية المصرية » .. تقدم بها د . محمد صابر عرب وخصص أحد أبواب الدراسة لمناقشة وتحليل تنظيم الضباط الأحرار فيقول :

إن التاريخ لحركة الضباط الأحرار من المسائل التى تبدو فى غاية الصعوبة نظراً لعدم توافر الوثائق الرسمية التى تمكن الباحث من الوصول إلى الحقيقة من أقصر الطرق ، ومما يزيد الأمر تعقيدا تضارب العديد من روايات المعاصرين بما فيهم أعضاء حركة الضباط الأحرار إلا أن هذا التضارب والاختلاف فى الروايات لن يثنينا عن غايتنا .

وعلى ضوء العديد من الروايات تبدو عدة أمور أشبه بالحقائق :

* أولا : إن فكرة تنظيم الضباط الأحرار ترجع إلى سنة ١٩٣٨ حيث تجمع الضباط الشبان فى معسكر منقباد .

* وثانيا : لعل الفترة من ١٩٣٨ إلى ١٩٤٢ تعد فترة إعداد وترتيب ولم ترق بالتنظيم إلى شكله النهائى ! حيث عاد جمال عبد الناصر إلى القاهرة ضمن الكتيبة الثالثة مشاة ، ولذا فإن هذه الفترة تعد البداية العملية للتنظيم حيث بدأ ينتشر داخل وحدات القوات المسلحة المصرية .

إلا أن الأمر يزداد غرابة وتبدو الأمور أكثر تعقيدا حينما يناقض أنور السادات نفسه ، ففى كتابه « البحث عن الذات » نجده يضرب عرض الحائط بكل ما ذكره فى كتابه « أسرار الثورة المصرية » و « ياولدى هذا عمك جمال » حيث يتحدث عن تنظيم مغاير تماما للتنظيم الذى تحدث عنه من قبل فيقول :

« لقد أنشأت سنة ١٩٣٩ أول تنظيم سرى من الضباط وكان من بين أعضائه عبد المنعم

عبد الرءوف وعبد اللطيف البغدادى وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وسعودى وحسن عزت والمشير أحمد إسماعيل ، ونظرا لاعتقال السادات أغسطس ١٩٤٢ فقد تسلم جمال عبد الناصر قيادة هذا التنظيم أوائل سنة ١٩٤٣ عقب عودته من السودان » !

ثم يضيف د . محمد صابر عرب قائلاً : ولم يترك لنا السادات أية فرصة كى يتجه بنا الظن إلى أن التنظيم الذى يعنيه ، كان تنظيما آخر خلاف الضباط الأحرار ولعل هذه المعلومات الجديدة والتى تضمنها كتاب « البحث عن الذات » تكشف لنا عن أمرين

* أولهما : أن المؤسس الحقيقى لتنظيم الضباط الأحرار هو أنور السادات وليس جمال عبد الناصر !!

* ثانيهما : أن بداية التنظيم ترجع إلى ١٩٣٩ وليس إلى سنة ١٩٣٨ كما ذكر معظم الضباط الأحرار .

ثم يقول الباحث : ونظراً لأهمية تلك الرواية وخطورتها فلابد من تحقيقها ود ' ستها دراسة موضوعية نظراً لما يترتب عليها من نتائج بالغة الخطورة . وعلى ضوء ـكره الضباط الطيارون والذين ذكر السادات أسماءهم ضمن تنظيمه أنهم جميعا أنكروا انضمامهم فى هذه الآونة إلى أى تنظيم خلاف تنظيم الطيران ! فإذا كان السادات يعمل ضابطا فى سلاح الإشارة فمن البديهى أن يتجه تفكيره إلى زملاء السلاح الواحد بدلا من الاتجاه إلى سلاح الطيران ، هذه واحدة !! أما الثانية فلقد ذكر السادات أن من بين الذين قام عليهم التنظيم هو الضابط « خالد محيى الدين » فإذا تغاضينا عن حقيقة صارخة وهى أنه عندما ذكر السادات اسمه ضمن تنظيم سنة ١٩٣٩ لم يكن قد تخرج بعد فى الكلية الحربية ، فكيف نتغاضى عما ذكره خالد محيى الدين نفسه من أن أول صلة له بأحداث سياسية كانت فى صيف ١٩٤٢ عندما عين حارسا على الطيار حسن عزت بعد اعتقاله مع السادات فى ميس سلاح الفرسان فى قضية الجاسوسين الألمانيين فى أغسطس (آب) ١٩٤٢ وأن حسن عزت هو أول من وجه اهتمامه إلى السياسة !!

ويضيف الباحث قائلاً : ومن المؤكد أن أنور السادات قد صدق نفسه ومضى فى ذكر العديد من المغالطات التاريخية والتى تتناقض ومذكرات الضباط الأحرار سواء منها ما نشر فى عهد عبد الناصر أو بعد وفاته

والجدير بالذكر أن جمال حماد عضو الضباط الأحرار والمؤلف والمؤرخ عكف على دراسة نفس هذا الموضوع وخصص له أحد فصول كتابه الهام « ٢٢ يوليو أطول يوم فى تاريخ مصر » وبعد أن يفند ويحلل كل الروايات يعود فيقول : إن قصة انضمام عبد الناصر إلى تنظيم السادات عن طريق عبد المنعم عبد الرءوف بعد عودته من السودان ثم تسلمه التنظيم فى أوائل عام ١٩٤٣ هذه القصة لم تظهر ولم تنشر إلا بعد وفاة عبد الناصر !!

□□

مرة أخرى : إلا بعد وفاة جمال عبد الناصر مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

الفصل السابع

السادات نائبا لعبد الناصر !

... وفجاة أصبح أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية !!

بغير مقدمات سياسية أو غير سياسية اختار جمال عبد الناصر نائبا له يوم ٢٠ ديسمبر عام ١٩٦٩ .

كان القرار مفاجئا تماما لكل المحيطين بجمال عبد الناصر ؛ فما بالك برجل الشارع العادى البعيد كل البعد عما يجرى فى كواليس القيادة ودهاليز الحكم !

كان آخر منصب تولاه السادات هو رئيس مجلس الأمة .. والذى صدر قرار بحله فى ٧ نوفمبر عام ١٩٦٨ . ويتولى د . لبيب شقير رئاسة المجلس الجديد ابتداء من ٩ يناير ١٩٦٩ .

وتفرغ أنور السادات تماما للمهام السياسية رغم انه كان بعيداً تماما عن موقع المسئولية فى الاتحاد الاشتراكى (التنظيم السياسى الوحيد وقتها) قبل ذلك !!

وقرر عبد الناصر فجاة أن يسند إلى السادات مسئولية اللجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى !!

وفجاة وجد السادات نفسه يقترب بسرعة شديدة من جمال عبد الناصر !!

وساعدت الظروف والمقادير وايضا مجموعة من الصدف فى هذا الاقتراب !!

فعندما قامت الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان معروفاً أن هناك مجلساً لقيادة الثورة يتكون من ١٤ عضواً برئاسة جمال عبد الناصر ، كان أنور السادات أحدهم وإن لم يكن ألمعهم ، بل إن أحد أعضاء هذا المجلس اعترض على قرار عبد الناصر بضم السادات إليهم ! وكان هذا العضو هو السيد عبد المنعم عبد الرءوف !!

بمرور الوقت بدأ أعضاء هذا المجلس فى التناقص .. فالبعض تم إقصاؤه مبكراً جداً (عبد المنعم أمين ١٩٥٢) ثم يوسف صديق منصور ١٩٥٤ ، وخالد محيى الدين ١٩٥٤ ثم صلاح سالم وجمال سالم فى عامى ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ، أما عبد اللطيف البغدادى فخرج فى ١٩٦٤ ، وكذلك كمال الدين حسين فى نفس التاريخ ، وحسن إبراهيم فى ١٩٦٦ .

وانتحر عبد الحكيم عامر فى أعقاب هزيمة يونيو (حزيران ١٩٦٧)

لم يبق إذن بجوار عبد الناصر من رجال الحرس القديم سوى أنور السادات وحسين الشافعى !!

من كل هؤلاء كان عبد الحكيم عامر فقط هو الذى شغل منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية من مارس آذار ٦٤ حتى ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

وخمسة فقط تولوا منصب نائب الرئيس هم : البغدادى . كمال الدين حسين . حسن إبراهيم . زكريا محيى الدين . وحسين الشافعى .

وحده أنور السادات الذى لم يتول هذا المنصب حتى يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ .

فهل جاء الدور على السادات ليتولى هذا المنصب ؟!

لأول وهلة ربما تكون الإجابة الحاسمة نعم !!

ولكن هناك مفاجأة يكشف عنها موسى صبرى وكان السادات قد رواها له :

فى صيف سنة ١٩٦٠ طلب عبد الناصر من السادات ترشيح نفسه لرئاسة مجلس الأمة وقبل يوم واحد من انتخاب السادات رئيسا للمجلس فوجىء السادات بصدور قرار جمهورى بتعيينه نائبا لرئيس الجمهورية لمدة ٢٤ ساعة فقط لا غير !! اندهش السادات وإزاء دهشته قال له عبد الناصر : حتى لا تكون فى الترتيب بعد زملائك أعضاء المجلس . وأن يحتفظ بوضعه الدستورى بين زملاء فى المجلس وكلهم سبق أن عينوا نوابا لرئيس الجمهورية .

وليس سراً أن جمال عبد الناصر كان يؤمن بالأرواح ، وكانت له اتصالات لا يعرفها أحد بمن يحضرون الأرواح (أستاذ جامعى شهير فى كلية الحقوق) وكانت إحدى النبوءات التى قيلت له : إن السادات هو الذى سيخلفك فى حكم مصر !! (يعترف بذلك إبراهيم بغدادى محافظ القاهرة الأسبق) .

ويقول السادات لموسى صبرى معلقا : إن عبد الناصر سمع فى إحدى جلسات تحضير الأرواح أن الذى سيخلفه هو السادات ، وربما اقتنع بذلك ، واقتنع بأننى لن أخلفه إلا بانقلاب ولعل ذلك أثر فيه من ناحية تأخير تعيين نائب لرئيس الجمهورية ، واستمر ذلك حتى سبعة أشهر فقط قبل وفاته !

ولعلنا نذكر بالمناسبة أنه بعد أيام قليلة من أحداث ١٥ مايو ١٩٧١ نشر محمد حسنين هيكل فى الأهرام مقالين متتاليين أشار فيهما إلى أن رجال العهد الناصرى الذين أطاح بهم أنور السادات كانوا يقومون بتحضير « الأرواح » للاتصال بجمال عبد الناصر بعد وفاته يسألونه المشورة والرأى وينتظرون تعليماته . » .

وربما ـ فعلا ـ كانت الأرواح وراء السادات فأبعدته عن ذلك المنصب !!

ويبدو أن السادات لم يكن هو الاختيار الوحيد لمنصب نائب رئيس الجمهورية وذلك على الأقل خلال الشهور التى تلت اختياره بالفعل .

إن د . مراد غالب الذى شغل منصب سفير مصر لدى الاتحاد السوفييتى لمدة تزيد على ١٣ سنة يقول :

فى أغسطس عام ١٩٧٠ كنت فى القاهرة وطلب منى جمال عبد الناصر تقديم عبد اللطيف البغدادى للقادة السوفييت ، وقد فهمت من هذا أن الرئيس يجهز عبد اللطيف البغدادى لحركة جديدة ، وكان يبدو أنه يجهز البغدادى ليكون نائباً له ، لكنه لم يقل ذلك مباشرة لكن عندما طلب منى تقديم البغدادى إلى القادة السوفييت قلت له :

ياريس هذه المسألة لها معنى كبير !!

أجابنى : أنت فاهم .. ونفذ !!

ملحوظة هامة : فى هذا الوقت أيضا كان السادات يتولى بالفعل منصب نائب رئيس الجمهورية !!

ويعود د . مراد غالب فيتذكر واقعة لها دلالتها فيقول :

فى أواخر عام ١٩٧٠ قال عبد الناصر وهو فى موسكو : إن أجواءنا أصبحت مفتوحة أمام الإسرائيليين يضربون كما يشاءون اعتماداً على أن أحداً لا يواجههم ، وإذا كان الموضوع بهذا الشكل فإن جمال عبد الناصر ليس هو الذى يستسلم ، فإننى سأتنحى ويأتى بعدى من يستطيع التفاهم مع الولايات المتحدة » .

يكمل د . غالب : الواقع أننى لم أفسر كلمات عبد الناصر عندما سمعتها على هذا النحو ، كما أننى لم أفسر تعيين أنور السادات نائبا على هذا النحو كذلك : ولكننى الآن [١٩٨٣] يمكننى أن أجيب بنعم !!

والملفت للنظر أن الأستاذ موسى صبرى يروى شيئا مشابها لذلك جرى يوم تنحى عبد الناصر عن مسئولية الحكم فى ٩ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ .

يروى موسى صبرى أن السادات قال له فى أحاديث مسجلة مايلى :

حضر عبد الناصر وجلس مع المشير وحدهما ، بعد أن انصرف أبلغنى المشير أنهما اتفقا على التنحى ، وأن يكون زكريا محيى الدين رئيس الجمهورية ولا يعلن عن هذا حتى يذيعه الرئيس . وافهمنى المشير أن الرئيس رشحنى شخصيا لرئاسة الجمهورية ثم قال لسه صغير وزكريا عنده خبرة وله اتصالات بالأمريكان ويمكن يطمئنوا له !!

كنت غير مقتنع بالقرار - السادات لموسى صبرى - قلت للرئيس : هذا قرار خطير .. أنت رمز النظام ويجب أن تبقى ، ويكفى أنا والمشير نتحمل المسئولية ونتنحى !!

وقال لى الرئيس - أى عبد الناصر للسادات - وأنت مالك .. أنت تبقى . أنا عايزك أنت جداً .

واقنعنى الرئيس أن أمريكا تطلب رأسه هو شخصيا ، وبدل ما يخربوا البلد أسبق أنا واتنحى ويجىء زكريا محيى الدين . وأنا كنت عاوزك أنت تتولى رئاسة الجمهورية !

ويذكر لنا الكاتب الصحفى الأستاذ « أحمد حمروش » عضو تنظيم الضباط الأحرار حكاية لها دلالتها البالغة سواء فى وقتها أو بعد ذلك بسنوات !

كان أنور السادات قد بدأ يؤدى دوراً متزايداً فى الحياة السياسية !

وفى يوم ١٠ سبتمبر ٦٩ سقط جمال عبد الناصر فى القاهرة فريسة أول ذبحة صدرية واستدعى إلى منزله فى هذا اليوم كلا من أنور السادات والفريق أول محمد فوزى وشعراوى جمعة وأمين هويدى ومحمد حسنين هيكل وسامى شرف حيث شكلت منهم لجنة للإشراف على شئون الدولة خلال فترة المرض التى منع فيها الأطباء جمال عبد الناصر من الحديث أو الحركة أو مباشرة أية مسئولية !

وفى ٣٠ سبتمبر مثل أنور السادات مصر فى اجتماع القمة الإسلامى فى الرباط ، وفى يوم سفره نشرت صورته وهو يرأس اللجنة الدائمة بحضور « على صبرى » فى آخر اجتماع له بعد استقالته !



عبد الناصر وهيكل والسادات !!

كما قام جمال عبد الناصر بتكليف أنور السادات بعمل اجتماعات أسبوعية مع السفير السوفييتى « سيرجى فينوجرادوف » لمناقشة القضايا السياسية والتعرف على أبعادها ، ونقل صورة عنها إلى جمال عبد الناصر حسب قوله فى تصريحات مختلفة !!

وهكذا دخل السادات ـ يقول أحمد حمروش ـ فى دائرة المسئولية العليا للعمل السياسى وخاصة بعد أن اقتصر عمله على اللجنة التنفيذية العليا بعد حل مجلس الأمة ـ الشعب الآن ـ فى ٧ نوفمبر ١٩٦٨ ، وجرت انتخابات المجلس الجديد يوم ٩ يناير ١٩٦٩ وانتخب د . لبيب شقير رئيسا للمجلس الجديد ، وتفرغ السادات للمهام السياسية وكلف أنور السادات بالسفر مع محمود رياض وزير الخارجية وفريق أول محمد فوزى إلى موسكو يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٩ لمناقشة القادة السوفييت فى بعض القضايا السياسية والعسكرية .

أذكر أننى التقيت به قبل سفره ـ أى السادات ـ وطلب منى إعداد ورقة له عن « لينين وقضايا التحرر الوطنى » لأنه ينوى مناقشة كادر الحزب الشيوعى السوفييتى فى موقف الشرق الأوسط . وأعددت له بحثا مختصراً حول هذه القضية !!

وبعد أيام من عودته وبعد ثلاثة شهور من إقصاء على صبرى ، وفى يوم سفر جمال عبد الناصر بعد شفائه إلى مؤتمر الرباط يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، طلب عبد الناصر من

أنور السادات وهو فى منزله ليرافقه إلى المطار أن يحلف اليمين القانونية نائبا لرئيس الجمهورية !!

□□

لماذا السادات وحده هو الذى اختاره جمال عبد الناصر نائبا له خريف ١٩٦٩ ؟!

الإجابة عن هذا السؤال بمثابة البحث عن إبرة فى كومة قش !! فالروايات عديدة ومتناقضة وطريفة فى نفس الوقت !!

يقول أنور السادات نفسه معللا ذلك الاختيار « بعد ٩ سنوات من اختياره » :

من أحداث تلك الفترة التى كانت ذات أثر بعيد فيما بعد ، أن عبد الناصر فى ساعة صفاء وإلهام قال لى وكان ذلك يوم ١٩ ديسمبر ١٩٦٩ :

- « أنا مسافر يا أنور لحضور مؤتمر القمة العربى فى المغرب يوم ٢٠ ديسمبر .. وزى ما أنت شايف المؤامرات حولى كثيرة ، ومحتمل جداً أن أصاب فى إحدى هذه المؤامرات وأنا مش عايز البلد تبقى تايهة ومش عايز أسيب البلد فى فراغ !! ولذلك قررت أن أعينك نائب رئيس جمهورية وتحلف اليمين قبل ما أمشى » .

فتمنعت (نص تعبير السادات) ما قاله لى عبد الناصر وأجبته :

- فكرت يا جمال ورسيت ؟ أنا مش عاوز يا جمال أبقى نائب رئيس جمهورية .. أنا حا أكمل معاك واشتغل وإذا كان لابد من لقب كفاية علىَّ « مستشار رئيس الجمهورية » !!

قال : لا .. بكرة تفوت علىَّ عشان تحلف اليمين !!

وفعلا ذهبت إليه فى اليوم التالى ومعى حسين الشافعى كعادتنا لاصطحابه إلى المطار .. فى المنزل طلب أن أحلف اليمين وكان ذلك فى وجود « حسين الشافعى » ففعلت وحينما ذهبنا إلى المطار لتوديعه أعلنها عبد الناصر على الجميع » .

ولكن « أنتونى ناتنج » وزير الدولة البريطانية والصديق الشخصى لعبد الناصر منذ قيام الثورة وصاحب الكتاب المشهور « ناصر » له رؤية أخرى فى هذا الصدد إذ يقول :

عقب انتحار عبد الحكيم عامر (خريف ١٩٦٧) ألغى منصب النائب الأول لرئيس الجمهورية وعندما استقال زكريا محيى الدين فيما بعد لم يعين نواباً لرئيس الجمهورية إلا فى ديسمبر ١٩٦٩ عندما أعيد أنور السادات من « الظل » كرئيس لمجلس الأمة ليصبح النائب الوحيد إلى أن وافت عبد الناصر المنية بعد تسعة شهور .

والواقع أنه عندما ترك زكريا محيى الدين الحكومة لم يكن قد بقى من رفاق عبد الناصر الأحد عشر فى مجلس قيادة الثورة سوى اثنين - أنور السادات الذى كان عبد الناصر يستخف به ويعتبره « إمعة » وحسين الشافعى الأضعف شخصية .

وقد بقى كلاهما لأن « الريس » حتى فى أشد اللحظات نزوعاً إلى الشك لم يعتبرهما منافسين له !! «ص » .

وفيما بعد قال حسين الشافعى تعليقا على قرار تعيين السادات نائبا للرئيس

إنه كان حاضراً وقت حلف اليمين الذى تم بطريقة مفاجئة له ودون حضور مصور أو اتخاذ أى إجراءات رسمية ، رغم أن عبد الناصر قد أبلغهما فى الليلة السابقة أنه سيعين نائبا لرئيس الجمهورية دون تحديد اسمه !!

□□

ونأتى لشهادة الأستاذ محمد حسنين هيكل الشاهد القوى الذاكرة على عصر عبد الناصر أو بتعبير بعض رجال السياسة : الرجل الذى كان يعد المسرح السياسى لجمال عبد الناصر . تقول سطور شهادة هيكل :

« فى هذه الأوقات الصعبة - يقصد فترة ما بعد الهزيمة فى ٦٧ - زاد السادات قرباً من جمال عبد الناصر . وكان بيت السادات فى الهرم هو المكان الوحيد الذى يستطيع فيه جمال عبد الناصر أن يذهب لكى يقضى - بين حين وآخر - ساعات مع صديق لم يكن يضغط على أعصابه بإثارة مناقشات سياسية أو عسكرية ملحة !!

كان طبيعيا على هذا الأساس أنه حين تعرض عبد الناصر للنوبة القلبية الأولى فى سبتمبر (أيلول) ١٩٦٩ أن يضع السادات على رأس لجنة تضم بعض القريبين منه وتتولى تسيير شئون الدولة فى غيابه . وعلى أية حال فإن هذه اللجنة لم يقدر لها أن تباشر عملا حقيقيا » .

وأستأذن القارىء لقطع شهادة هيكل السابقة التى قالها عام ١٩٨٣ لأعود إلى شهادة أخرى له أدلى بها عام ١٩٧٥ للأستاذ فؤاد مطر وتدور حول طبيعة عمل اللجنة السابقة .

تقول السطور : « انتهت مناقشة الأطباء إلى أنه من الضرورى أن يعرف الرئيس أنه أصيب بأزمة قلبية ، لأنه إذا عرف يتصرف بما يساعد العلاج ، وقيل له ذلك بالتدريج وتقبل الأمر بإرادة حديدية . وأذكر أن السيد أنور السادات اتصل بى ذلك اليوم نحو السابعة والنصف مساء وطلب أن ألاقيه للاجتماع به فى منزل الرئيس عبد الناصر ، وتوجهت على الفور .

هناك وجدت السادات جالساً فى مكتب سامى شرف الذى يقع فى المبنى المقابل لمنزل الرئيس ، وكان هناك أيضا بالإضافة إلى السادات وسامى شرف الفريق أول محمد فوزى (وزير الحربية آنذاك) وشعراوى جمعة (وزير الداخلية آنذاك) وأمين هويدى (الذى كان يشرف على المخابرات) وقال لنا السادات إن الغرض من هذا الاجتماع هو إطلاعنا على أمر مهم وهو أن الرئيس مصاب بانفلونزا ومن الضرورى أن يأخذ أجازة طويلة !!

وقلت للسادات : أنا مش فاهم حكاية الأجازة والأنفلونزا . ثم إن اجتماعنا علشان إيه ؟!

وأوضح السادات أن الرئيس عبد الناصر قرر حيال اضطراره إلى الأخذ بفكرة الأجازة بأن يؤلف هذه اللجنة التى تضم أنور السادات وسامى شرف وشعراوى جمعة والفريق

أول فوزى وأمين هويدى وأنا ، كى نعقد اجتماعات ونبحث فى مسائل الدولة والقضايا التى التى تستجد .. وقال السادات أيضا إن الرئيس عبد الناصر كلفه أن يكون صلة الوصل بينه وبين أعضاء اللجنة التى طلب الرئيس أن تستمر تعقد أجتماعات إلى أن يصبح قادراً على مزاولة العمل !!

ثم يمضى الأستاذ هيكل شارحاً عدم اقتناعه بحكاية الأنفلونـزا .. إلى أن انفرد بعبد الناصر وحيال الإلحاح والعناد أوضح له المسألة ويقول هيكل بعدها :

وصعقت وأنا أسمعه يقول : يظهر إنى أصبت بذبحة قلبية !!

واتفقنا على ألا نتحدث إلى الرئيس هاتفيا ، وأن نتقابل من حين إلى آخر تبعاً للضرورة التى يراها السادات الذى اختاره الرئيس عبد الناصر رئيسا لهذه اللجنة !

ونعود لباقى شهادة هيكل عام ٨٣ :

فى ديسمبر سنة ٦٩ كان على عبد الناصر أن يشارك فى أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك الوقت فى الرباط بالمغرب . وأتذكر أننى كنت معه فى هذه الرحلة . وعندما دعانى إلى الجلوس بجانبه بعد إقلاع الطائرة كما كان يفعل دائما ، فإنه أشار إلىَّ بالجلوس وعلى وجهه ابتسامة وفوجئت به يقول : هل تعرف ماذا فعلت اليوم ؟! ولم أكن أعرف !!

وقال لى : كان أنور السادات سيمر علىَّ كى يصحبنى إلى المطار ، وطلبت منه أن يجىء معه بمصحفه ، ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب ، وعندما جاء ؛ فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية !

(ويعلق هيكل قائلاً : بالطبع كانت هناك مصاحف فى بيت عبد الناصر ، بل إنه كان هناك على الدوام مصحف بجوار سريره ، ولكن جمال عبد الناصر تصور أن طلبه إلى أنور السادات بأن يجىء معه بمصحف سوف يكون رسالة يفهم منها السادات أن هناك حلف يمين ينتظره) .

وأبديت دهشتى وسألت عن السبب الذى دعاه إلى ذلك ـ يقول هيكل ـ ومد جمال عبد الناصر يده إلى ملف كان قد وضعه أمامه على المائدة فى الطائرة وسحب منه عدة أوراق ناولها لى ثم قال : اقرأ هذه البرقيات . كانت الأوراق عدداً من البرقيات الشفرية أرسلتها مجموعة المقدمة التى سبقت الرئيس إلى الرباط لإعداد الترتيبات الإدارية اللازمة لإقامته ولعمله أثناء انعقاد المؤتمر ، وكان بينها برقية بتوقيع سكرتير عام رئاسة الجمهورية ورئيس مجموعة المقدمة (مفادها أن هناك مؤامرة لاغتيال عبد الناصر) .

والتفت إلى الرئيس مستوضحاً .. وقال هو : إننى كثيراً ما أتلقى مثل هذه المعلومات ، ودائما ما يثبت أنها شائعات بلا أساس ، لكن ظروفنا الآن لا تحتمل أى فراغ ، ولقد فكرت فى أنه إذا فرض وصدقت المعلومات هذه المرة وحدث شىء .. فإن « أنور » يصلح لسد الفترة الانتقالية !! إن الاتحاد الاشتراكى والقوات المسلحة سوف يواصلان تحمل المسئوليات الفعلية ، وفى فترة الانتقال فإن دور أنور سيكون شكلياً !» .



* عبد الناصر ثم الفريق فوزى ثم الشهيد عبد المنعم رياض ثم السادات يستمعان لشرح كمال حسن على [أصبح فيما بعد رئيس للوزراء] .

ثم أضاف عبد الناصر :

إن الآخرين جميعا واتتهم الفرصة ليكونوا نواباً لرئيس الجمهورية إلا أنور .. ولعله دوره الآن !!

وعلى أية حال فهى فترة أسبوع على أرجح الأحوال !

عند هذا الحد انتهت رواية الأستاذ محمد حسنين هيكل .

ولكن فيما بعد نفى شعراوى جمعة حكاية وجود مؤامرة على حياة عبد الناصر وقال :

ولو كان هناك تقرير يفيد بوقوع مثل هذه المؤامرة لكان قد سمع به من بعثة الأمن التى كان قد أوفدها قبل زيارة الرئيس برئاسة اللواء حسن طلعت « أو على الأقل لسمع به » .

□□

ولكن ماذا تحوى شهادة اللواء حسن طلعت نفسه عن حكاية المؤامرة على حياة جمال عبد الناصر والتى بسببها تقرر تعيين السادات نائبا لرئيس الجمهورية ؟!

فى تلك الفترة كان اللواء حسن طلعت يشغل منصب مدير المباحث العامة منذ عام ١٩٦٤ .

يقول حسن طلعت : خلال إقامتنا بالرباط أقام الملك الحسن مأدبة غداء للرئيس فى القصر الملكى ، ولم يجر العمل على دعوتى لمثل هذه المآدب باعتبار أننى لست عضواً فى

الوفد الرسمى . وانتهزت فرصة وجود الجميع فى القصر الملكى وتوجهت لمطار الرباط لاستقبال الطائرة التى ستقل الرئيس فى طريق عودته إلى القاهرة وكانت ستهبط فى ذلك الوقت !

هبطت الطائرة واتخذنا الإجراءات اللازمة لتأمينها وعدت إلى الفندق . وعندما توجهت لأخذ مفتاح حجرتى أبلغتنى موظفة الاستقبال أن هناك رسالة لى بالتوجه فوراً إلى القصر الملكى . انزعجت انزعاجاً شديداً لهذا النبأ وأخذت أضرب أخماساً فى أسداس فى محاولة لتصور ماذا يمكن أن يحدث بالقصر الملكى ويستدعى طلب توجهى إلى هناك ؟! وكنت قد صرفت السيارة المعدة لتنقلاتى ولم أكن أعرف مكان القصر الملكى وأخيراً قررت البحث عن سيارة أجرة ولم يكن ذلك متوافراً إذ يقع الفندق خارج المدينة . وعند توجهى لمدخل الفندق شاهدت الصديق العزيز السيد « صلاح الشاهد » كبير الأمناء قادماً من الخارج فلما رآنى أخذ يصيح بى سائلا أين كنت فأسرعت بسؤاله عما حدث وما سبب استدعائى للقصر ؟ فقال إن السيد الرئيس ناداه ثلاث مرات أثناء المأدبة لسؤاله عن سبب عدم دعوتى للاشتراك بها وليطلب منه إرسال من يحضرنى فوراً وأنه أمر بضرورة دعوتى لمثل هذه المآدب مستقبلا ! حمدت الله على فضله وعلى أن الموضوع لم يتعد ذلك وشكرت للزعيم فى نفسى لفتته الكريمة !

وفى آخر رحلة عدنا فيها إلى القاهرة وبعد أن غادر الرئيس الطائرة إلى أرض المطار تمهل قليلا وأرسل فى طلبى وعندما أسرعت لتلقى أوامره تفضل بمصافحتى معلناً شكره لمجهود الضباط فى تأمين الرحلة ولم يحدث ذلك من قبل » .

ونفهم من كلام السيد « حسن طلعت » عدم وجود أية إشارة صريحة أو ضمنية لحكاية المؤامرة على حياة عبد الناصر !

ونفس الشيء يتأكد من شهادة السيد « صلاح الشاهد » كبير الأمناء فى القصر الجمهورى والذى كان مصاحباً للرئيس عبد الناصر فى هذه الرحلة !!

بعد ١٧ سنة اقتنع عبد الناصر أن السادات رجل وفاء وصدق ! واستقر رأيه أن يعينه نائباً لرئيس الجمهورية ، ولكنه مع ذلك استمر عاماً وهو متردد فى إصدار القرار إلى أن أصدره فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ . هكذا يبدأ موسى صبرى شهادته ثم يضيف :

لقد وجه مصطفى أمين ذات يوم سؤالا مفاجئا إلى جمال عبد الناصر فى الأشهر الأولى للثورة . من تعتقد أنه خليفتك فى قيادة الثورة ؟!

وأجاب عبد الناصر : أنور السادات !

وفى أشهر الثورة الأولى أيضا وجه الشيخ أحمد حسن الباقورى « سؤالا إلى جمال عبد الناصر » بقصد أن يستشف منه الوزن الحقيقى لكل زملاء عبد الناصر فى رأى عبد الناصر وعندما جاء ذكر أنور السادات قال عنه عبد الناصر :

إنه السياسى الوحيد بين هؤلاء جميعاً !!

وعندما حدثت انتخابات اللجنة التنفيذية العليا كان ترتيب السادات الرابع فى الأصوات وجاء فى المقدمة « على صبرى » ثم حسين الشافعى ثم محمود فوزى . وقرر السادات أن ينسحب ويبتعد عن دائرة الحكم ، وتوجه عبد الناصر لمنزل السادات بالهرم وطيب خاطره (ذكر نفس الرواية شعراوى جمعة لأحمد حمروش وقتها) ولم يعترف عبد الناصر بنتائج انتخابات اللجنة التنفيذية العليا وقال إن الأقدميات تبقى كما هى ولا تتغير ، ويبقى السادات هو التالى لعبد الناصر .

ثم كان أمام عبد الناصر إن يختار نائبا لرئيس للجمهورية ، لقد ظل متردداً فى هذا الاختيار وقتاً طويلا لقد أغفل من حسابه حسين الشافعى لاقتناعه بعدم صلاحيته ولم يبق أمامه إلا أنور السادات ، ولكنه استمر متردداً . أن مراكز القوى المسيطرة على عبد الناصر لا تريد أنور السادات . ثم تواترت المعلومات أن المخابرات الأمريكية تعد لاغتيال عبد الناصر ، وتواترت أنباء أخرى ، ومؤامرات أخرى !

واستعرض عبد الناصر شريط حياة السادات معه منذ البداية . ووجد أن أنور السادات هو الوحيد الذى لم يطلب منه أى منصب ولم يتدخل فى أى صراع ، واكتشف فى لحظة صفاء . أن السادات ظل على وفائه وإخلاصه بلا أطماع ١٨ عاماً كاملة .

وفى اليوم الثامن عشر من ديسمبر ١٩٦٩ قال لأنور السادات :

استعد .. ستتولى مسئولية نائب رئيس الجمهورية !

وقال السادات : إنى لا أريد أى منصب . إننى أتولى المسئولية الآن . وإذا كان لابد من منصب .. فأنا اقترح عليك تعيينى « مستشار رئيس الجمهورية » .

ورفض عبد الناصر هذا الاقتراح وقال له :

إن محمود الجيار يحمل هذا اللقب .. ستعمل نائبا لرئيس الجمهورية بصفة رسمية ، وأرجوك أن تراجع نفسك !

وفى صباح ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ .. كان فى ردهة منزل عبد الناصر وفى الصباح المبكر رجلان أنور السادات وحسين الشافعى ، لقد ذهبا كالعادة لأصطحاب عبد الناصر إلى المطار ونزل عبد الناصر قبل موعده بدقيقتين ! واتجه إلى أنور السادات .. وقال له :

- أدعوك إلى حلف اليمين نائبا لرئيس الجمهورية . وحلف أنور السادات اليمين !

وكانت صدمة لحسين الشافعى لم يتمكن من إخفاء مظاهرها . احتقن وجهه .. وارتمى على المقعد ووضع رأسه على كفيه فى حيرة بالغة .. كيف تم هذا .. وبهذه السرعة وبهذه المفاجأة .. وسافر عبد الناصر وتولى السادات مسئوليات نائب رئيس الجمهورية بصفة رسمية !!

ولكن السيدة جيهان السادات تروى قصة اختيار عبد الناصر لأنور السادات لمنصب نائب الرئيس على النحو التالى :

وكان الضغط على عبد الناصر رهيباً ففاجأته نوبة قلبية فى سبتمبر ١٩٦٩ وقيل للشعب

آنذاك أنها مجرد انفلونزا . وبدأ عبد الناصر يحس أن أجله يقترب وهو يواجه خيانة تلو أخرى . ولجأ إلى صديقه الوحيد فى العشرين من ديسمبر ، فبينما كان عبد الناصر يستعد للذهاب إلى مؤتمر قمة فى المغرب طلب من أنور أن يحضر مصحفاً وجعله يحلف اليمين ليكون نائباً لرئيس الجمهورية « ص ٢٨٧ » .

وهكذا لم تشر شهادة السيدة جيهان إلى وجود أية مؤامرة !!

ولكن عبد اللطيف البغدادى فى حديث إلى روزاليوسف (٨٦/٨/١١) يقول بالحرف الواحد :

لقد كان اختيار السادات نائباً وحيداً بسبب التنافس بينه وبين النائب الثانى حسين الشافعى أثناء سفره للخارج ، وأراد عبد الناصر أن يضع حداً لذلك . هذا ما علمته منه شخصيا ـ أى من عبد الناصر !

ويقول كاتب الحديث معلقاً على إجابة البغدادى :

وضحك عبد اللطيف البغدادى مكتفياً بهذا الرد الدبلوماسى .

ولكن الكاتب الصحفى عبد الله إمام ينسب للبغدادى رواية أخرى !!

كتب عبد الله إمام رداً على الكاتب الكبير موسى صبرى الذى كانت مجلة صباح الخير تنشر مذكراته (بقلم كاتب هذه السطور) والتى روى فيها مبررات اختيار السادات نائباً لجمال عبد الناصر ، وكتب عبد الله إمام يقول :

قال لى عبد اللطيف البغدادى إنه سأل عبد الناصر عن اسباب تعيين السادات نائباً له قبل سفره مباشرة فأجابه بأنه بين الشافعى والسادات خلافات ، وكان هذا التعيين لتلافى الخلافات أثناء غيابه وحسم الأمور حيث إن التنافس بين الاثنين انعكس حتى على سائقى سيار يهما حيث كان كل سائق يحاول أن يسبق الآخر بسيارته أثناء الخروج من الاجتماعات !

□□

أما الدكتور « محمد عبد السلام الزيات » وكان أحد الذين وقفوا بجوار أنور السادات فى صراعه مع مجموعة ١٥ مايو ، ومالبث أن اختلف معه ، وشملته قرارات سبتمبر ١٩٨١ .

يقول الزيات فى مذكراته التى نشرها مؤخراً فى « الأهالى » تحت عنوان « السادات القناع والحقيقة » ما يلى بالحرف الواحد :

وأنا أقول وقد عايشت الاثنين عبد الناصر والسادات إن عبد الناصر أحب السادات وأنه كان حريصاً على هذا الحب ، رغم المطاعن والشكاوى والتقارير التى كانت تصل إليه حول تصرفات السادات ، وأنه حاول أن يبقى على هذا الحب وأن يحمى السادات من نفسه فى كثير من الأحيان » .

ويستطرد د . عبد السلام الزيات قائلاً :

تعرضنا فى مناسبات سابقة إلى السؤال الحائر : لماذا اختار عبد الناصر السادات نائبا له فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ؟!

وقد تعرض البعض لنفس هذا السؤال الحائر وقالوا إن هذا الاختيار كان مؤقتاً ولمواجهة مقتضيات معينة . إذ وصل إلى عبد الناصر قبل سفره إلى المغرب لحضور مؤتمر القمة العربية فيه ، معلومات تفيد أن هناك مؤامرة لاغتياله فلجأ على عجل إلى اختيار السادات لهذا المركز (!!) وأقسم اليمين أمام عبد الناصر فى المطار وقبل السفر مباشرة (طبقا لروايات السادات وهيكل وموسى صبرى وحسين الشافعى فإن السادات حلف اليمين فى منزل عبد الناصر) .

قد تكون هذه الإجابة صحيحة ـ يعترف الزيات ـ وهى تتناسب مع الظروف التى كانت قائمة فى ذلك الحين ، فقد كان السادات أقرب شخص من أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى عبد الناصر ، وخاصة بعد الهجوم الذى شنه عليه عبد الحكيم عامر قبل انتحاره ، إلا أننا نستطيع ان نستشف عاملا آخر ، من خلال تتابع الأحداث ، وترابط الوقائع والتسلسل التاريخى ، فخلال الفترة التى جرى فيها اختيار السادات نائباً لرئيس الجمهورية ، كانت إسرائيل قد كثفت مخططها فى إذلال عبد الناصر والحكومة والشعب المصرى إلى أقصى درجات الإذلال ! » .

ولم يكن هناك حل غير تطوير دفاعاتنا الجوية والارتفاع بكفاءتها وقدراتها واستعدادها لتكون قادرة على وقف العربدة الإسرائيلية فى العمق المصرى ، وقام عبد الناصر بزيارة سرية إلى موسكو من ٢٢ ـ ٢٥ يناير سنة ١٩٧٠ لهذا الغرض وقد سمحت لى الظروف أن أطلع على محضر المحادثات التى جرت بين عبد الناصر والقادة السوفييت حول هذا الموضوع :

كان عبد الناصر حاسماً ومحدداً فى طلباته ، وانتهى عبد الناصر إلى القول :

ليس أمامى إلا خياران ، إما أن توافقوا على طلباتى كاملة ، وإما أن أعود إلى مصر وأواجه الشعب المصرى بالحقيقة . سأقول لجماهير الشعب أن الوقت حان لأن أتنازل لرئيس يكون موالياً لأمريكا ، فأنا لم أستطع حمايتهم وعلى هذا الشخص أن يتولى ذلك .. إن لدىّ من الشجاعة أن أواجه شعبنا بالحقيقة .. ولن أكون هـذا الشخص الذى سيستسلم لأمريكا .. سيأتى شخص ليحل محلى وسيكون عليه أن يفعل ذلك ..» .

وأخيراً يقول د . عبد السلام الزيات :

ويبقى بعد ذلك التساؤل عن الشخص الذى كان يعنيه عبد الناصر « برئيس موال لأمريكا » وهل كان عبد الناصر يعد لشىء مثل هذا عندما بادر إلى تعيين السادات نائباً له قبل شهر واحد من هذه المحادثات ..» .. « ١٩٨٧/٩/٢٣ » .

□□

إن أول « مقلب سياسى » كاد أن يكلف السادات منصبه كنائب للرئيس كانت أمريكا سببه !!

وجد السادات نفسه عندما كان نائبا لرئيس الجمهورية فى مأزق سياسى لم يكن فى حسبانه أو تصوره ! وكاد هذا المنصب أن يكلفه غالياً .. بالضبط كان ثمن هذا المأزق الذى تسبب فيه لعبد الناصر أن يفقد منصبه كنائب للرئيس !

فى منتصف عام ١٩٧٠ طرحت أمريكا ماسمى وقتها بمبادرة روجرز كمشروع للتوصل إلى اتفاق نهائى وملزم بشكل تبادلى بين مصر وإسرائيل تحت إشراف الأمم المتحدة .

يقول محمود رياض وزير الخارجية السابق :

وصلت مبادرة روجرز يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ وأعدت وزارة الخارجية دراسات مستفيضة حولها ، كما طلب عبد الناصر رأى وزير الدفاع ورئيس المخابرات العامة ، واستطلع رأى الاتحاد الاشتراكى والتنظيم الطليعى التعرف على الرأى العام فى حالة قبولها ، وعندما أبلغ عبد الناصر القادة السوفييت فى ١١ يوليو أثناء زيارته لموسكو أى بعد ثلاثة أسابيع من تقديم المبادرة بموافقة مصر عليها ، كان ذلك بعد إطلاعه على الدراسات المستفيضة من كافة المؤسسات المعنية ، ثم فوجئنا أثناء وجودنا فى موسكو ببيان يصدره السادات باسم لجنة الشئون السياسية فى الاتحاد الاشتراكى .. يرفض المبادرة . وغضب عبد الناصر لتصرف السادات » ..

ويكمل الأستاذ محمد حسنين هيكل هذه الواقعة ـ وكان وقتها يشغل منصب وزير الإرشاد القومى بجانب رئاسته لتحرير الأهرام ـ فيقول :

حين وصل نص « مبادرة روجرز » بالطرق الدبلوماسية إلى القاهرة لم يكن جمال عبد الناصر موجوداً فيها ، وإنما كان موجوداً فى طرابلس يحضر احتفالا بجلاء الأمريكيين عن قاعدة هويلس بليبيا ، وحولت إليه هناك نصوص « مبادرة روجرز » وكان اتجاهه وهو هناك إلى قبولها ، فقد كانت فى إطار المناورة السياسية الكبرى التى قام بها ، وكانت أقرب شىء إلى توقعاته . لكن « أنور السادات » فى القاهرة لم يكن على علم بخطط « جمال عبد الناصر » كان مازال يشغل منصب نائب رئيس الجمهورية ، وبحكم وجوده فى هذا المنصب تلقى ـ بالطريق الرسمى .. معلومات عن « مبادرة روجرز » وتصور « أنور السادات » فى حدود ما يعرفه أن جمال عبد الناصر سوف يرفض أى مبادرة تجىء من الولايات المتحدة ، وهكذا فإنه مبالغة فى إظهار نشاطه عقد اجتماعاً للجنة السياسة للاتحاد الاشتراكى العربى عرض فيه الخطوط العريضة للمبادرة الأمريكية وبالنيابة عن جمال عبد الناصر ـ كما يتصور ـ فإنه حبذ رفضها .

وعندما سمع جمال عبد الناصر فيما بعد بما حدث فإنه سأل أنور السادات فيما جرى . وكان أنور السادات فى منتهى الحرج ، فقد تصور أنه سبق جمال عبد الناصر إلى ما كان يريد ، لكنه اكتشف متأخراً أنه أخطأ التقدير ، ولم يكن هناك وقت للدخول فى تفاصيل ! .

الفصل الثامن

الطريق إلى الرئاسة !

... وفجاة وبغير مقدمات مات جمال عبد الناصر مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .
وعندما ظهر « انور السادات » نائب رئيس الجمهورية ليعلن هذا النبا ، فوجيء العالم كله بهذا الخبر المفجع !!
وغرق الناس في نهر من الدموع والأحزان من المحيط إلى الخليج .. ولم يخلُ بيت عربي واحد من الأسى والحزن .. وطوال ايام .. تالية لم تتوقف التساؤلات الحائرة في مصر والعالم العربي كله : وماذا بعد جمال عبد الناصر ؟!
وسط هذه الأسئلة كلها .. كان جثمان عبد الناصر يرقد في قصر القبة بانتظار تحديد موعد الجنازة .

وفى ساعات تالية عُرف أن السادات سيصبح هو الرئيس الموقت لمدة ٦٠ يوماً .. ودارت فى الكواليس والدهاليز مشاورات ومناورات .. وجرت تحالفات جديدة وبرزت طموحات قديمة .. ماذا كان يجرى بالضبط فى تلك الساعات من عمر مصر والساعات التى تلتها وانتهت باختيار السادات رئيسا لمصر خلفاً لجمال عبد الناصر !!

يقول أنور السادات :

بعد موت عبد الناصر مباشرة لم تكن بى رغبة فى أن أُنتخب رئيساً للجمهورية ، ولما كان عبد الناصر فى خطاب العودة يوم ١٠ يونيو « حزيران ١٩٦٧ » ـ يقصد بعد التنحى الشهير عن الحكم ـ قد أعلن أنه سوف تجرى انتخابات للرئاسة بعد إزالة آثار العدوان فقد قلت إننى سأعمل « نائباً » لرئيس الجمهورية إلى أن ازيل آثار العدوان وبعد ذلك تجرى الأنتخابات ! ولكننى بدأت أراجع نفسى لما أحسست من تيارات ومناورات من جانب مراكز القوى وأغلبية أعضاء اللجنة التنفيذية التى تركها لى عبد الناصر !! »

ولم يكن ذلك هو السبب الوحيد الذى جعل السادات يعدل عن رأيه فى واقع الأمر ، ولكن هناك سببا أخر يفصح عنه السادات قائلاً :

وصل الرئيس بومدين رئيس الجزائر قبل الجنازة واجتمع بى ولما علم أنى سأعمل نائباً لرئيس الجمهورية إلى أن تتم إزالة آثار العدوان اعترض بشدة وقال إنه لا يجب أن يكون هناك أى شك أو اهتزاز فى صورة مصر فى عيون العالم . وأنه يجب أن ينتخب الشعب رئيس الجمهورية فوراً حفاظاً على مكانة مصر ومسئوليتها التاريخية بالنسبة للمعركة والأمة العربية كلها !! »

ورغم رغبة هوارى بومدين رئيس الجزائر الراحل فقد كان هنا سبب هام لدى السادات .. هكذا قال وأضاف بتوضيح أكثر وبلا لبس أو غموض فى كلماته :

ما جعلنى أحسم الأمر مذكرة أرسلتها لى القوات المسلحة تقول فيها إن الظروف التى تمر بها صعبة ودقيقة للغاية وإن أمام القوات المسلحة واجبا لابد من إنجازه ولذلك فهم بحاجة إلى وجود قائد أعلى مسئول يتمكنون تحت رئاسته من تحقيق هدفهم » .

□□

وفى يوم الخميس « ١/١٠/٧٠ » بعد تشييع الجنازة استدعيت المسئولين وقلت لهم إننى عدلت عن البقاء كنائب لرئيس الجمهورية وأنه لابد من الانتخاب ولذلك طلبت انعقاد اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى (المكتب السياسى) فكل شىء يجب أن يسير وفقا للدستور (!!) طبعا كانت هناك صراعات ومناورات أثناء انعقاد اللجنة فأحدهم مثلاً وكان العضو الباقى معى من أعضاء مجلس الثورة (يقصد حسين الشافعى) طلب أن يظل الوضع كما هو وقال لى :

ـ أنا أخشى لوقدمنا اسمك أن تكون محرجاً فالبلد ترفضه وإذا حدث هذا فسيكون معناه أن البلد بترفض ثورة ٢٣ يوليو !!

قلت له (أى لحسين الشافعى) :

ـ أنا عندى من الشجاعة الكافية ـ إذا عرضتم اسمى ورفضه الشعب ـ أن أجمعكم مرة أخرى ونختار مرشحاً آخر ! وإذا رفض الشعب المرشح الآخر فسنعاود الكرة ونختار مرشحاً جديداً ...فلن أسلم البلد إلا لرئيس منتخب من الشعب مهما كلفنى هذا من معارك !!

ونصل لنهاية سطور شهادة السادات التى تقول :

انتهت المناقشات بالموافقة على تسميتى رئيسا للجمهورية وذهبنا إلى اللجنة المركزية التى وافقت على اختيارى كما وافق مجلس الشعب ، وبعد ذلك أجريت الانتخابات وانتخبنى الشعب رئيسا للجمهورية ، وكان ذلك فى ١٥ أكتوبر سنة ١٩٧٠ . (بأغلبية ٩٠,٠٤٪ من الذين اشتركوا فى الاستفتاء وأعلن النتيجة شعراوى جمعة وزير الداخلية وقتها !!) .

وبعد ٧٢ ساعة بالضبط وجه السادات بيانا إلى الشعب قال فيه بالحرف الواحد :

« إننى أعتز بالنتيجة التى أسفر عنها الاستفتاء الشعبى أى أكثر من ستة ملايين قالوا نعم لترشيحى وأكثر من سبعمائة الف قالوا لا . وأعتز بأمانة أن هذه ظاهرة صحية ، وإن كنت أود أن أضيف اعتقادى الشخصى بأن الذين قالوا لا لم يقولوها اعتراضا على الثورة ، ولا على استمرار الطريق وإنما كان قولهم لها تحفظا على المرشح لرئاسة الجمهورية نفسه !

وأضاف السادات يومها فى نفس البيان :

إن هذا الشعب لا يجب أن يمنح ثقته المطلقة لفرد بعد جمال عبد الناصر ، وإننى أعدكم أننى سأكون للجميع للذين قالوا نعم .. والذين قالوا لا » ..

ولفت الانتباه وقتها أن السادات بعد أن انتهى من إلقاء بيانه استدار ناحية تمثال نصفى لجمال عبد الناصر وانحنى أمامه !!

وانطلقت نكتة تقول تعليقا على كلمات السادات فى هذا البيان بالذات .. إن السادات سيكون للذين قالوا لا والذين قالوا نعم وأيضا « أمه نعيمة » لأنها قال نعمين !! والمعروف

أن وقتها كانت الفنانة الشعبية ليلى نظمى لها أغنية شعبية شائعة جداً تقول بعض كلماتها : أمه نعيمة .. نعمين .. خلى عليوه يكلمنى !!

□□

كان السيد حسين الشافعى حسب كلام الرئيس السادات الوحيد الذى اعترض على ترشيح السادات معللا ذلك بأن اسمه سيكون محرجاً ؛ فالبلد يرفضه !! من هنا تأتى أهمية الاستماع لشهادة حسين الشافعى وتأمل حروفها وما بين سطورها :

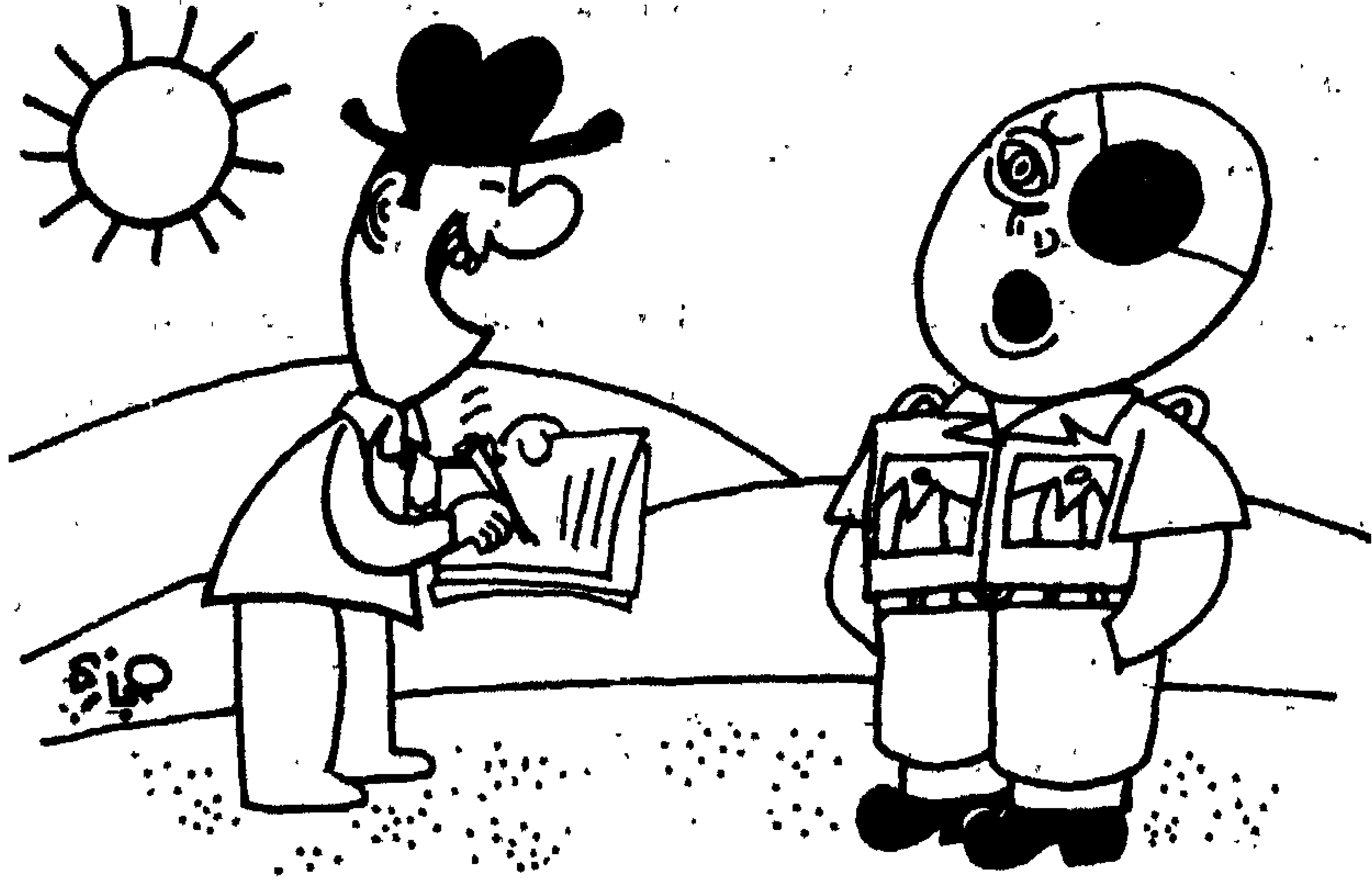
يقول حسين الشافعى :

بعد وفاة عبد الناصر مباشرة دعيت اللجنة التنفيذية للاجتماع وفوجئت بوجود تكتل واضح وظاهر داخل اللجنة يهدف إلى فرض السادات ، فقد كان بيان ترشيحه معداً خارج الاجتماع وقد جاءوا جميعا بقيادة على صبرى ، وكان المتحدث باسمهم هو د . لبيب شقير ، وشعرت أنها بداية خطيرة جداً ، وإذا مرت المناسبة دون تصحيح الأوضاع وتقويم المسار ، ووضع النقاط على الحروف فستصبح اللجنة التنفيذية بلا وجود حقيقى ، وسيسىء هذا لكل من ارتضى هذا المدخل لمرحلة جديدة وخطيرة .

يضيف حسين الشافعى : وأذكر أنهم فى تلك الجلسة حضروا بالبيان وكان هدفهم الإسراع فى تعيين أنور السادات ، ليكتسبوا شرعية ، ويبدو أنهم كانت لديهم الوثائق التى تمكنهم من السيطرة عليه سيطرة كاملة (لم يشر الشافعى ماذا يقصد بهذه الوثائق) فكان حماسهم فى الإسراع فى الحصول على هذه الشرعية يتجاوز كل تصور وبدأت المناقشة وكل منهم ينافس الآخر فى تمجيد أنور السادات باعتباره خليفة عبد الناصر الوحيد (!!) وكان هدفهم من هذا الإسراع هو الالتفاف حول القوى الأخرى التى يعتبرونها منافسة أو مضادة لهم (أيضا لم يشر الشافعى لماهية القوى الأخرى وإن كان الأرجح أنه يقصد أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقين بقيادة عبد اللطيف البغدادى والتى ستجىء شهادته بعد قليل) .

وراعنى ما سمعت ولكن كيف السبيل وهم يمثلون الأغلبية فى اللجنة التنفيذية ، وليس هناك من هم خارج دائرتهم إلا د . محمود فوزى (اختاره السادات رئيسا للوزارة فى نوفمبر ٧٠) والدكتور كمال رمزى استينو ولم يكونا على استعداد للدخول فى الصراع وبالتالى فلن يتصدى للموقف سواى وقلت بالنص :

لم أكن أتصور على الإطلاق ، أن أول جلسة بعد وفاة عبد الناصر ، تجتمع اللجنة التنفيذية العليا فيها علشان تعيين أنور السادات رئيسا ، بدون الالتزام بمنهج أو برنامج أو إعلان أن الهدف من الاجتماع يجب أن يكون هو بحث وسائل المحافظة على نظام عبد الناصر وتأكيد استمرار ثورة ٢٣ يوليو (الغريب أن قبل ذلك بثلاث سنوات وفى إحدى جلسات مجلس الوزراء قال حسين الشافعى لعبد الناصر : إن الخطأ الأول الذى ارتكبناه قبل النكسة كان رفع الشعارات العديدة وعدم تنفيذها وأن الشعب فقد ثقته فى قيادته



- هل توافق على انتخاب أنور الســادات رئيسا للجمهورية ؟
- طبعا لأ .

● كاريكاتير للفنان حجازى [١٩ اكتوبر ١٩٧٠] .

بسبب كثرة هذه الشعارات وعدم الرغبة في تنفيذها .. وبهدوء شديد مع ضبط هائل للأعصاب قال عبد الناصر لا أذكر أبداً أن الأخ حسين الشافعى قد طلب منى أى شىء قبل النكسة أو تحدث معى بشأن أى قضية سوى مرتين .. إحداهما كانت وساطة من جانبه لرفع الحراسة عن أحد الأشخاص .. والثانية كانت لحل مشكلة تتعلق بأحد أقربائه .. وإذا كانت تلك هى الصورة كما يراها حسين الشافعى وإذا لم يكن يشارك قبل النكسة فى كل ما يجرى ويوافق عليه .. فلماذا استمر فى الحكم ؟) .

ويقول أمين هويدى الذى كان حاضراً تلك المناقشة إن حسين الشافعى رد على جمال عبد الناصر قائلاً : الاستقالة أبسط شىء ! لا تكلف الإنسان إلا قصاصة ورق ! ورد الريس لماذا لا تقدم هذه القصاصة ؟!

ونعود لشهادة الشافعى الذى يضيف :

فإذا كان السادات يعبر عن استمرار الثورة كـان بها .. إننى لا أنتخب رئيس الجمهورية لشكله أولونه ولكن لالتزامه بنمط معين يمثله برنامج سياسى مفصل بما فى ذلك المراحل الآتية لتنفيذه وطالبت بالإعلان عن ذلك البرنامج ، فرد على صبرى :

- أنا مش قادر أفهم إيه المقصود من البرنامج ؟ وإيه المقصود من الهدف ؟! إذا كنا جميعا موافقين على أنور السادات ؟!! وانتهت الجلسة وتحققت الشرعية فى شخص أنور السادات !!

انتهت شهادة حسين الشافعي وتبقى أكثر من ملحوظة هامة . فأنور السادات اختار الشافعي نائبا لرئيس الجمهورية حتى ١٤ أبريل عام ١٩٧٥ . ثم أنه ـ أى الشافعي ـ وقف مع السادات فى صراعه الشهير مع مجموعة على صبرى !! ثم أن السادات وحسين الشافعي أبناء دفعة واحدة فى الكلية الحربية هى دفعة عام ١٩٣٦ ، ثم أن حسين الشافعى يؤمن بيقين أنه الأحق من السادات برئاسة الجمهورية ، فهو ـ أى الشافعى ـ كان نائبا للرئيس منذ عام ٦١ بينما السادات أصبح نائبا عام ٦٩ فقط ولمدة عشرة شهور !

السيد أمين هويدى لا يحتاج إلى تعريف .. فقد تولى إدارة المخابرات المصرية فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ ثم أصبح وزيراً لفترة .

يقول أمين هويدى ::

كانت الإذاعة والتليفزيون قد قطعا برامجهما العادية واقتصرا على إذاعة القرآن الكريم .. وبدأ الشعب يحدس ويخمن عما وقع ولكن لم يخطر ببال أحدٍ أن آيات الله تتلى على روح عبد الناصر بعد أن فارق الحياة !!

وتم عقد اجتماع مشترك لأعضاء اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء فى قاعة الاجتماعات الموجودة بقصر القبة وهى القاعة التى كان يعقد فيها عبد الناصر اجتماعات المجلس بصفة دائمة . وجلس الوزراء كل فى مكانه وترك مكان الرئيس الراحل شاغراً لم يجلس فيه أحد .. كان جسد الرئيس موضوعاً فى غرفة « العيادة » بقصر القبة على خطوات معدودة من اجتماع المجلس بعد أن تم نقله من منزله « بمنشية البكرى » ولم يكن قد تم نقله إلى ثلاجة القصر فى انتظار تشييع الجنازة .

وتولى السيد أنور السادات « نائب رئيس الجمهورية » رئاسة الجلسة وبدأ فى تبليغ الأعضاء تفصيلات ما حدث والذهول مخيم على الجميع . ثم عاد أنور السادات ليتحدث عن الهيكل العام لتشييع الجنازة ، وحينما أراد الانصراف على عجل ـ يقصد السادات ـ ليذهب إلى مبنى الإذاعة والتليفزيون ليلقى بيانه على الشعب آثار لبيب شقير بحكم رئاسته بمجلس الأمة موضوع السلطة بعد وفاة الرئيس الراحل وقال الرجل بالحرف الواحد « إن المادة ١١٠ من الدستور تنص على أنه فى حالة استقالة الرئيس أو عجزه الدائم عن العمل أو وفاته يتولى الرئاسة مؤقتاً النائب الأول لرئيس الجمهورية ثم يقرر مجلس الأمة بأغلبية ثلثى أعضائه خلو منصب الرئيس ، ويتم اختيار رئيس الجمهورية خلال مدة لا تتجاوز ٦٠ يوماً من تاريخ خلو منصب الرياسة .. وتطبيقا لهذا النص الدستورى اقترح أن يتولى الرياسة المؤقتة السيد « أنور السادات » .

والتفت إليه السيد أنور السادات ـ أى إلى د . لبيب شقير ـ وهو يهم بمغادرة قاعة الاجتماع قائلاً : ليس هذا هو الوقت المناسب لمثل هذه الأحاديث وعلى أية حال اعملوا دراسة دستورية عن هذا الموضوع إذ كان من رأى سيادته ـ أى السادات ـ الذى كان

يصر عليه خلال الأيام التالية ألا يتولى الرياسة إلا بعد إتمام إزالة آثار العدوان .

وليس صحيحا ما قاله البعض من إنه كان هناك مناورات أو تردد فى إعمال نص الدستور فى تلك الليلة .

□□

والملفت للنظر حقاً هو ما جرى فى الساعات التالية مباشرة ، ونترك تفاصيلها لشهادة أمين هويدى الذى يقول :

وخلال أيام قليلة من وفاته ـ يقصد عبد الناصر ـ قدمت ثلاث استقالات !

● الاستقالة الأولى : من د . محمود فوزى وكان ذلك فى أول اجتماع للجنة التنفيذية العليا بعد وفاة الرئيس ويبدو أنه كان متأثراً من عدم حضوره أول اجتماع مع الوفد السوفييتى برئاسة « كوسيجن » وأراد أن يجس النبض بالنسبة لوضعه فى النظام الجديد . ولذلك فإنه سحب استقالته بالسرعة التى قدمها بها بمجرد أن أبدى أعضاء اللجنة تمسكهم به !!

● الاستقالة الثانية : قدمها محمد حسنين هيكل من منصبه الوزارى كوزير للإرشاد إلا أن السيد أنور السادات رأى ألا يبت فيها إلا بعد الاستفتاء على منصب رئاسة الجمهورية الذى قد تحدد فى ذلك الوقت !!

● الاستقالة الثالثة : قدمها السيد حسين الشافعى وامتنع فعلا عن الذهاب إلى اجتماع اللجنة المركزية الذى كان سيتم فيه مناقشة قرار اللجنة التنفيذية العليا لترشيح السادات لمنصب رئيس الجمهورية وكان سبب تقديمه للاستقالة هو تمسكه بمنصب رئاسة الوزارة طالما أن السادات رشح لرئاسة الجمهورية ، ويبدو أن أحداً لم يتصل بسيادته بخصوص هذه الاستقالة وبالرغم من ذلك فإنه سحبها فى اليوم التالى كما علمنا !! وكان هو العضو الوحيد فى اللجنة التنفيذية العليا الذى اعترض على ترشيح السيد أنور السادات للرئاسة إلا أن السادات تقبل هذا الاعتراض بروح ديمقراطية سمحة !!

وفى الوقت الذى كانت تقدم فيه تلك الاستقالات كان العمل الجاد لإكمال الترشيح لمنصب رئاسة الجمهورية يتم على قدم وساق فاستقر الرأى على الآتى :

● يعرض الترشيح على اللجنة التنفيذية العليا يوم السبت ٣ اكتوبر (تشرين اول) ١٩٧٠ .
● يعرض الترشيح على اللجنة المركزية يوم الاثنين ٥ اكتوبر ١٩٧٠ .
● دعوة مجلس الأمة لاجتماع غير عادى صباح يوم الأربعاء ٧ أكتوبر ١٩٧٠ .
● يتم الاستفتاء يوم الخميس ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ .
● إذا جاءت نتيجة الاستفتاء بنعم يجتمع مجلس الأمة يوم السبت ١٧ اكتوبر ١٩٧٠ ليؤدى رئيس الجمهورية امام المجلس اليمين الدستورية وفقا لنص المادة ١٠٤ من الدستور .

أخيراً يقول أمين هويدى :

وانصرف كل فيما يخصه لبذل كافة جهده حتى يتم نقل السلطة بالطريقة الدستورية فى صورة رائعة ، وقد تمت كل هذه الخطوات فى دقة أذهلت العالم ، وقد التزم الجميع بالدستور القائم التزاما لاشك فيه .

□□

أما شهادة السيد « محمود رياض » وزير الخارجية ثم أمين الجامعة العربية فتقول :

جاء السادات إلى الحكم نتيجة ضربة من ضربات القدر ، فعبد الناصر شأنه كشأن سائر البشر لا يتصور أنه سيموت فى سن مبكرة ، ولهذا لم يعد من يخلفه الإعداد السليم !! ولا إعتقد على ضوء ما كنت أسمعه من عبد الناصر ، أنه كان يرى أن أصلح من يخلفه هو السادات وإلا لما تركه فى هذا الفراغ السياسى الذى كان يعيش فيه !

يضيف محمود رياض وهو يتذكر ما جرى مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ قائلاً :

لقد بدت على وجه أنور السادات ملامح التأثر وهو ينعى إلينا جمال عبد الناصر قائلاً :

- « إن وفاءنا لجمال عبد الناصر ان نعمل على الاستمرار فيما بناه بنفس التصميم ونفس الإخلاص وبنفس التجرد ، واليوم اضع حياتى ثمناً للاستمرار فى كل ما بناه جمال عبد الناصر وبلا اى تردد » !!

وخلال المناقشات التى حدثت بعد ذلك سألنى أنور السادات قائلاً : هل ترى أن وفاة الرئيس جمال عبد الناصر يمكن أن تجعل السوفييت يتراجعون فى التزاماتهم نحو مصر ؟!

وأجبت قائلاً : إنه بصرف النظر عن السوفييت والأمريكان ، فإن العامل الأساسى الذى يجب ضمانه هو مدى استمرار التماسك فى جبهتنا الداخلية !

وأيدنى عدد من الحاضرين مطالبين بضرورة إعداد بيان سياسى يوضح أن السيد أنور السادات سيقوم مؤقتاً بأعباء رئيس الجمهورية ، وبأننا مستمرون فى السير على نفس الخط السياسى الذى وضعه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر !

وطلب منى أنور السادات إعداد هذا البيان السياسى لمناقشته فى اجتماع يعقد صباح اليوم التالى !

ويختتم محمود رياض شهادته بقوله :

وتولى السادات الحكم تنفيذاً للدستور ، ولم يكن مغتصباً للسلطة ، ولم يكن لأحد الفضل فى تعيينه رئيسا للجمهورية ، كما أن اختياره لم يتم باعتباره شخصية يمكن السيطرة عليها كما رد البعض - المقصود محمد حسنين هيكل - لأن موضوع الاختيار لم يكن مطروحاً إطلاقاً !

أما شهادة سيد مرعى حول ملابسات اختيار السادات لخلافة عبد الناصر فتقول عن وقائع ليلة ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ :

بدأ أنور السادات يطلب الآراء فى كيفية نعى الرئيس جمال عبد الناصر إلى الأمة .. وتلا النص المقترح .

وهنا اقترح السيد حسن التهامى أن تضاف إلى مشروع النص آية قرآنية أو حديث يعطى معانى الإيمان .

ورأى د . لبيب شقير رئيس مجلس الامة إضافة عبارة عن استمرارنا فى سياسة عبد الناصر .

ورأى السيد كمال رفعت وزير القوى العاملة إنه بالإضافة إلى النعى - أن يصدر بيان من اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء باستمرار سياسة الدولة كما رسمها جمال عبد الناصر والسير على مبادىء عبد الناصر !!

وعلق د . عزيز صدقى وزير الصناعة بأن هذا البيان يكون بعد تقرير الشكل الدستورى الذى سنسير عليه ! ولكن السيد حسين الشافعى اقترح أن يكون النعى والتقرير الطبى هما اللذان يصدران الآن . أما البيان السياسى فمهما كانت بلاغته فسيكون مرحلة تالية .

وقال أنور السادات : إن الكُتاب سيتناولون كل شىء فى كتاباتهم خلال الأيام القادمة ..

وهنا رجا السيد محمد حسنين هيكل وزير الإعلام الانتهاء من الاتفاق على صيغة النعى والمبادرة إلى إذاعته - لأن الإذاعة والتليفزيون قطعا برامجهما العادية ويذيعان القرآن الكريم على جميع الموجات .. ولابد من إذاعة النعى !!

وتكلم السيد حسن التهامى فاقترح أن يتولى أنور السادات شخصيا إذاعة النعى ووافق السادات على ذلك وغادر مقر الاجتماع متوجهاً إلى دار الإذاعة .. بينما استمر الاجتماع برئاسة حسين الشافعى !

وعقب عودته - أى السادات - استأنفنا الاجتماع قبل منتصف الليل بربع ساعة !!

ويروى سيد مرعى المناقشات التى دارات بين د . لبيب شقير (رئيس مجلس الأمة) والسادات حول إجراءات ترشيح رئيس الجمهورية ، وتساءل السادات : هل نحن فى وضع يسمح بإجراء إنتخابات رئاسة الجمهورية على الصورة المنصوص عليها فى الدستور ؟!

ورد السيد كمال رفعت بأنه يرى استناداً إلى المادة ١١٠ من الدستور أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية مؤقتاً .. أما باقى الإجراءات فتكون موضع مناقشة تالية !

وأيد السيد حسن التهامى هذا الرأى ، وبناء عليه طلب السيد أنور السادات من السيد لبيب شقير إعداد بيان يصدر عن اللجنة التنفيذية العليا ومجلس الوزراء عن تولى نائب رئيس الجمهورية منصب رئيس الجمهورية بصفة مؤقتة وأن يبلغ ذلك إلى السيد محمد حسنين هيكل » .

والملفت للانتباه أن على صبرى قال فيما بعد : أنا لم أفكر فى تولى القيادة لعدة أسباب هى أن الرئيس جمال كان قد اختار السادات نائباً لرئيس الجمهورية وأنا ملتزم بخط جمال عبد الناصر ، فى تفكيرى !!

من الضرورى الاستماع لشهادة كل من الفريق أول محمد فوزى والفريق أول محمد صادق !!

فالأول كان وزير الحربية ساعة رحيل عبد الناصر ثم أقصاه السادات أو استقال عقب أحداث مايو ١٩٧١ . والثانى تولى وزارة الحربية بعد محمد فوزى مباشرة إلى أن أعفاه السادات قبل حرب أكتوبر بحوالى عام وبالتحديد فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢

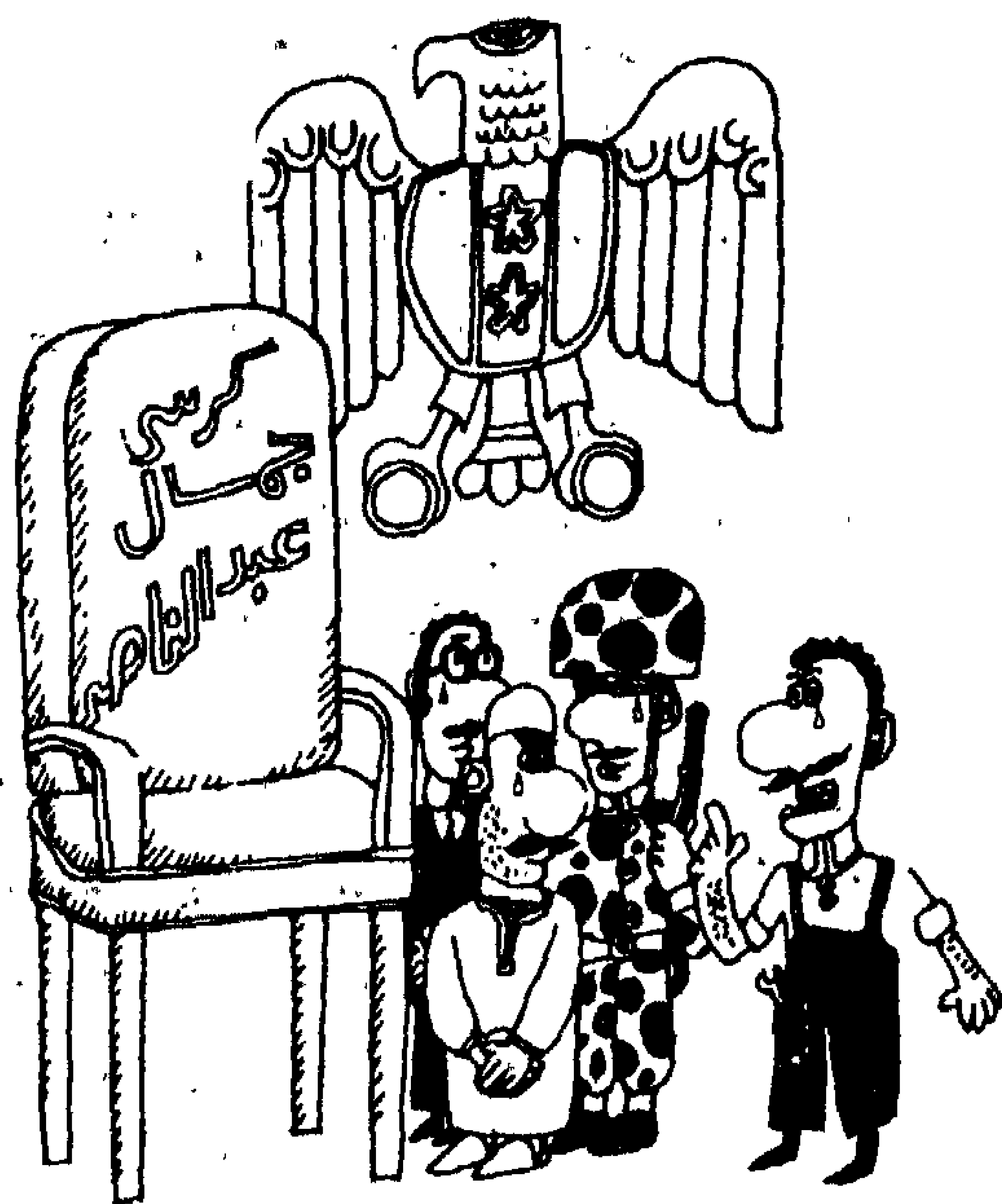
تقول شهادة الفريق أول محمد فوزى :

" كان تعيين السيد أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية يوم ٢٠/١٢/٦٩ هو الأساس الوحيد الذى اعتمدت عليه مؤسسات الدولة والقوات المسلحة فى إعلان اسمه رئيسا مؤقتاً ، وبادرت بفكرة توجيه رسالة نيابة عن قادة وضباط ورجال القوات المسلحة إلى الرئيس المؤقت أنور السادات لاستبعاد فكرة الرئاسة المؤقتة التى طرحها بشخصه عقب وفاة الزعيم الراحل مباشرة ، وكان تأييد القوات المسلحة ترشيح السادات رئيسا للجمهورية يؤدى إلى استقرار الوضع القيادى فى الدولة . وأثرت تدعيم واستمرار الشرعية من أجل استقرار القيادة والسيطرة على القوات المسلحة باعتبار أن رئيس الجمهورية هو القائد الأعلى للقوات المسلحة فى نفس الوقت . وبعد موافقة جميع القادة على اقتراحى وجهت خطابى فى اليوم التالى للسيد أنور السادات بوصفى قائداً عاماً للقوات المسلحة ونيابة عن القادة والضباط ورجال القوات المسلحة ، وكان تأثير هذا الخطاب على القوات المسلحة والجماهير كبيراً ، إذ سرعان ما ردد الشعب فى كل مكان « الجيش عاوز السادات » !!

ويلفت النظر فى السطور التالية من بقية شهادة الفريق أول فوزى عدة مفاجآت لم تكن فى الحسبان ، وربما كان لها بعض الأثر على ما اتخذه السادات من سياسات وقرارات !!

يقول محمد فوزى : قبل منتصف الليل يوم ٣٠/٩/١٩٧٠ وصل السفير أمين شاكر - أحد الضباط الأحرار ووزير السياحة السابق - إلى فندق هيلتون حيث كانت وفود المعزين ، وقابل السيد فاروق أبو عيسى وزير خارجية السودان فى ذلك الوقت (أمين اتحاد المحامين العرب الآن) وطرح عليه رأيه بأن يتولى السيد زكريا محيى الدين رئاسة الجمهورية ، لأنه أصلح من يتولى هذا المنصب فى هذه الظروف (المعروف أن عبد الناصر عندما قرر التنحى فى ٩ يونيو ١٩٦٧ كلف زكريا محيى الدين برئاسة الجمهورية) والملفت للانتباه أنه أثناء تشييع جنازة عبد الناصر ركزت عدسات التليفزيون على زكريا محيى الدين أكثر من مرة وجرى تحقيق فى هذه الواقعة فيما بعد واتضح أن التركيز كان على خالد عبد الناصر الذى كان يسير فى الجنازة وبجواره زكريا .

وطالب الوفد السودانى بأن يتبنى هذه الفكرة إذا حازت القبول لديهم . وسارع فاروق أبو عيسى بإبلاغ سامى شرف وزير شئون رئاسة الجمهورية - بحضور السيدين شعراوى



ـ .. نقعد فيه كلنا ونشتغل



السـائح ـ غريبه .. مصر دى تخلق من الشبه اربعين مليون !

● كاريكاتير للفنان اللباد [روزاليوسف ١٢ اكتوبر ١٩٧٠] .

جمعة وأمين هويدى ـ ما دار من حديث مع أمين شاكر ، وأن قرار الوفد السودانى هو مساندة الشرعية وعدم التدخل فى شئون مصر الداخلية ! وأخطرنى سامى شرف بما حدث ! وقام بإبلاغ الرئيس السادات بهذا الموضوع فى نفس الليلة . ورفض الوفد السودانى طرح الموضوع أو مناقشته فى أول لقاء مع أنور السادات فى قصر العروبة !

يضيف الفريق أول فوزى : « وفى يوم ١٩٧٠/١٠/٣٠ » كنت فى لقاء عمل وغداء فى قصر العروبة ـ بصحبة الرئيس جعفر نميرى وفاروق أبو عيسى وشعراوى جمعة وأمين هويدى وسامى شرف ـ حيث وصلت رسالة مكتوبة للسيد أنور السادات بعث بها أعضاء مجلس الثورة القدامى (عبد اللطيف البغدادى . زكريا محيى الدين ، حسن إبراهيم . كمال الدين حسين) تتضمن اقتراحاً بتشكيل مجلس رئاسة منهم يرأسه السادات لمدة ١٨ شهراً يجرى خلالها ترشيح اسم رئيس الجمهورية ، ويستفتى الشعب عليه ، وتسلم الرئيس السادات الرسالة وتصفحها أمام جميع الحاضرين ولم يعلق عليها وقام بوضعها فى جيبه !!

وظهر اتجاه آخر ظل مغلقاً ولم يدم طويلا إذ أبدى السيد حسين الشافعى عند وفاة الرئيس عبد الناصر حقه فى ترشيح نفسه لمنصب رئيس الجمهورية !

فيما بعد قال عبد اللطيف البغدادى معلقا على المذكرة التى قدمها مع رفاقه إلى

السادات : بعد تشييع جنازة عبد الناصر بيومين ناقشت معه هذه الفكرة واعتبر السادات أن ما نقوم به من تصرفات أرى إلى إحداث بلبلة واسرع فى إجراءاته لانتخاب رئيس الجمهورية ويومها قال لى : إن المذكرة التى قدمناها تعنى إلغاء نظام عبد الناصر !! فقلت : أنا رأيى أن تبحث عن المؤسسات القائمة وترى مدى ثقة الشعب بها ، ثم تعمل على وضع دستور دائم ! فرد بأن نظام عبد الناصر تم الاستفتاء حوله يوم الجنازة بالملايين الخمسة التى خرجت تشيعه يوم الجنازة .. ومن هنا لم نتفق ، ثم هاجمنا فى مجلس الشعب !!

وأصل لشهادة الفريقة أول محمد صادق : « ولاحظ أن صادق هو الذى خلف فوزى فى قيادة القوات المسلحة ووزارة الحربية » .

يقول صادق : رأى من اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لعبد الناصر - يقصد بالطبع مجموعة ١٥ مايو - أنه يمكنهم تحقيق طموحاتهم من خلال أنور السادات واعتبروا أن وصول السادات إلى مقعد الرئاسة يضمن ذلك مرحليا ، كما وضعوا فى اعتبارهم أن رئاسة السادات ستجب الباقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة وكان تصورهم أن السادات لن يخرج من أيديهم ولو خرج فالتخلص منه ليس بالأمر العسير !

ومن الطريف - التعبير للفريق صادق - وفى إطار مناوراتهم أرسل محمد فوزى باسم القوات المسلحة مذكرة للسادات تقول إن الظروف تتطلب وجود رئيس للجمهورية وقائد أعلى للقوات المسلحة لتعمل تحت قيادته حتى تتمكن من تحقيق هدفها ، وواصلت الأحداث مسيرتها ، وأصبح السادات رئيسا للجمهورية تحت شعار الاستمرار !!

□□

وفى تلك الأيام لم يكن الأستاذ « محمد حسنين هيكل » فقط رئيسا لتحرير الأهرام أو وزير الإرشاد القومى بل كان كذلك المعبر شبه الرسمى عن أفكار وتصورات جمال عبد الناصر ، يقول الأستاذ هيكل :

بعد نصف ساعة من رحيل جمال عبد الناصر ، غادرنا غرفة نومه حيث كان جسده مسجى على سريره ونزلنا إلى الصالون فى الدور الأول من بيته نحاول أن نتدبر كيف نتصرف بعده . وكنا فى غرفة الصالون الصغير مجموعة متباينة المواقف والأهداف ، لكن مفاجأة ومأساة الرحيل رفعت الكل - إنصافاً للتاريخ - إلى مستوى يستحق التسجيل .

كان هناك السادة أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وشعراوى جمعة وسامى شرف ومحمد أحمد واللواء الليثى ناصف وأنا . وكان أنور السادات هو نائب رئيس الجمهورية . وبشكل ما كان عليه أن يطرح موضوع البحث فقال : ماذا نعمل الآن ؟!

وكانت هناك فترة صمت ثقيل ، وأحسست أننى أستطيع أن أتكلم فقد كنت أمام الكل من أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر ثم أننى كنت من أبعد الناس عن صراعات السلطة ، فالكل يعرف أننى أحصر طموحى كله فى إطار مهنتى ! شعرت أننى أستطيع أن أتكلم دون حساسيات !

وقلت : إن أهم شئ الآن هو الاستمرار وأن نحاول قدر ما نستطيع ملء الفراغ بعده !!
ثم قلت : لابد أن نختار رئيسا يتولى السلطة - ولو مؤقتاً - على الفور ولابد في اختيار هذا الرئيس أن نتبع قاعدة موضوعة سلفاً ، فليس الوقت ملائما لوضع قواعد جديدة ولا هو وقت فتح الباب لصراعات بين الأفراد « في رواية أخرى قال هيكل بالنص كان الجو شديد التوتر وكان يمكن لأى مراقب أن يجد على وجوه هؤلاء الرجال ملامح تنبيء بصراعات وانقسامات يمسك بها الحزن والمفاجأة في تلك اللحظة ، ولكنها تشير وتنبيء بأمور وأمور يمكن أن تحدث بعدها » .

وإذا اتفقنا على ذلك فإن القاعدة الوحيدة التى أعتقد أنها تحكم موقفنا هى الاحتكام للدستور . « ومعنى ذلك واضح - يقول هيكل - وهو أن يتولى السيد أنور السادات رئاسة الجمهورية للمرة التى قررها الدستور - وهى ستون يوماً - حتى ترشح الهيئات السياسية والدستورية من تشاء للرئاسة ثم تطرح اسمه للاستفتاء العام » .

والشيء الآخر الذى أراه ضرورياً بعد ذلك أن نتصرف خطوة خطوة حتى لا نفتح الباب لمساومات وصفقات قد تكون خطيرة في أثرها .. إن جمال عبد الناصر كان يشغل ثلاثة مناصب رئيسية رئاسة الجمهورية ورئاسة الاتحاد الاشتراكى ورئاسة الوزراء . وإذا فتحنا ثلاثة أبواب الآن فقد نجد أنفسنا أمام مآزق متشابكة » .

وأحسست أن أنور السادات استراح لما قلت : وللإنصاف فإن أحداً لم يعارض !

يضيف هيكل قائلاً في شهادته :

كنت قد أعددت بيان إعلان الرحيل واتصلت - كوزير للإرشاد - بأحد كبار المسئولين معى في وزارة الإرشاد - وهو الدكتور عبد الملك عودة - أطلب إليه أن يوقف إذاعة البرامج العادية في الراديو والتليفزيون وأن تتحول جميع المحطات إلى إذاعة القرآن الكريم .
وأدركت مصر أن شيئا قد جرى !

وقرأت البيان على المجلس المشترك (اللجنة التنفيذية ومجلس الوزراء) وأقره من فيه ، واقترح أنور السادات أن أتوجه إلى مبنى التليفزيون لإذاعته ، وقلت : إننى اقترح أن يتولى السيد أنور السادات بنفسه إذاعة البيان كى يعرف الناس أن انتقال السلطة قد تم بسلام ، ووافق الكل وقام الرئيس السادات معى ، وتركنا الاجتماع مستمراً يناقش قضية هامة طرحت من أجل كفالة الاستمرار وهى :

- هل يتولى الرئيس المؤقت سلطته لستين يوماً أم نختاره مرشحاً على الفور ونعرض اسمه للاستفتاء العام ؟

وكان واضحاً أن الاتجاه الراجح يميل إلى الرأى الثانى من منطق تأكيد الاستمرار !

والملفت للانتباه أيضا أن « هيكل » في شهادة أخرى يقول : حول هذه النقطة بالذات ولم تكن المجموعة التى اشتهرت فيما بعد بوصف مراكز القوى - معادية في ذلك الوقت لتولى أنور السادات منصب رئاسة الجمهورية ، ولعل بعضهم خطر له أن السادات الذى

يعرفونه يسهل التأثير عليه وتوجيهه ، وأتذكر أننى قلت لبعضهم إننى أعرف كيف يفكرون ، ولكنى أريد أن أذكرهم بنموذج من تاريخ مصر القريب وهو نموذج « النحاس باشا » الذى اختارته أغلبية من رجال الوفد بعد « سعد زغلول » ليكون رئيسا لحزب الأغلبية متصورين أنه الأضعف ، ثم اكتشفوا بعد فوات الأوان أن هذا الذى تصوروه الأضعف استطاع أن يطردهم واحداً بعد واحد من الوفد ويبقى هو على القمة » .

يكمل هيكل : ووصلنا ـ الرئيس السادات وأنا ـ إلى مبنى التليفزيون وتوجهنا إلى مكتبى حتى يتم إعداد الاستديو الذى يذاع منه النبأ الصاعق . واكتشف الرئيس السادات انه نسى نظارته على مائدة الاجتماعات فى قصر القبة ، وسألته إذا كانت نظارتى تنفعه وجربها ، وبالفعل ظهر بها وهو يقرأ البيان . وانتظرت حتى فرغ منه وعاد إلى مكتبى ،وغادرنا معاً مبنى التليفزيون ،هو عائد إلى قصر القبة وأنا إلى الأهرام » .

□□

ونصل إلى شهادة « أحمد كامل » وهو أحد الضباط الأحرار وشغل منصب محافظ أسيوط لفترة ثم رئاسة منظمة الشباب وكان آخر المناصب التى تولاها رئيس المخابرات العامة .

يقول أحمد كامل : بعد وفاة الرئيس عبد الناصر المفاجئة لم يجدوا أمامهم إلا أنور السادات لرئاسة الجمهورية ! واقصد بجميع الناس هم اللى كانوا فى السلطة ومعاهم زمام البلد بزعامة الرئيس هم « شعراوى جمعة » و « سامى شرف » و« فوزى وأمين هويدى » و« محمد فائق » . فالمجموعة دى الحقيقة لم تجد أمامها لسد فراغ الرئيس غير أنور السادات على أساس أنه يسد الفراغ ويتعاون معاهم وأقصد بالتعاون أنه ما يمشيش حاجة من غير موافقتهم !! وكان تقديرهم « لعلى صبرى » كبير إنما مكانش ممكن يجيبوه رئيس جمهورية لأنه مكروه من الجماهير وهم يعلمون هذا جيداً .

تضيف سطور أحمد كامل : كانت طلعت اقاويل عن « زكريا محيى الدين » وخصوصاً بعد ما نشرت « الأهرام » صورته فى نعيه للرئيس ! وظهر فى الصورة على أنه جاى رئيس جمهورية ولكن هذه المجموعة عارضت على أساس أنه شخصية قوية ومش سهل انهم يحكموه أو يمشى معاهم زى ماهم عايزين !! وكان رايهم أن حسين الشافعى لا يصلح كرئيس جمهورية فمكانش أمامهم إلا أنور السادات والظروف مواتية بالنسبة إليه لأنه نائب رئيس الجمهورية وفى تصورهم أنهم يقدروا يمشوه زى ماهم عاوزين ! وتمت عملية الانتخابات وهم ساعدوا أنه يكون رئيس جمهورية !!

□□

الفصل التاسع

السادات يحكم مصر !

صباح يوم الاربعاء ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ ذهب أنور السادات إلى قريته ومسقط رأسه ميت أبو الكوم [محافظة المنوفية] ليدلى بصوته فى الاستفتاء على رئيس الجمهورية الجديد !

لقد اعتاد السادات منذ سنوات طويلة أن يدلى بصوته فى « ميت أبو الكوم » حيث كان اسمه مسجل فى الجداول الانتخابية هناك !!

منذ الصباح الباكر كانت قوات الأمن والبوليس تطوق القرية حفظاً للأمن والنظام بها !!

فى نفس الوقت امتلأت القرية بالصحفيين والمراسلين العرب والأجانب وبالطبع المصريين بالإضافة لعدسات التليفزيون العالمى ، التى جاءت لتتابع عن قرب عملية اختيار خليفة جمال عبد الناصر !! ولترصد بالصوت والصورة كل همسة وكلمة وجملة ينطق بها السادات !

ومنذ وصل السادات إلى قريته الصغيرة ارتدى على الفور الجلباب الريفى وفوقه العباءة هذا الزى الذى سيحرص السادات فيما بعد على أن يرتديه وخاصة أمام العدسات وفلاشات الكاميرات عندما يتحدث عن أخلاقيات القرية « قيم العيب وبساطة وأصالة الريف باعتباره كبير العائلة !

فجر يوم الخميس ١٥ اكتوبر استيقظ السادات مبكراً وأدى صلاة الفجر .

وعند الثامنة صباحاً دق جرس التليفون فى بيت السادات وكان المتحدث هو شعراوى جمعة وزير الداخلية الذى قال للسادات : مبروك !

ورد السادات قائلاً : الله يبارك فيك يا شعراوى ، الله يوفقنا جميعا لما فيه خير بلدنا !

وفى حوالى الساعة العاشرة ـ بعد ساعتين من المكالمة ـ عقد شعراوى جمعة مؤتمراً صحفياً حضره مراسلون من كافة انحاء العالم أعلن فيه نتيجة الاستفتاء وكانت ٩٠,٠٤٪ .

وسهر السادات ليلة الخميس مع أبناء ميت أبو الكوم وهم يتوافدون لتهنئته على اختياره رئيسا للجمهورية !!

وعند ظهر الجمعة صلى السادات فى مسجد ميت أبو الكوم ، وعندما قدم له بعض أبناء القرية هدية « مصحف » بكى تأثراً وهو يقبل المصحف . وعقب صلاة الجمعة انفرد بالسيد « حسين الشافعى » عضو اللجنة التنفيذية العليا الذى كان يصحبه ، وتشاور السادات معه .

وقبل أن يغادر السادات « ميت أبو الكوم » فى طريق عودته إلى القاهرة كان قد ذهب إلى « قبر أمه » [سنعرف فيما بعد أن اسمها ست البرين] وقرأ على روحها الفاتحة !!

وبعد عودة السادات إلى القاهرة ، اتجه مساء السبت ١٧ أكتوبر إلى مجلس الشعب وهناك أقسم اليمين الدستورية ، ثم اتجه بعدها إلى بيت جمال عبد الناصر فى منشية

البكرى حيث أمضى حوالى ٦٠ دقيقة مع أفراد أسرة عبد الناصر (أغلى الرجال كما كانت تصفه صحافة تلك الأيام) .

وكانت جيهان السادات تقيم بصفة مستمرة مع أرملة عبد الناصر منذ يوم الوفاة ، ولمدة سبعة أيام تالية . وتقول بعض الروايات أن السيدة جيهان عندما جاءت مع السادات مساء ٢٨ سبتمبر كانت ترتدى فستانا أخضر اللون . ولكن جيهان تؤكد فى مذكراتها أنها كانت ترتدى فستاناً أزرق اللون ، وتقول أيضا :

كنت أجلس مع السيدة تحية قرينة عبد الناصر وقريباتها وزوجات أعضاء الحكومة ، وقد ظللت معها طوال أيام العزاء السبعة أواسيها وأحاول التخفيف عنها ، ولكن الغريب أن إحدى السيدات همست إلىّ ذات مرة بعد أن اقتربت منى قائلة : مبروك !! وحملقت فيها غير مصدقة هذا الذى جرؤت على قوله . .

وتضيف جيهان السادات قائلة :

إننى لم أكن أريد أن أصبح زوجة رئيس مصر (فيما بعد سيصبح لقبها سيدة مصر الأولى) لم أكن أريد عبء المسئولية .. كان أنور أيضا مكتئبا فى الأيام التالية على وفاة عبد الناصر ، فهو لم يكن قد فكر مطلقا فى أن يصبح رئيسا لمصر ، لقد كان يرحب بأية مسئولية لخدمة بلاده وخدمة عبد الناصر الذى يحبه ، ولكن المسئولية بأكملها فى النهاية كانت تقع على عاتق عبد الناصر أما الآن فسوف يصبح كل العبء هو مسئولية أنور .. وقد كان العبء ثقيلاً .. » .

□□

وفى أول حديث صحفى أدلى به السادات إلى الصحافة العالمية ونشرته النيويورك تايمز سأله « ساى سولز برجر » مدير مكتب الصحيفة فى أوروبا : عندما يتم إعلان أعضاء وزارتك الجديدة ، هل ستحاول الموازنة بين ذوى الميول الاشتراكية وأولئك الذين يميلون نحو الاقتصاد الحر ، وبين الشرق والغرب ؟!

وأجاب السادات قائلاً :

ليس عندنا سوى خط واحد هنا .. إننا اشتراكيون . أو على الأقل هذا هو هدفنا حتى لو كنا لم نصل إليه بعد ، ونحن أيضا وطنيون وكلنا نحب وطننا . ونحن جميعا متفقون على هذه القاعدة الأساسية ، ليست لدينا مشاكل على النحو الذى زعمته الصحف الأمريكية لحظة وفاة الرئيس عبد الناصر (ربما قصد السادات وقتها ما رددته بعض الأقلام الأمريكية أن تقديرات بقائه فى منصبه كرئيس جمهورية تتراوح بين عدة أسابيع وعدة شهور ، وكان أحد الذين يدعون بهذا « د . هنرى كيسنجر » وفيما بعد ذكر ويليام كوانت مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومى ، لم يكن يعرف عن السادات فى واشنطن عندما أصبح رئيسا إلا القليل ، أما الترجمة التى أعدتها وكالة المخابرات الأمريكية له فكانت دون الثناء ، فقد ذكرت هذه الترجمة بصورة بارزة أنه ذهب إلى السينما ليلة الثورة

المصرية مشيرة ضمنا إلى أن هذه الواقعة نموذجية لأسلوبه السياسى ، كما كان السادات ينظر إليه فى الأصل على أنه شىء خفيف الوزن) !

ويعود السادات فيقول للنيويورك تايمز :

وسوف أعرض على اللجنة المركزية بعد لحظات الشخص الذى اخترته ليكون رئيسا للوزراء !

□□

كان عبد الناصر ساعة الرحيل هو الذى يتولى منصب رئيس الوزراء . وقد تولى هذا المنصب ابتداء من ١٩ يونيو ١٩٦٧ . حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

كان الشارع يتساءل : من هو رئيس الوزراء القادم ؟! هل سيكون اسماً جديداً تماماً ؟ هل سيكون أحد الأسماء القديمة ؟! هل يتولى السادات نفسه رئاسة الوزارء .. هل سيكون واحداً من أعضاء اللجنة التنفيذية العليا ؟!

واختار السادات الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزراء !!

لماذا محمود فوزى بالذات وهو الذى قدم للسادات - غداة رحيل عبد النـاصر - استقالته فى أول اجتماع للجنة التنفيذية العليا بعد وفاة عبد الناصر . (وكان حسين الشافعى قد قدم استقالة مماثلة لرغبته فى أن يعينه السادات رئيسا للوزراء لكنه عاد فسحب الاستقالة) .

فى سطر واحد يقول السادات : بمجرد انتخابى أصدرت قرارى بتعيين الدكتور محمود فوزى رئيسا للوزراء !

ويقول الأستاذ محمد حسنين هيكل فى هذا الصدد :

غداة ظهور نتيجة الاستفتاء وإعلانها دعانى - وكان فى قصر الطاهرة - يسألنى فيمن يتولى رئاسة الوزارة وقال لى (يقصد السادات) :

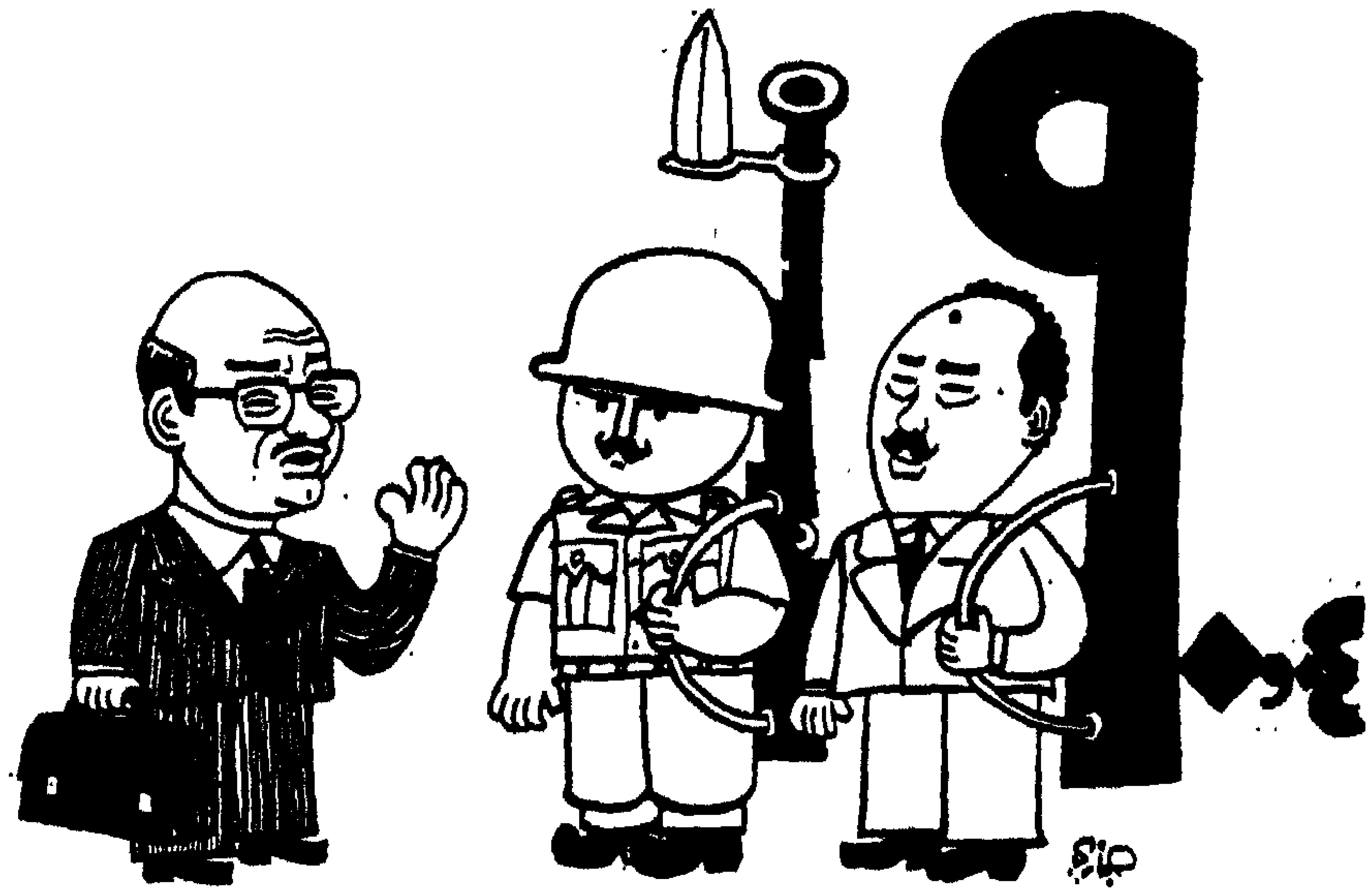
والآن جاء وقت الخطوة الثانية ، وهناك زحام على رئاسة الوزارة . وراح يعدد أمامى أسماء المرشحين .. الذين رشحوا أنفسهم أو الذين رشحهم آخرون . وقلت له : إن رأيى أن الأصلح لرئاسة الوزارة الآن هو الدكتور « محمود فوزى » .

وأبدى استغرابه وقال : إن فوزى بعث إلىّ باستقالته من اللجنة التنفيذية العليا فى نفس اليوم الذى قدمت أنت لى فيه استقالتك ، إلى درجة أننى تصورت أنكما - بما أعرفه من الصداقة التى تجمعكما - قررتما تنسيق مواقفكما ! » .

وسألنى : لماذا فوزى لرئاسة الوزارة فى هذه الظروف ؟!

وقلت : لعدة أسباب أولها أن البلد خائف الآن من احتمالات صراع السلطة ، ووجود « مدنى محترم » مثل الدكتور محمود فـوزى على رأس الوزارة علامـة تدعـو إلى الطمأنينة » .. و .

وبعد أن عدّد هيكل أسباب اختياره للدكتور محمود فوزى يضيف :



محمود رياض ـ الكلام مع روجرز مش نافع .. نعمل ايه ؟

● كاريكاتير للفنان حجازى [روزاليوسف] .

وقال أنور السادات بحماسة : صح .. برافو يا محمد !! لكن من الذى يقنع فوزى وأنت تعلم عزوفه وحرصه على الابتعاد ؟! ليس عندى غيرك .. اذهب إليه واعرض عليه باسمى رئاسة الوزارة ولا تجىء إلى هنا إلا ومعك موافقته !!

ويضيف المهندس « سيد مرعى » قائلاً :

اختيار محمود فوزى رئيسا للوزراء كان معناه أنه أول رئيس وزراء مدنى منذ المرحوم على ماهر فى الأسابيع الأولى للثورة . وكان معناه أيضا أن المسألة الخارجية سوف تشغل الجزء الأكبر من تفكير السادات فى مستهل مسئوليته !!

وبرغم أن هدف مجموعة مراكز القوى كان هو أنور السادات أو بمعنى أدق تحويله إلى مجرد رئيس واجهة «يحكمون هم من خلاله .. وبرغم يقظته الشديدة لهم من البداية إلا أن أول من دق ناقوس الخطر محذراً منهم كان هو « د . محمود فوزى » رئيس الوزراء ، وقد فعل ذلك فى وقت مبكر للغاية ضمن بيان القاه من منبر مجلس الشعب فى ٢٥ نوفمبر ١٩٧٠ » !!

لقد كان د . محمود فوزى نفسه قد بدأ يعانى ـ داخل مجلس الوزراء ـ من وجود مجلس داخل المجلس أو حكومة داخل الحكومة . وكان أعضاء مراكز القوى يشكلون هذه الحكومة فيما عدا السيد « على صبرى » الذى كان خارج نطاق مجلس الوزراء ! » .

بل وصل الأمر حسب رواية للسادات يقول فيها : بعد أن عدت من زيارة للاتحاد السوفييتى قابلنى سامى شرف وكان المطلوب هو إقالة د . محمود فوزى وتعيين شعراوى جمعة رئيسا للوزراء بدلا منه ، وكان رد السادات حاسماً إذ قال لسامى شرف يومها :

- لا تغيير .. د . فوزى سيستمر رئيسا للوزراء .. ولا أريد مناقشة هذا الموضوع مرة أخرى !!

وبتفصيل أكثر يروى موسى صبرى هذه الواقعة كما رواها له السادات فيقول :

جاء سامى شرف فى القناطر وعرض بعض الأوراق ثم أخذ يتكلم لمدة نصف ساعة .. كلاماً لم افهم منه أى شيء فقلت له : (السادات هو الذى يتحدث) .

- اسمع ياسامى بقالك نص ساعة بتلف وتدور .. اتكلم دوغرى قول أنت عاوز إيه ؟!

فقال : يبقى شعراوى (جمعة) رئيس وزارة !!

قلت له : من طلب منك هذا ؟!

قال : سيادتك عارف الدكتور فوزى مش بيمشى شغل ولا بيأخذ قرار !

ورفضت تغيير رئيس الوزراء ! هكذا يقول السادات !!

ولم تكن هذه بداية الصراع والخلاف بين السادات والمجموعة التى سميت فيما بعد مجموعة ١٥ مايو !!

وكان الصدام بين السادات والآخرين آتياً لا ريب فيه !!

لم يكن أحد يعرف على وجه الدقة الساعة التى سيحدث فيها الصدام والخلاف .. ويبدو أن كل منهما ترك للزمن والظروف مهمة هذا التحديد !

□□

قبل أن ينقضى ٤٠ يوما على رحيل جمال عبد الناصر وقعت حادثتان على درجة كبيرة من الأهمية لطرفيها . السادات والآخرون . وكان اسم عبد الناصر مشتركا فى الحادثتين !!

الحادثة الأولى يرويها السادات بنفسه قائلا :

فى أول يوم تسلمت فيه الحكم جاءنى سامى شرف ومعه أوراق كثيرة لعرضها علىّ ! سألته : إيه دى ؟! قال لى : دى مكالمات تليفونية لأشخاص موضوعين تحت المراقبة » قلت له : آسف أنا ما أحبش أقرا الكلام الفارغ ده .. إذا كان فيه شيء خاص بأمن الدولة أشوفه وأحكم فيه .. أما ناس بتتكلم مع بعضها ، أنا دخلى إيه ؟! وأنتم بأى حق تحطوهم تحت المراقبة !! شيل وأزحت - يقول السادات - الأوراق من أمامى فجمعها وخرج ولكن قبل خروجه كنت قد أصدرت أمرى إليه بإلغاء جميع المراقبات التليفونية وألا تتم أى مراقبات إلا بأمر القضاء وفعلا تم هذا .. » .

وفيما بعد سيعترف أحمد كامل رئيس المخابرات السابق : أن التليفونات كانت توضع تحت المراقبة بأمر شفوى من سامى شرف !! (لاحظ أن الفريق أول محمد فوزى ابن خالة سامى شرف !)

وعلى قدر ما سعد الناس فى مصر بهذا القرار على قدر ما غضبت مجموعة ١٥ مايو فها هو السادات يفوز بنقطة فى بداية الصراع !!

أما النقطة الثانية التى كسبها السادات ببراعة شديدة فقد كانت بسبب مقال بصراحة الذى كتبه هيكل .

ظهر المقال صباح ٦/١١/١٩٧٠ فى ذكرى الأربعين لرحيل جمال عبد الناصر وكان عنوانه « عبد الناصر ليس أسطورة » !!

كان المقال مثار دهشة مصر كلها وكذلك العالم العربى .. قال هيكل فى مقاله :

ليس من حق أحد بيننا أن تراوده على نحو أو آخر ، بقصد أو بغير قصد ، فكرة تحويل جمال عبد الناصر إلى أسطورة !! وأضاف هيكل مؤكداً :

إن جمال عبد الناصر ليس له خلفاء ولا صحابة يتقدمون باسمه أو يفسرون نيابة عنه ! لقد كان له زملاء وأصدقاء وقيمة ما تعلموه عنه ، مرهونة بما يظهر من تصرفاتهم ، على ان تكون محسوبة عليهم ، دون أن يرتد حسابها عليه . إن خلفاء جمال عبد الناصر الحقيقيين هم كل الشعب ، وليسوا بعض الأفراد . وهم كل قوى التطور والتقدم وليسوا بعض المجموعات . وهم كل المستعدين لأن يعطوا باسم عبد الناصر ، وليسوا كل الذين يمكن أن يأخذوا باسمه » !

أثار مقال هيكل دهشة الكثيرين وربما استنكارهم أيضا .. وأول ردود الفعل الغاضبة من اللجنة التنفيذية العليا نفسها ، ورئيس مجلس الأمة نفسه (د . لبيب شقير) فقد تصوروا أنهم المقصودون بهذا الكلام .. وربما تصوروا أن المقال كتبه هيكل بإيعاز ومباركة من السادات نفسه . وبدأت مناقشة غاضبة فى اجتماع للجنة التنفيذية العليا برئاسة أنور السادات .

يقول موسى صبرى :

بعد مناقشة الموضوعات التى عرضت قال الرئيس السادات :

هل لدى أحدكم شىء للعرض أو المناقشة ؟!

- وتكلم الدكتور لبيب شقير وأخرج صحيفة الأهرام وهو يقول : نعم عندى موضوع هام أريد أن أعرضه !!

فى البداية قرأ « د . لبيب شقير » عنوان مقال هيكل « عبد الناصر ليس أسطورة » ثم استعرض المقال فقرة فقرة وتوقف عند فقرات معينة منه ، وحلل كلماتها تحليلا مطولا عميقاً ، وحمل الجُمل والتعبيرات ما شاء له التحميل ، وقد وضح أنه كان مستعداً تماماً وأن الموضوع كان متفقاً عليه بين جبهة « على صبرى » ثم انتهى د . لبيب شقير من تحليله إلى أن « هيكل » قد ارتكب جناية الخيانة العظمى لأنه بهذا المقال يطعن جمال عبد الناصر ، وليست هناك شرعية إلا عبد الناصر ، وطلب معاقبة هيكل واتخاذ إجراء ضده !

يضيف موسى صبرى معلقاً :

لم يكن هذا الطلب مجرد اختبار للقوة فقط للسيطرة على أنور السادات وفرض قرار عليه بل كان الهدف كذلك التخلص من هيكل الذى لا يزال مستمراً فى الأهرام بعد تركه للوزارة .. وكانوا قد أعدوا فعلا خليفته ليراس تحرير الأهرام واتضح بعد ذلك أنهم رشحوا لهذا المنصب محامياً ناشئا من الإسماعيلية ، كان من رجالهم وقد اتهم بعد ذلك فى القضية !!

المهم انتهى د . لبيب شقير من شرحه الطويل ثم قال : إنه يضع الأمر أمام اللجنة العليا . لأنه أمر بالغ الخطورة يمس شرعية النظام كله ، فالشرعية هى عبد الناصر . وكاتب المقال « يقصد هيكل » يريد أن يوهم الجماهير أنه الوحيد العليم بتعاليم عبد الناصر .. والوحيد صاحب الحق فى تفسير مبادىء عبد الناصر !!

وقال الرئيس السادات : نفتح باب المناقشة !!

وتكلم الجميع بدرجات هجوم متفاوتة . كلمات جبهة على صبرى مثلت العنف الشديد . كلمات أخرى هاجمت بغير عنف . أما الدكتور محمود فوزى فقد كان معتدلا كعادته وناقش الموضوع بغير هجوم ، وبعد أن انتهت المناقشة قال الرئيس السادات :

- طيب اتركوا لى فرصة لدراسة الموضوع ، ونرجئه للجلسة المقبلة كى نأخذ فيه قراراً .

واتفق الجميع على موعد الجلسة الثانية .

وفوجىء الجميع بعد أن جلسوا بالرئيس السادات يضغط على زر الجرس فيدخل أحد الموظفين فيقول له الرئيس : استدعوا الأستاذ هيكل !!

وكان الأستاذ هيكل منتظراً لاستدعائه فى صالون مجاور ، ودخل بين دهشة أعضاء اللجنة العليا وذهولهم ! كان آخر شيء يتوقعونه ! وطلب إليه السادات أن يجلس فى الطرف الآخر من منضدة الاجتماع .

وقال الرئيس : سمعنا من الدكتور لبيب شقير فى الجلسة الماضية شرحاً لمقال كتبه هيكل انتهى بطلب اتخاذ إجراء ضده وأريد أن تعرفوا سياستى من الآن ، وهى أننى لن أتخذ قراراً ضد إنسان إلا بعد أن يواجه ويدافع عن نفسه . ولهذا استدعيته الآن !

ثم اتجه الرئيس السادات ناحية د . لبيب شقير وقال له : اتفضل اشرح يا دكتور لبيب ما أثرته فى الجلسة الماضية حتى يسمع هيكل الاتهام الموجه إليه ويدافع عن نفسه .

وارتج على لبيب شقير فلم يكن مستعداً لهذه المفاجأة كما أن المواجهة هزته وقال : أريد أن أوجه بعض الأسئلة !!

وقال السادات : لا .. ليس من حقك أن توجه الأسئلة .. اللجنة الآن هى الحكم .. تسمع كلامك ثم نسمع دفاعه ثم نتخذ القرار !

وتحدث د . لبيب ثم هيكل الذى دافع عن نفسه دفاعا كاملا وفى نهاية دفاعه وبعد أن فسر فقرات مقاله وقال ما معناه إنه فعلا اللصيق الأول والأكبر بجمال عبد الناصر فكراً

وشخصاً وأن من حقه أن يتكلم عن عبد الناصر بهذه الصفة !

وقال السادات : شكراً وانصرف هيكل وسأل الرئيس الأعضاء : والآن بعد أن استمعتم إلى وجهتى النظر ما رأيكم ؟!

وتداخلت الكلمات وانفجر ضياء داود غاضباً من لبيب شقير لأنه أضاع القضية من قبل أن يبدأ هيكل دفاعه ثم وجه ضياء كلامه إلى السادات قائلاً :

- هل يعنى هذا الإجراء أنه إذا نسب أى اتهام لأى صحفى أو لأى رئيس تحرير أن يستدعى على هذا المستوى لمناقشته ؟!

وقال الرئيس السادات : عندما يتهم شخص بالخيانة العظمى ونحن جميعا نعلم أن هذا الشخص كان قريبا إلى جمال عبد الناصر .. ففى هذه الحالة لابد أن يأتى إلى هنا كى يدافع عن نفسه !

إن حماس ضياء الدين داود وهجومه الحاد على هيكل فى تلك اللحظة لم يكن لوجه الله أو حتى وجه عبد الناصر .. كانت هناك خلفية وراء ذلك يعرفها الكل وقتها وحدثت وقائعها فى حياة عبد الناصر . والذى حدث أن ضياء الدين داود ذهب لزيارة هيكل فى مكتبه بالأهرام وبقى منتظراً فى ضيافة نوال المحلاوى سكرتيرة هيكل ما يقرب من نصف ساعة حتى أذنت له بمقابلة هيكل .. وعلم عبد الناصر بذلك وقال يومها : هذا تسول على الأبواب وعمل يتنافى مع كرامة ضياء داود كعضو فى اللجنة العليا وكان عليه أن يرفض الانتظار !!

ربما كان الموقف الشخصى السابق وراء هذه الحدة والعنف من ضياء تجاه هيكل هذه المرة ، وإن كان السبب الظاهرى هو مقال صحفى لهيكل يقول فيه إن « عبد الناصر ليس أسطورة » .

□□

ويستكمل السيد « على صبرى » شهادته حول مقال هيكل الغاضب فيقول :

بعد تشكيل الحكومة صدر قرار بتعيينى أنا والسيد حسين الشافعى نائبين لرئيس الجمهورية ثم صدر قرار بتجديد منصبى كمساعد لرئيس الجمهورية للدفاع الجوى والقوات الجوية . وسارت الأمور إلى أن عقدت اللجنة التنفيذية العليا اجتماعاً بعد « أربعين الرئيس عبد الناصر ببضعة أيام » وأثيرت فى هذا الاجتماع موضوعات عديدة .

الموضوع الأول : كان طريقة سير العمل فى هذا الاجتماع .

والثانى : كان يتعلق بلجنة إحياء تراث الرئيس عبد الناصر .

أما الموضوع الثالث : فكان حول مقال نشره محمد حسنين هيكل يوم الجمعة السابق لهذا الاجتماع . وقد رأى بعض أعضاء اللجنة التنفيذية العليا أن فى المقال مساساً بالسيد الزعيم الراحل (نص كلماته) وكان الذى حلل المقال هو الدكتور لبيب شقير .

واستدعى هيكل لمناقشته فى ذلك أمام اللجنة ، وكان رده أنه لم يقصد المساس بالسيد الرئيس وأنه أخلص واحد لسيادته ! وأن سيادته (يقصد عبد الناصر) كلفه أن يكتب

التاريخ واستشهد بأنه قال هذا الكلام أمام السيد أنور السادات وحسين الشافعي وأمامي ، وقد نفيت ذلك ، ونفى السيد « حسين الشافعي » أيضا ، أما السيد « أنور السادات » فقال إن هذه الكلمة (يقصد تكليف عبد الناصر لهيكل) قيلت وهم في موسكو .

وكان ردي على هذا أن سيرة جمال لا يستطيع أن يكتبها شخص واحد ، وأنه مع احترامي لكل المعلومات التي في حوزة هيكل فإن كل واحد منا لديه معلومات كثيرة . وأنا أقول إن عندي من المعلومات ما لا يعرفه الآخرون . فأكد السيد « أنور السادات » إن كل ما تنظره لجنة التراث ستنظر فيه اللجنة التنفيذية . وانصرف هيكل ثم اجتمعت اللجنة المركزية وأثير هذا الموضوع من أحد الأعضاء ، ورد السيد « أنور السادات » بأن هذا الموضوع مثار تحقيق أمام اللجنة التنفيذية العليا ، وقفل باب المناقشة » .

ومن الضروري أن نعود إلى سطور استقالة هيكل التي قدمها للسادات بتاريخ ٣/ ١٠/ ٧٠ ونشرتها الأهرام ومعها رد السادات في ١٩/ ١٠/ ٧٠ والتي بدأها هيكل بقوله سيادة رئيس الجمهورية بالنيابة .. الأخ والصديق أنور السادات .. (وكانت تلك سابقة لم تحدث في لغة التخاطب بين رئيس وصحفي !!) .

قال هيكل في خطاب استقالته من وزارة الإرشاد : ولعلك تذكر مرة أيها الصديق الكريم (المقصود هنا السادات) وكنا معاً أخيراً في فندق هيلتون أثناء ازمة الأردن التي كانت آخر معاركه المنتصرة أننا تحدثنا عن التاريخ وكيف سيروى حكاية هذا العصر ، ويذكر أنه أمامك وأمام السيدين حسين الشافعي وعلى صبرى أشار إليّ وقال : إنه هو المسئول عن ذلك ! لقد كان يعرف كل شيء .. وهو يتحدث عن الإحساس بالتاريخ .. والكتابة صناعته ..

« ومن جانبي أيها الصديق الكريم – مازال هيكل يخاطب السادات – فإنني أعتبر تلك وصية يسألني عنها ضميري ، وسوف يسألني عنها الضمير العام لأمتي » .

وبينما يؤكد على صبري وحسين الشافعي على عدم تكليف عبد الناصر لهيكل بكتابة التاريخ فإن « هيكل » يؤكد من ناحيته التكليف .

وإذا كان السادات يقول إن تكليف عبد الناصر لهيكل بذلك كان أثناء رحلة لموسكو فإن « هيكل » يؤكد أن التكليف كان في فندق هيلتون بالقاهرة !

وبصرف النظر عن الحقيقة الغائبة . فإن مقال هيكل « عبد الناصر ليس أسطورة » أثار كل هذا الغضب والمناقشة الساخنة .

□□

ونصل لشهادة : « ضياء الدين داود » عضو اللجنة التنفيذية العليا .. فيما يتعلق بأزمة مقال « عبد الناصر ليس أسطورة » لهيكل ، وموقف السادات من المقال ولماذا دافع عن هيكل وقتها ؟!

يقول ضياء الدين داود :

فى ذكرى أربعين عبد الناصر نشر هيكل بالأهرام مقالا شهيراً بعنوان « عبد الناصر ليس أسطورة » تحدث فيه عن أن عبد الناصر ليس له « سندة » ولا حراس لمبادئه وأن كل ما أتى به قابل للمناقشة والمراجعة وحذر من تأليه عبد الناصر واعتباره أسطورة وكان لهذا المقال أسوأ الوقع فيما يشبه الإجماع بين قيادات الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب وعلى كافة المستويات !

وإزاء ذلك وماخلقه من قلق مستويات الاتحاد الاشتراكى اتفقت مع د . لبيب شقير على عرض الأمر على اللجنة التنفيذية العليا ، وعرض د . لبيب شقير الموضوع فى أول اجتماع للجنة وتلاه كل أعضاء اللجنة هجوماً على ما احتواه المقال من دلالات فيما عدا « د . محمود فوزى » الذى لزم الصمت .. أما السادات فقد ذكر أنه قرأ المقال قراءة سريعة ولم يستلفت انتباهه التخريجات التى وصلنا إليها « وقال : إنه سيعاود قراءة المقال ثم نعود لاستئناف مناقشة هذا الموضوع .

وقبل الاجتماع التالى (مازال ضياء الدين داود يتكلم) أبلغنى السادات أنه قرر استدعاء هيكل لمناقشته باللجنة وعارضت الفكرة على أساس أنه تقليد غير سليم أن نستدعى كل رئيس تحرير أوكاتب لمقال لمناقشته حول ما يكتب ، ويكفى أن تناقشه اللجنة المختصة وتبلغه رأى اللجنة التنفيذية وخاصة أن الاتحاد الاشتراكى هو الذى يملك الصحف وكان هذا أيضا رأى غير من أعضاء اللجنة ولكن إزاء المركز الخاص لهيكل والذى يستمده فى نظر الناس من خلال عمق صلته بالسلطة فقد قبلت اللجنة اقتراح السادات بمناقشته !!

وتولى د . لبيب مناقشة الأستاذ هيكل أثناء اجتماع اللجنة وعرض وجهة نظرنا فى المقال وتبينا أن « هيكل » قد استمع إلى تسجيل الجلسة السابقة ووقف على كل ما دار بها من مناقشات حول الموضوع وقد احتد النقاش واحتدم خاصة عندما قال د . لبيب شقير إننا بحاجة إلى تحديد المواقف .. ودافع هيكل عن نفسه واستنكر أن يكون موضعاً لشك أو اتهام بخيانة بعد عمر طويل ـ حسب قوله ـ قضاه بجوار عبد الناصر عبر فيه عن كثير من أفكاره وكان محل ثقته وسره وكان خلالها « Spokes Man » حسب تعبيره عن الدولة وكان السادات خلال المناقشة حريصا على توسيع هوة الخلاف وإقحام الاتهام بالخيانة وهو مالم يرد أصلا فيما قيل .

وانتهت المناقشة على غير اتفاق وانصرف هيكل غاضبا ثم قال السادات :

ـ إذن الأمر منتهى طالما ليس هناك اتهام بخيانة ثم دارت مرة أخرى مناقشة طويلة تعقيبا على المناقشة الأولى !! فقلت : أى ضياء داود ـ إنه بصرف النظر عما دار من نقاش فإن هناك سؤالا يحتاج إلى إجابة قاطعة من اللجنة خاصة بعد حديث هيكل ووصفه لنفسه بأنه المتحدث باسم الدولة : هل نوافق على أن تكون مقالات هيكل الأسبوعية « بصراحة »

فى الأهرام تعبيراً عن فكر ورأى النظام أو الرأى الرسمى ؟! أم أنها مجرد اجتهاد شخصى لكاتبها ، ذلك أن السادات أثناء المناقشة الأولى قال إن الذى يثير البلبلة واللغط حول مقال هيكل هم على حد تعبيره « بتوع الاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب » وفى تعبير آخر « بتوع عبد المجيد فريد » .

« ويعود ضياء داود فيقول : وكنت وبعض الزملاء من أعضاء اللجنة مقتنعين بأن هيكل بجانب السادات يلعب دوراً خطيراً ويخطط مع السادات للإطاحة بالاتحاد الاشتراكى ، ولكن كان البعض الآخر ممن لهم علاقات عميقة بهيكل لا يشاركنا الرأى بل وصل ببعضهم الإفراط فى حسن الظن بأن علاقته بهيكل أقوى من علاقة هيكل بالسادات » .

□□

كان الصراع بين السادات ومعه هيكل قد بدا فى واقع الأمر فى مواجهة المجموعة الأخرى التى تضم (على صبرى . شعراوى جمعة . سامى شرف) .

وحتى الآن كان السادات قد كسب جولتين .. الأولى رفضه إقالة رئيس الوزراء د . محمود فوزى .. وتعيين شعراوى جمعة .. والثانية إقصاء هيكل (مدفعيته الإعلامية الثقيلة) بتهمة الخيانة العظمى .

والواقع أن السادات كسب جولة هامة ثالثة هى موضوع الحراسات .

يروى السادات لموسى صبرى هذه الحكاية فيقول :

طلبت من سامى شرف أن يكلف لبيب شقير وضياء الدين داود أن يعدا لى مشروع قرار بتصفية الحراسات ، ومر على هذا التكليف أكثر من ٢٠ يوماً ولم يقدم لى سامى مشروع القرار ونبهته وقال لى : جاهز ووصلنى القرار ، ودهشت لأننى قرأت ورقتين فلوسكاب ولم أجد فيهما شيئا عن تصفية الحراسات .. وكلام عن الاتحاد الاشتراكى واللجنة التنفيذية العليا .. ولا يفهم من أى سطر أن هناك تصفية للحراسات !

وطلبت سامى شرف (يقول السادات) وسألته : هل هذا قرار تصفية الحراسات ؟!

وأجاب : أيوه يا أفندم !!

وسألت عن الدكتور جمال العطيفى (أصبح فيما بعد وكيل مجلس الشعب . ووزيراً للإعلام) .

وقال لى هيكل إنه موجود بالأهرام فقلت له : أريد منه أن يكتب قراراً بتصفية الحراسات من ثلاث نقاط :

- الأولى : كلام واضح عن تصفية الحراسات .
- والثانية : لا تفرض حراسة إلا بحكم قضائى وإجراءات قضائية .
- والثالثة : تعيين مدعى اشتراكى .

وبعد نصف ساعة قرأ لى القرار .. ولم يعجبنى وطلبت تعديله .. وبعد نصف ساعة



السادات والفريق فوزى وايام العسل السياسى

أخرى كان جمال العطيفى قد كتب القرار كما أريده .. وأمرت بتوزيعه على الصحف .

كانت مفاجأة عندما نشرت الصحف المشروع ولم تكن مراكز القوى (تعبير السادات نفسه) تعرف عنه شيئاً وفى اليوم التالى دخل شعراوى جمعة مجلس الوزراء وقال : والله ما حد عارف البلد دى ماشية إزاى . إحنا بنقرأ قوانين جديدة فى الجرايد دون أن نعرف عنها أى شىء !!

ويقول هيكل : وكان من بين اقتراحات عليه وقتها أن ينتهى من تصفية موضوع الحراسات مرة واحدة وإلى الأبد . وجئته فى المرة التالية ومعى الدكتور جمال العطيفى ـ المستشار القانونى للأهرام أيامها ـ حتى يتولى مشروع قانون تصفية الحراسات !!

ولا أحد ينكر أن الصحف عندما نشرت فى صفحاتها الأولى يوم ٢٩ ديسمبر ١٩٧٠ قرار تصفية الحراسات . أحس الناس بارتياح غامض !!

□□

وسط ذلك الجو المفعم بالتوترر والقلق .. والصراع المكتوم داخل دهاليز الحكم جرت حادثة تستلفت الانتباه !! وربما تثير الدهشة أيضا .

الحادثة يرويها الأستاذ « أحمد بهاء الدين » وكان وقتها ـ خريف وشتاء ١٩٧٠ ـ رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال ، ورئيس اتحاد الصحفيين العرب .. ورواها على النحو التالى :

ذات يوم فى الأسابيع الأولى لرئاسته جاءنى زميلى فى دار الهلال الأستاذ رجاء النقاش الذى كان يرأس تحرير مجلة الهلال وكتاب الهلال وقال لى إن دار الهلال قد سبق أن طبعت فى سلسلة كتاب الهلال أربعة كتب بقلم أنور السادات ، منها كتاب « ياولدى هذا عمك جمال » (تم تدريسه لطلبة المدارس فى ذلك العام الدراسى ٧٠ / ٧١) وكتاب « قصة الثورة كاملة » وكتابان آخران يضمان مقالات أنور السادات التى سبق أن كتبها فى جريدة الجمهورية ، واقترح رجاء النقاش أن نعيد طبع هذه الكتب فوراً بمناسبة انتخاب أنور السادات ؛ رئيسا لأن هذه الكتب فى تلك الفترة لابد أن تلقى رواجاً كبيراً .

وبعد أيام قليلة دق جرس التليفون فى منزلى ذات ليلة وكان المتكلم هو الرئيس الجديد أنور السادات . وبعد تحية قصيرة عاتبنى على أننى لا أراه وقلت له :

- سيادتك تعرف شعورى . وأنا أجد حرجاً فى الاتصال بك وأنت فى دوامة عنيفة من المسئوليات والزوار من أنحاء العالم وأعتقد أن سيادتك سوف تطلبنى إذا أردت منى أى شيء !!

وقال السادات إنه سمع أننا فى دار الهلال سنعيد طباعة كتبه المذكورة وأننى متردد وهو لا يرى مانعاً فى إعادة نشر هذه الكتب . وقلت له : إننى قرأت الكتب من جديد ، وأعطيته فكرة عن بعض ما فيها مما لا يجوز إعادة نشره وقد أصبح رئيسا للدولة ، ونحن فى ظرف نحسن فيه علاقتنا بالدول الأخرى ، ولذلك اتجه تفكيرى إلى أن نصدر كتابا واحداً يضم أهم مافى الكتب الأربعة ونستبعد منه مالا يجوز إعادة نشره . ويكون كتابا كبيراً بعنوان « من كتابات أنور السادات » .

وشكرنى الرئيس السادات بحرارة على أننى نبهته إلى ذلك ، ووافق على الاقتراح الجديد بل إنه أصبح بعد ما قلته له أكثر حرصا منى وقال لى : عظيم !! وأرى بعد ذلك أن تنتقى من الكتب ما تراه صالحا للنشر وأن نراجعه معاً ذات ليلة ، وسوف أتصل بك لهذا الغرض عندما أجد الوقت » .

ولم يقل لنا الأستاذ أحمد بهاء الدين لماذا لم يظهر هذا الكتاب إلى النور حتى الآن ؟!

ولكننا نعرف من هيكل أن « السادات أمر بعد وصوله للسلطة بسحب كل كتبه السابقة من السوق !! » .

وفى تلك الأيام تبارت بعض الصحف والمجلات فى إعادة نشر بعض كتابات السادات ، لكن المثير أيضا أن جمال عبد الناصر كان قد كتب بنفسه مقدمة أحد كتب السادات وهو « أسرار الثورة المصرية : بواعثها الخفية وأسبابها السيكلوجية » ، فأعادت الصحف نشر تلك المقدمة على أنها صورة السادات كما عرفها عبد الناصر !!

ولم يكن صعباً على السادات بعد ذلك أن يطيح بمعارضيه ويصورهم للناس على أنهم أرادوا تشويه صورة ومنجزات عبد الناصر .. و .. وأنهم .. وأنهم !!

الفصل العاشر

السادات ومبادرة روجرز !

حبست مصر انفاسها تنتظر ما سوف يعلنه انور السادات فى بيانه امام مجلس الأمة يوم ٤ فبراير ١٩٧١ بشأن مبادرة روجرز التى سبق ان قبلها عبد الناصر !!

وما هى إلا ساعات حتى اعلن السادات على الرأى العام المصرى والعربى والعالمى الامتناع عن إطلاق النار وتقديم مبادرة مصرية جديدة !!

واضاف السادات إن وقف إطلاق النار او إطلاق النار ليس هو القضية ، ولكن القضية هى تحرير كل الأراضى العربية ورد الحق العربى لشعب فلسطين !!

كان قرار السادات معناه الامتناع عن إطلاق النار لمدة ثلاثين يوما ، تنتهى فى ٧ مارس ١٩٧١ .

وسيعود السادات فى بيانه إلى الامة فى ٧ مارس إلى التأكيد على أنه ليس فى مقدورنا أن نمد وقف إطلاق النار أكثر مما مددنا .. وكذلك ليس فى طاقتنا أن نمتنع عن إطلاق النار .

وفى اليوم التالى نشرت الصحف القاهرية النص الكامل لخطاب السادات . كما نشرت الأهرام صدى الخطاب فى العالم ؛ فنسبت إلى جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قولها :

ـ « إن الرئيس المصرى يهددنا .. ونحن لا نريد إنذارات نهائية .. ولا تحديداً لموعد وقف إطلاق النار !» .

□□

ويلفت النظر ماكتبه محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام فى برواز تحت عنوان « بصراحة » (مقاله الشهير فى الأهرام) يقول فيه :

« لقد خطر لى والأسماع كلها فى انتظار كلمة الرئيس انور السادات ، أن الاهتمام العام لا يتسع لشىء آخر . لذلك اعتذر عن الكتابة هذا الأسبوع ، واستأذن ان انتظر إلى الأسبوع القادم بإذن الله » .

وفى نفس العدد من الاهرام ينشر صلاح جاهين رسماً كاريكاتيرياً بمناسبة عيد الأضحى ويظهر فيه جزار (لو دققت النظر فيه ستكتشف انه قريب الشبه من السادات) يجر خروفين مربوطين . واحد الخروفين يقول للآخر : مش ملاحظ حاجة مريبة فى الراجل ده !!

كانت النكتة عادية تماما .. لكن السادات وحده غضب منها .. وفيما بعد فاتح صلاح جاهين فى امرها !!

لقد استغرق عرض السادات لمبادرته ٥٠ دقيقة بالضبط حسبما قالت الأهرام وقتها ، ولكن كانت هذه المساحة الزمنية وما تخللها كافية لنسف الجسور مابين السادات ورجال مايو .

الواقع أن مبادرة ٤ فبراير ـ وبعدها مشروع الاتحاد الثلاثى ـ هى التى دفعت بانتهاء شهر العسل بين شركاء الحكم ، فجاءت الجفوة .. والخصام .. وتبادل الاتهام .. فالطلاق وجرى ماجرى وقتها !!

لقد أصبحت المبادرة تاريخاً .. ولكن أثارها الجانبية انعكست على سياسة مصر فيما بعد ولسنوات .. إلى أن جاءت مبادرة السادات بالسفر إلى القدس نفسها !!

ما حكاية هذه المبادرة ؟! ما ظروف التفكير فيها ؟! .

ماذا يقول صاحب المبادرة وماذا يقول خصومها وقتها والآن ؟!

يقول أنور السادات عن مبادرته :

« فى يناير سنة ١٩٧١ كان علىّ أن أتخذ قراراً بالنسبة لمبادرة روجرز (هاجمها السادات بعنف عندما كان نائبا للرئيس جمال عبد الناصر وقال عنها : ماتستاهلش !! وغضب عبد الناصر) فدعوت إلى اجتماع اللجنة المركزية العليا ووزير الحربية ووزير الخارجية وكان واضحا من المناقشة أن الرأى الغالب وهو رأى مراكز القوة وهم الأغلبية فى القيادة السياسية التى تركها لى عبد الناصر بأن نستأنف حرب الاستنزاف مع إسرائيل . وكان واضحاً أيضا من مناقشاتهم أنها مناورة لإحراجي وإحراج البلد ؛ فانتهيت من الاجتماع بأن قلت لهم إننى لن أدخل حرب استنزاف أخرى حتى تصلنى بطاريات الصواريخ وأؤمن المنشآت فى الصعيد نصف مصر ، كما أننى سأجدد مبادرة روجرز شهراً واحداً فقط ينتهى فى ٧ مارس ٧١ حتى أعطى آخر فرصة للعالم ولأمريكا ولإسرائيل ليتحملوا مسئولياتهم » .

ويضيف السادات شارحاً تفاصيل المبادرة التى أعلنها فيقول :

وفى ٤ فبراير ١٩٧١ أعلنت أمام البرلمان للعالم كله ولشعبنا وللأمة العربية مبادرة منى أساسها أنه إذا انسحبت إسرائيل من ضفة القناة إلى المضايق فإننا على استعداد لفتح قناة السويس بعد أن تعبر قواتنا إلى شرق القناة . وسوف أمد الثلاثة شهور الواردة فى مبادرة روجرز إلى ستة شهور بدلا من ثلاثة وسيكون هناك وقف إطلاق نار رسمى وأيضا سوف أعيد العلاقات مع أمريكا .. (كان عبد الناصر قد قطع العلاقات فى أعقاب عدوان ٥ يونيو (حزيران) ١٩٦٧ بأربع وعشرين ساعة فقط) .

وعندما نقرأ سطور المبادرة التى أعلنها السادات وقتها لا نلمح شيئاً على الإطلاق بشأن عودة العلاقات مع أمريكا بل إننا نقرأ بوضوح شديد قول السادات : بعثت برسالة إلى الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وتلقيت منه رداً على رسالتى ، ويؤسفنى أن أقرر أمام حضراتكم أن الموقف الأمريكى على ما هو عليه من انحياز كامل لإسرائيل !

والصحيح أن العلاقات المصرية الأمريكية ستجىء يوم ٧ نوفمبر ١٩٧٣ عقب زيارة كيسنجر للقاهرة بيوم واحد ومشاوراته مع السادات بشأن تنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ وانسحاب إسرائيل من المناطق التى احتلتها بعد وقف إطلاق النار إلى خطوط ٢٢ أكتوبر وموضوع تبادل الأسرى وموضوع حصار مصر لمضيق باب المندب !)

ونعود لكلمات السادات نفسه عن ملابسات وظروف وردود فعل المبادرة فيقول :

لم أخبر أحداً من مراكز القوى بمبادرتى هذه ، ففوجئوا بها يوم أعلنتها فى خطاب ٤

فبراير فى مجلس الشعب فأصيبوا بوجوم شديد .. فى حين أن العالم الخارجى استقبلها أحسن استقبال .

□□

أما شهادة وزير خارجية مصر فى تلك الأيام السيد محمود رياض « فيشير فى البداية إلى الاجتماع الذى دعا إليه السادات يوم ٢ فبراير لدراسة الموقف السياسى والعسكرى بعد نهاية فترة وقف إطلاق النار فى ٥ فبراير ٧١ وكان هناك إجماع على خوض المعركة » !

يقول محمود رياض بعد ذلك :

كان تعليق السادات فى النهاية - بعد سماعه كافة المجتمعين - إننى أوافق على مد وقف إطلاق النار ثلاثين يوما استجابة لنداء السكرتير العام - أوثانت وقتها - لإعطاء فرصة أخيرة للدول الكبرى لتحقيق السلام فى المنطقة . وقد تصورت من حديث السادات أنه سوف يصدر قراراً للقوات المسلحة لتحرير الأرض بعد التفاهم مع الفريق فوزى حول الوقت المناسب لخوض المعركة .

وكانت المفاجأة عندما اطلعت على مسودة الخطاب الذى سيلقيه الرئيس أمام مجلس الأمة أثناء وجودى بمكتب رئيس الوزراء « د . محمود فوزى » انتظاراً لوصول الرئيس . وكان يحمل المسودة وزير الدولة لشئون الرئاسة سامى شرف .. وجاء فى الخطاب أن الرئيس السادات بعد إعلانه عن موافقته على مد وقف إطلاق النار يقدم مبادرة من جانبه ، لم يتشاور معى فيها (الكلام لمحمود رياض) طالب فيها إسرائيل خلال فترة وقف إطلاق النار - القيام بانسحاب جزئى على الشاطىء الشرقى لقناة السويس » .

ويستطرد محمود رياض قائلاً :

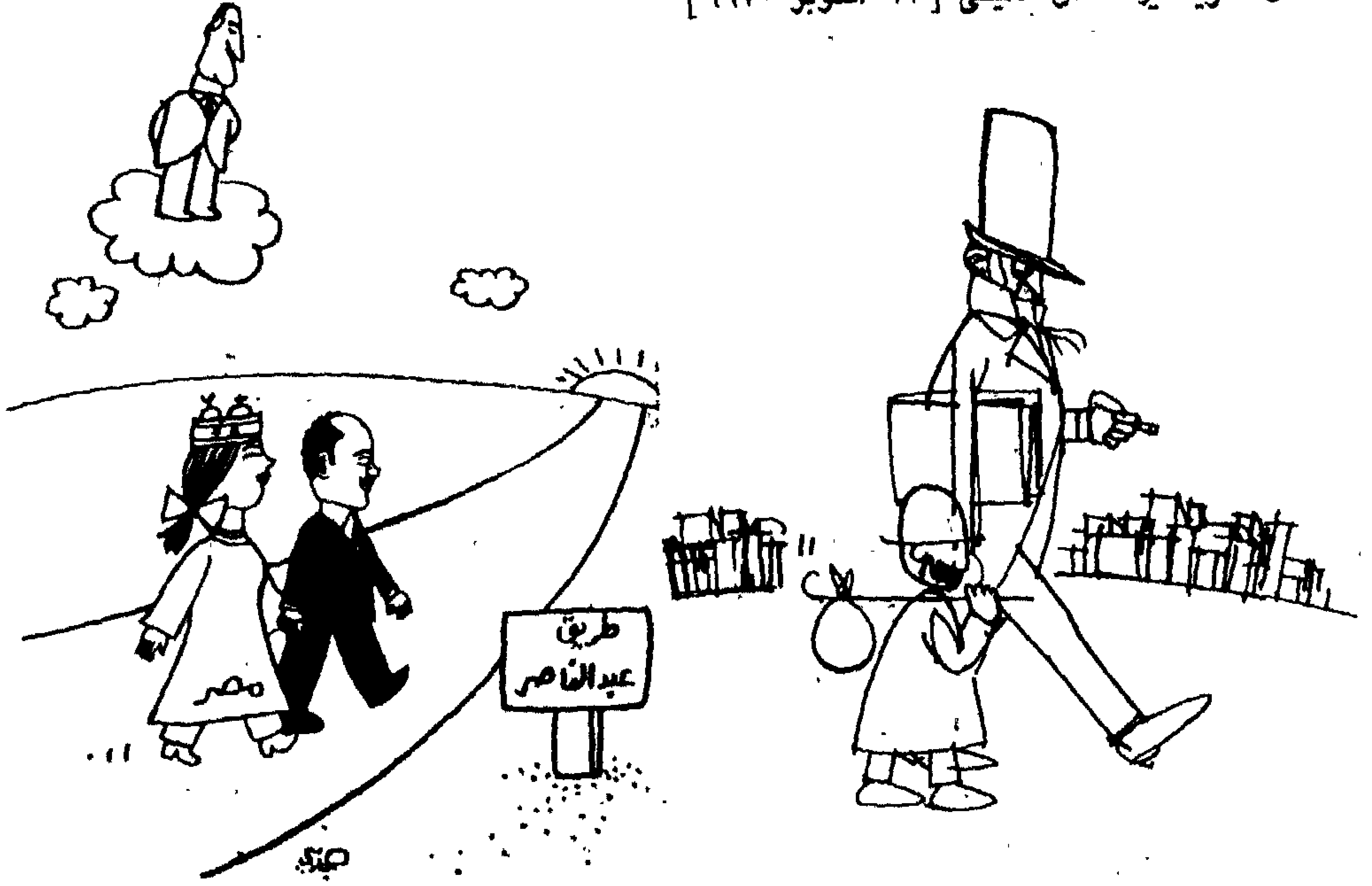
وعندما وصل الرئيس إلى غرفة الاستقبال فى مجلس الشعب كان هناك عدد كبير من الوزراء فى انتظاره ؛ فناقشته فى مضمون هذه المبادرة على أساس أن الدول العربية والدول الأجنبية سوف تعتقد أننا قد تراجعنا عن إصرارنا على التسوية الشاملة ، وأشرت إلى مقترحات يارنج التى سوف تصلنا قريبا ، والتى سوف تتضمن الانسحاب إلى الحدود الدولية ، وأنه من الأفضل تركيز الأضواء عليها لأنها باسم الأمم المتحدة .

وكانت وجهة نظر الرئيس أنه يريد أن يكسب إلى جانبه الرأى العام العالمى وخاصة الدول التى تضررت من إغلاق قناة السويس . وحاول إقناعى بأننا لن نخسر شيئا وأبدى مرونة عندما وافق على اقتراحى بشطب فقرات عديدة فيها إساءة إلى بعض الدول العربية وخاصة الأردن .

ولما أشأ أن أستطرد فى حديثى أمام بقية الوزراء لأبين له الخطأ الجسيم فى تقدمه بمبادرة من جانبه تتضمن تنازلات كبيرة دون أى مبرر !!

وكان السادات قد ذكر فى روايته لملابسات المبادرة قوله : لم أُطلع أحداً على تفكيرى إلا د . محمود فوزى رئيس الوزراء فاستدعيته وقلت له : لقد قررت أن أتقدم بمبادرة سلام .

● كاريكاتير للفنان الليثى [١٢ اكتوبر ١٩٧٠]



اسرائيل ـ تيجى نطعن فى وصية عبد الناصر لشعبه ؟! عبد الناصر ـ خير ان شاء الله !

سعد « د . فوزى » جداً بهذه المبادرة وقال : إنها ستحرك الموقف أمام العالم كله وتثبت أن مصر ترغب فعلا فى السلام !!

ولكن محمود رياض ينفى ذلك كله ويقول : كنت فى ذلك اليوم فى مجلس الشعب أتحدث مع د . فوزى فى مكتبه بالمجلس عندما دخل سامى شرف ومعه نسخ من خطاب الرئيس وتناقشت مع فوزى فى الأمر فلم يتردد فى إبداء اعتراضه عليها بشدة . وذكر لى أنه فوجىء بها ولم يسمع عنها من قبل !!

□□

وتنتظرنا أكثر من مفاجأة سياسية فى شهادة السيد « على صبرى » فهو يقول :

كان رأيى أنه لا موجب للمبادرة . وخلال جلسة مجلس الدفاع تم الاتفاق على إحالة موضوع المبادرة إلى لجنة فرعية . ثم فوجئنا بأن السادات أعلنها فى مجلس الأمة . وقبل اجتماع مجلس الأمة وكنا فى الصالون لاحظت أن هناك مناقشة بين شعراوى جمعة وسامى شرف ومحمود رياض والسيد أنور السادات . لم أسمع شيئاً من كلامهم إنما كان واضحاً أنهم يتحدثون حول بيان السادات بخصوص المبادرة . بعد ذلك قلت لشعراوى إن هذه المبادرة ليست كما اتفق عليها فى مجلس الدفاع : فقال لى : كنا نناقش السيد أنور السادات فى ذلك وكنا معارضين ولكنه صمم على رأيه . وبعد هذا البيان ـ يقصد

البيان الذى ألقاه السادات ـ قلت لشعراوى جمعة بصفته أمين التنظيم ولأن عبد المحسن أبو النور كان فى موسكو . إن رأيى هو جمع اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية . ورد شعراوى قائلاً :

ـ لا داعى لذلك لأن المبادرة لن تنجح ولن توافق عليها إسرائيل !

ويشير على صبرى إلى أنه لم يحادث السادات فى أمر المبادرة إلا عرضاً أثناء لقائه معه فى القناطر الخيرية قبل اجتماع المؤتمر الرباعى الذى عقد فى شيراتون قبل السفر إلى بنغازى فقال له السادات :

ـ أنا عارف أنك أنت ومحمود رياض معارضان .. لكن رأيى أنها مفيدة !!

□□

كان شعراوى جمعة هو المتهم رقم « ١ » فى القضية رقم ١ / ١٩٧١ مكتب المدعى العام الاشتراكى ـ د . مصطفى أبو زيد فهمى وقتها ـ وفى جلسة التحقيق التى انعقدت يوم ١٤ سبتمبر ١٩٧١ قال شعراوى :

تبدأ أحداث الفترة الأخيرة (يقصد الإقالات والاستقالات) بموضوع المبادرة المصرية التى أعلنها السيد الرئيس أنور السادات عن فتح قناة السويس وأول مرة علمنا بموضوعها كان فى « العربية » أثناء ما كنت رايح أنا وسامى (شرف) مجلس الأمة [الشعب الآن] وقرأنا هذا الموضوع فى مشروع خطبة الرئيس فى المجلس وكانت لى وجهة نظر فى هذا الموضوع :

إن هذه المبادرة قد تحول الأنظار إلى قناة السويس وتبعدها عن موضوع القضية الأولى ، وتحدثت فى هذا الموضوع مع السيد محمود رياض ، والدكتور محمود فوزى وسامى شرف وعلى أساس أن نعرض وجهة النظر على السيد الرئيس (السادات) عند حضوره إلى المجلس ، وبعد وصول السيد الرئيس دخلنا عليه فى الغرفة أنا وسامى ومحمود رياض ، وكان موجود أعضاء اللجنة التنفيذية العليا .

ويستطرد السيد شعراوى جمعة شهادته :

ـ « وابتدأ محمود رياض الحديث مع السيد الرئيس همساً ، وأعتقد أنه بناء على هذا الحديث أجرى السيد الرئيس بعض التعديلات فى الخطبة ثم تحدث إليه سامى وتحدثت أنا إلى سيادته همساً أيضا بوجهة نظرى فى أن فتح القناة قد يحول نظر العالم إليها بدلا من موضوع القضية الأصلى الوارد فى قرار مجلس الأمن ولكن هذا الموضوع لم يؤثر فى الثقة الموجودة بيننا وبين السيد الرئيس أنور السادات .. وإن كان هناك اختلاف فى وجهات النظر .. وفى هذه الأثناء كان السيد محمود رياض مسافراً فى باريس وأدلى بتصريح بشأن هذه المبادرة لم يعجب الرئيس فاتصل بى سيادته وأرسل لى نقطاً معينة بشأن هذه المبادرة وقد أعجبتنى فعلا ، وكان من بينها على ما أذكر عبور القوات المصرية إلى الضفة الشرقية للقناة وارتباط هذا العبور بالحل الكامل وعدة نقاط نشرت فى حينها فى الصحف ..

وقد اتصل بى السيد على صبرى « تليفونياً وكان ثائراً . ومفهوم حديثه أنه لم يؤخذ رأيه فى المبادرة وتكلمت معه مرة أخرى وناقشته موضوعياً واقتنع بالنقط على ما أذكر ولكنه قال يجب أن السيد الرئيس يناقشنا أو نعرف بهذا الموضوع قبل نشره فى الجرائد على الأقل . وأنا اتصلت بالرئيس وقلت لسيادته إن السيد على صبرى زعلان ، وارجو أنك تقابله . وأعتقد أن المقابلة تمت فعلا وأخبرنى السيد الرئيس بعدها أنه كان لدى السيد « على صبرى » أفكار جيدة .. » .

ونترك الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وقتها يسجل لنا مادار فى هذه الجلسة الخطيرة . يقول الفريق أول محمد فوزى :

تحول الاجتماع إلى مؤتمر موسع ضم الرئيس السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى والدكتور محمود فوزى ، وعبد المحسن أبو النور وشعراوى جمعة والدكتور عزيز صدقى ومحمود رياض والفريق أول محمد فوزى وسامى شرف وأحمد كامل مدير المخابرات العامة والفريق محمد صادق رئيس الأركان بوصفهم أعضاء فى مجلس الدفاع الوطنى .

افتتح الرئيس السادات جلسة مجلس الدفاع الوطنى الموسعة بذكر الهدف من الاجتماع وطلب معرفة رأى الحاضرين حسب الأقدمية . وتكلم السيد حسين الشافعى . وتلاه السيد على صبرى .. وهكذا وأخذ مقرر الجلسة (اللواء مصطفى عبد الرحمن مدير المخابرات الحربية) يسجل الآراء . وكان إجماع الرأى على ضرورة القتال لتحرير الأرض إذا كانت القوات المسلحة مستعدة له . ولم يحدد د . محمود فوزى [رئيس الوزراء] اتجاهه بالضبط . وأسهب محمود رياض [وزير الخارجية] فى الموقف السياسى وتطوره وبين أن التوقيت مناسب للقتال من وجهة النظر السياسية بعد أن استنفدت مصر كل الحلول السلمية ! وعندما جاء دورى فى الكلام أبديت استعداد القوات المسلحة للقتال لتحرير الأرض فى الوقت الحاضر ، وأن دعائم المعركة كلها متوافرة لدينا .

ثم تلهف الحاضرون لسماع الرئيس السادات الذى فاجأ الجميع بقوله : أنا سمعت آراءكم جميعاً وأوافقكم عليها ولكن أنا لدى فرصة لاستغلال الموقف السياسى وإعلان مشروع سلام يحرج العالم كله خاصة إسرائيل ودول غرب أوروبا التى أريد أن تشارك فى الحل ولكننى لا أوافق على سياسة وأسلوب حرب الاستنزاف (يشير الفريق أول فوزى أن أحداً من الحاضرين لم يذكر لفظ الاستنزاف) .

اعترض السيد حسين الشافعى (نائب رئيس الجمهورية) أقْدَم الحاضرين بقوله : يا أخ أنور بقى تسيبنا نقول آراءنا جميعا وأنت لديك كلام ورأى آخر ولم تعطنا الفرصة لمناقشته .

ولم يرتح الرئيس السادات للفظ : « يا أخ أنور » ورد على حسين الشافعى قائلاً :

« على العموم أنا عرفت آراءكم وسُجِّلَتْ هنا فى المجلس » .

ووقف الرئيس السادات معلنا انتهاء جلسة مجلس الدفاع الوطنى الموسعة .

وكان الرئيس السادات مقتنعا بأن مشروعه الجديد للسلام سيكون بديلا للاتجاه السياسى الذى اتخذته (ج . م . ع) عقب معركة يونيو ١٩٦٧ وهو حتمية التسوية الشاملة ، وانسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى احتلتها فى عام ١٩٦٧ . كما كان أمله عند قبول الولايات المتحدة وإسرائيل ودول غرب أوروبا مشروعه للسلام أن يتغير اتجاه المجهود الرئيسى لشعب مصر وقواتها المسلحة إلى جهود أخرى بعيدة عن الاستعداد لمعركة تحرير الأرض .

وفيما بعد نقرأ للسادات قوله : لو أن هذه المبادرة وجدت العناية الكافية من أمريكا لما قامت حرب أكتوبر ولبدأنا السلام فى ١٩٧١ .

ويشير محمود رياض إلى حقيقة هامة بقوله : استاء الرئيس السادات بسبب تجاهل الولايات المتحدة لمبادرته . وذكر لى فى أول أبريل (١٩٧١) أنه سيعلن سحبها فى خطابه فى عيد العمال فى أول مايو ؛ فاعترضت بشدة ، وعندما ذكرنى بأننى كنت معارضاً لها على الدوام ، أجبته بأن هذا صحيح ، ولكن سحبها سيظهرنا أمام العالم بأننا غير جادين منذ البداية ، ولكن يمكننا تصحيح الوضع بأن نعلن أن المبادرة مرتبطة بالحل الشامل ، وقد أعلن السادات ذلك فعلا !!»

ونعود لباقى شهادة الفريق أول محمد فوزى الذى يقول :

أعلن الرئيس السادات فى مجلس الأمة مشروع سلام جاء مفاجأة للجميع . وكان ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية مدعواً لحضور هذه الجلسة ، وكانت مفاجأة له مثلما كانت مفاجأة للمصريين جميعا والذين لم يفهموا قصد الرئيس إلا بعد أن صاغه الكاتب الصحفى « محمد حسنين هيكل » بعد ذلك فى قالب مبادرة باسم أنور السادات .

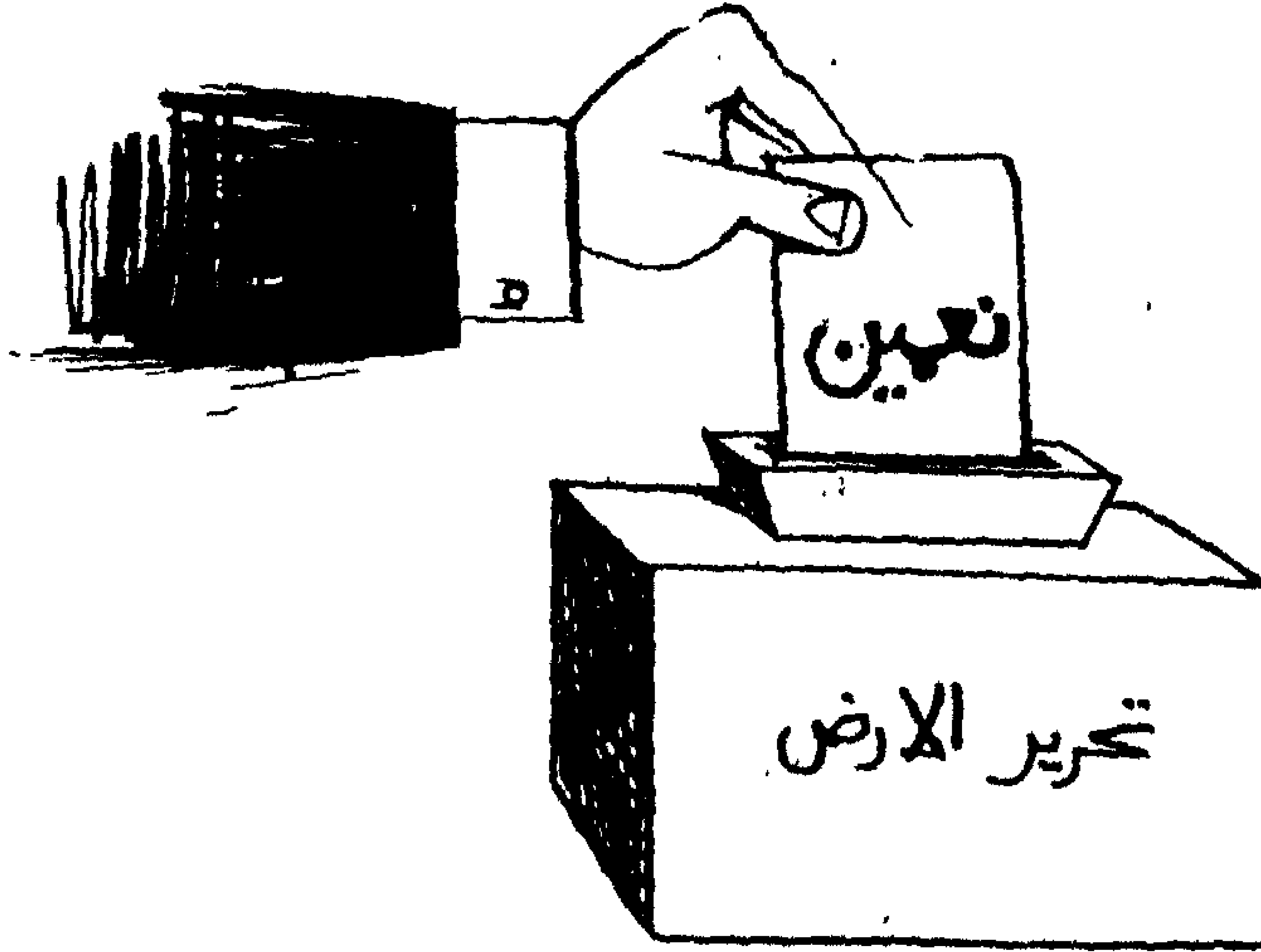
□□

ويضيف المهندس « سيد مرعى » فى شهادته حول مبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ :

بدأت المعارضة العلنية بعد الخطاب مباشرة بكلمات امتعاض قالها السيد « على صبرى » عضو اللجنة التنفيذية العليا أمامنا » .. ثم يقول عن المبادرة : إنها لم تأت بأى نتيجة !!

ونصل لشهادة السيد « ضياء الدين داود » عضو اللجنة التنفيذية العليا وقتها فيقول :

اقترب موعد انتهاء أجل وقف إطلاق النار فى ظل ذلك التوتر والإرهاصات ، وفجأة عقد السادات اجتماعاً لمجلس الدفاع الوطنى والذى ضم بعض أعضاء اللجنة التنفيذية العليا بحكم مواقعهم الأخرى ، كرئيس الوزراء وأمين الاتحاد الاشتراكى ورئيس مجلس الأمة . وعلمت بعد الاجتماع منهم أنه خُصص لمناقشة الموقف على ضوء الاتجاه لعدم تجديد وقف إطلاق النار وحتمية استرداد الأرض بالقوة . ثم تجاوز السادات اللجنة التنفيذية العليا وعرض الأمر مباشرة على اللجنة المركزية حيث تولى طرح ما جرى بمجلس الدفاع . وشرح



• • • !   [روزاليوسف ١٢ اكتوبر ١٩٧٠] .

موقف أمريكا بتفصيل وهجوم شديد وتأكيد أنها لا تعنى بالحل السلمى إلاَّ الاستسلام وتوالى التنازلات . وقال ـ أى السادات ـ إنه كان ملجأ على عدم المد ولكن إزاء الحاجة لمهلة شهر لإكمال بعض الاستعدادات الدفاعية الجارية وافق على المد شهراً (يقصد مد وقف إطلاق النار) .

ويكمل ضياء الدين داود شهادته قائلاً :

وإذ كنت أذيع عقب كل جلسة بيانا صحفيا عما دار بها وما يتخذ من قرارات فقد حررت ملخصاً لكلام السادات باللجنة وعرضته عليه فى نهاية الجلسة ، ولكنه طلب ـ أى السادات ـ إغفال حديثه عن أمريكا وهجومه على موقفها وتأكدت لدى الظنون التى كانت تسرى همساً حول الاتصالات الخفية بالأمريكان .. ولم أكن مرتاحاً لإغفال عرض الأمر على اللجنة التنفيذية وتساءلت كيف لا تعقد وكيف لم يعرض عليها الأمر ، وعرفت أن السادات يراوغ فى دعوة اللجنة للاجتماع .. بل ولا يقابل أحداً من أعضائها إلا نادراً أو مصادفة فحررت له مذكرة خطية مختصرة سجلت فيها ما لاحظته فى الفترة الأخيرة (الأسابيع الأولى من عام ١٩٧١) من إغفال عقد اللجنة التنفيذية العليا وعرض الكثير من القرارات الهامة والمصيرية عليها وقلت (ضياء داود للسادات) إنه لا يغنى عن انعقادها وعرض الأمور الهامة والسياسية والمصيرية عليها أى اجتماع آخر .

وفور وصول كتابى له طلبنى تليفونيا للقائه باستراحة القناطر حيث كان يقيم ، وسألنى فى شبه استنكار عن سبب خطابى إليه ودواعى الإلحاح فى عقد اللجنة التنفيذية . فأفضت فى شرح وجهة نظرى !! وفوجئت به (السادات) يشن الهجوم على اللجنة التنفيذية العليا وعلى قيادات الاتحاد الاشتراكى مشيراً إلى أنه لا يأمن عرض المسائل السرية عليها ، وأنه

يعتمد أساساً على المفاجأة . وقال إن أعضاء الاتحاد الاشتراكى وقياداته هم الذين يثيرون التساؤلات ويكثرون الجدل والنقاش ويخلقون البلبلة . أما سائر الناس فمرتاحون وقال بالانجليزية Relaxed

ويضيف ضياء الدين داود قوله :

وعلى ذكر المبادرة فإن القيادات نفسها فوجئت بما سمى بمبادرة السادات لفتح قناة السويس وهى التى أعلنها بمجلس الأمة دون عرضها أو مناقشتها على أى من المؤسسات السياسية أو حتى مجلس الوزراء بل تبين أن وزارة الخارجية نفسها فوجئت بها حتى أن نائبى رئيس الجمهورية (حسين الشافعى وعلى صبرى) وقت ذلك وأعضاء اللجنة التنفيذية والوزراء وقفوا بعد الجلسة يتساءلون وعلى وجوههم آثار المفاجأة وبان أن الكل فوجىء بها وأن وزير الخارجية (محمود رياض) كان قد أعد مشروعاً بناء على ما اتفق عليه فى مجلس الدفاع وسلمه للسادات ومن ثم فقد أعلن محمود رياض بعد ذلك فى تصريح صحفى له فى الخارج أنه لا وجود لهذه المبادرة !!

وزاد قلق أعضاء الاتحاد الاشتراكى فى مواجهة ذلك التناقض حتى باتوا يرددون أن أحداً لن يصدقهم بعد ذلك إذا ما عادوا لإعلان العزم على بدء القتال . وقلت للسادات إذا كانت كل تلك المؤسسات وكل هؤلاء المسئولين قد فوجئوا بالمبادرة فإن الجميع يتساءل : مَنَ إذن صاحب المشورة فيما يجرى ؟! فرد السادات علىَّ قائلاً أنه ناقش فيها الدكتور فوزى وهيكل وأنه اعتمد فيها على عنصر المفاجأة حين أوهم العالم كله أنه على وشك بدء المعركة وشد الأعصاب وأزم الموقف ، ثم يأتى استمرار وقف إطلاق النار بعد ذلك من قِبَله (من ناحية السادات) وكأنه إنقاذ للسلام ، وعاد إلى القول : بأنه لا يستطيع أن يفرض قيوداً على حريته فى الحركة وحرية المناورة ، وأنه لايثق فى جهاز الخارجية ولا يستطيع الاعتماد عليه وأنه ليس ملزماً بالرجوع إلى اللجنة التنفيذية والمركزية فى كل خطوة !!

ولقيت المبادرة معارضة شديدة واستياء حتى أن بعضاً من الدول الصديقة بما فيها دول غربية اعتبروها خطأ سياسياً فاحشاً فى ذلك الوقت .. وتنبأوا بأنها سوف تجتذب الحديث حولها وتركز الجهود على فتح القناة وحدها بعيداً عن القضية الأصلية (الأرض المحتلة) وتفتح باب التنازلات !!

وفيما بعد ذكر هيكل على صفحات الأهالى : إن هؤلاء - يقصد مجموعة ١٥ مايو - اتخذوا قراراً بأن تخوض مصر حرباً لم تستعد لها لتصاب بهزيمة عسكرية ثانية ، تهيىء لهم فرصة الوثوب إلى السلطة .

وقام عبد الهادى ناصف (أحد المتهمين فى قضية ١٥ مايو) بالرد على هيكل قائلاً :

هل كان أمر الوثوب إلى السلطة يحتاج من كل هؤلاء ومن بينهم نائب لرئيس الجمهورية ونائب رئيس وزراء ووزير داخلية ، ووزير الحربية ورئيس مجلس الشعب وأمين الاتحاد الاشتراكى ومدير المخابرات يحتاج إلى تدبير هزيمة كى تهيىء لهم الفرصة للوثوب إلى

السلطة ؟! إنهم كانوا بالفعل فى السلطة ، والهزيمة لو وقعت كانت ستطيح بهم جميعاً .

□□

لقد كان الفريق أول محمد أحمد صادق « فى ذلك الوقت رئيس هيئة الأركان وبعد ١٥ مايو ١٩٧١ أصبح وزير الحربية إلى أن أعفاه السادات » .

وقبل أن نتعرف على شهادته حول مبادرة ٤ فبراير يحسن بنا أن نعود معه قليلا إلى الوراء والعودة ستكون لأسابيع قليلة فقط . يقول الفريق أول محمد صادق :

رأى من اعتبروا أنفسهم الورثة الشرعيين لعبد الناصر إنه يمكنهم تحقيق طموحاتهم من خلال أنور السادات وكان تصورهم أنه لن يخرج من أيديهم ..وتصورت جماعة محمد فوزى أن الرئيس الجديد سيسمح لهم بمواصلة أداء دورهم فى حكم مصر مثلما فعلوا خلال المرحلة الأخيرة من حكم عبد الناصر ! وقد أخبرنى بذلك محمد فوزى نفسه صراحة عندما قال إن الرئيس السادات رجل سهل ويمكنهم التفاهم معه ! وبدأ محمد فوزى يهاجم عبد الناصر وسياسته ويتهمه بضعف الاعصاب بعد هزيمة ١٩٦٧ . ويمطر السادات بالثناء ويصفه بأنه رجل دولة من الطراز الأول يعرف كيف يختار الرجال . وفجأة وجدت تغييراً فى آرائهم عن أنور السادات . فعلمت أن شهر العسل قد انتهى بين هذه المجموعة والرئيس الجديد .

بدأ فوزى يكثر من حديثه معى عن خطورة الرئيس السادات وخطورة طموحاته هو وعائلته وفوجئت بمحمد فوزى يستدعينى إلى مكتبه ويطلب منى إعداد خطة لبدء معارك استنزاف جديدة ضد العدو !! فدهشت جداً .. وعندما سألته عن السبب أجاب بأن السادات خرج عن الخط وأنهم يخشون أن ينقلب عليهم ، وهذا يستدعى فى رأيه -يقصد الفريق فوزى - تورطه فى معارك استنزاف يشعر معها أنه غير قادر على التغيير !!

واعترضت على الأمر بشدة وغضب ، وأوضحت وجهة نظرى بحزم وما سيترتب على هذه المعارك بالنسبة لمصر ! وحذرته من خطورة بدء أية اشتباكات مع العدو وتأثير ذلك على الخطة الهجومية التى أعددناها . وسيفقدنا ذلك عامل المفاجأة عندما يتحدد موعد اقتحام القناة .

ولم تمض أيام بعد هذا الحديث إلا وقام السادات بزيارة لمبنى القيادة فى مدينة نصر وبعد انتهاء الزيارة وأثناء توديعه لركوب سيارته رأيت محمد فوزى يعرض عليه أمراً مكتوباً ويطلب منه التصديق عليه . وكان الأمر يتضمن بدء معارك الاستنزاف وقد اعتذر السادات عن عدم التوقيع ، ولا أعرف لماذا ؟

ويقول الفريق أول محمد فوزى تعليقا على هذه الواقعة بالحرف الواحد مايلى :

وأثناء نزول الرئيس من الدور السادس -وكنت أنا والفريق صادق برفقته -طلبت من الرئيس فترة راحة فى مكتبه بالقيادة لتوقيع توجيهات العمليات الحربية لمعركة تحرير الأرض التى كلفنى بتحريرها . وذكرت له أن توقيعها لن يستغرق وقتاً طويلا وأظهرت

التوجيهات من جيبى فرد الرئيس قائلاً : لا مفيش لزوم . بلاش !! (كان ذلك فى يوم ١٩٧١/٥/١١) وفى اليوم التالى كان فوزى قد ذهب لمنزل السادات لاصطحابه لمطار الماظة وعندما فاتحه فى أمر عدم توقيعه رد السادات بعتاب : « أنت مش فاهمنى يا فوزى ، انا لم أؤجل المعركة أو ألغيها إنما أردت بكلامى أمس أن أعرف رأى القادة والضباط فقط ، وقد صفقوا لى » .

ويضيف الفريق فوزى : لكنى أجبت فوراً : لا يا سيادة الرئيس أنا فهمت قصدك تماما أمس ، بدليل إحراجك لى فى النهاية ورفضت توقيع توجيهات القائد الأعلى لمعركة تحرير الأرض والتى كلَّفتنى بتحريرها !! فرد علىَّ بأن الوقت لم يكن مناسباً للتوقيع وإنه كان متأخراً عن موعد لقاء وزير خارجية إيران أمس » .

وبعد أن انتهى توضيح الفريق أول فوزى نعود لاستكمال باقى شهادة الفريق أول صادق الذى يقول :

دعا رئيس الجمهورية إلى اجتماع اللجنة المركزية العليا لاتخاذ قرار بالنسبة لمبادرة روجرز قبل أن يحين موعد انتهاء مهلة وقف إطلاق النار ! وقد حضر الاجتماع فوزى بصفته وزيراً للحربية بالإضافة إلى وزير الخارجية . وكان الاتجاه العام للأعضاء هو استئناف معارك الاستنزاف ، ومع ذلك لم يقع أنور السادات فى السرك المنصوب له ولم يوقع القرار الذى عرضه عليه فوزى باستئناف معارك الاستنزاف .

وفى فبراير ١٩٧١ أعلن السادات مبادرته الأولى للسلام دون أن يطلع أحداً على أفكاره ولم يستطع الفريق المتضامن مع فوزى أن ينال من السادات بسبب هذه القرارات .

□□

وأخيراً جداً تكشف السيدة جيهان السادات عن سر ربما يذاع لأول مرة .. هذا السر جاءت تفاصيله فى مذكراتها على هذا النحو :

بدأت الشائعات تتزايد بعد أن أعلن أنور فى مجلس الشعب عن مبادرة سلام جديدة ، وكان ذلك بعد أربعة شهور من توليه السلطة ، وأعلن أنور أنه على استعداد لإعادة فتح قناة السويس لو وافقت إسرائيل على الانسحاب من سيناء !!

أما المفاجأة التى تكشف عنها جيهان السادات فقد كانت بنص كلماتها :

« وما كان مذهلا حقاً هو اقتراحه بالتوقيع على اتفاقية سلام مع إسرائيل عن طريق وساطة الأمم المتحدة ، وعلى امتداد الواحد والعشرين عاماً من الوجود الإسرائيلى لم يحاول اى زعيم عربى أن ياخذ مثل هذه المبادرة ، وحين شعر اعداء أنور بالرعب من هذا الاقتراح ، بدأوا فى مضاعفة جهودهم للتشكيك فيه » .

□□

إن السيدة جيهان السادات هى نفسها التى اعترفت - ولم يكن أحد آخر - بأن السادات كان اقتراحه عام ١٩٧١ هو توقيع اتفاقية سلام مع إسرائيل !!

الفصل الحادى عشر

الســـــادات وليلة ١٥ مايو ٧١

اعتادت مصر كلها على ان تحتفل بعيد العمال فى أول مايو (ايار) من كل عام !!
كان جمال عبد الناصر فى العادة يختار إحدى المناطق الصناعية الكبرى ليلقى فيها خطاباً -كانت الصحافة تصفه دائما بانه هام وتاريخى -وكان يحضر عادة كبار رجال الدولة وضيوف مصر .
جاء عيد أول مايو هذه المرة وعبد الناصر فى رحاب الله .. وقد أصبح السادات رئيسا للجمهورية منذ سبعة اشهر .. ومنذ الأيام الأولى لتوليه الحكم كان واضحاً أن بوادر صراع بينه وبين الآخرين آتية لا ريب فيها !!
واختار أنور السادات منطقة « حلوان » ليلتقى فيها بالعمال وليلقى خطابه فى هذا اليوم .
فوجىء السادات عند وصوله بلافتات وشعارات تتصدرها كلمات وعبارات لجمال عبد الناصر . أكثر من هذا أن كل الصور المرفوعة كانت لجمال عبد الناصر . وكل الهتافات التى قيلت كانت تهتف باسم جمال عبد الناصر !

ولعل المراقبين الأجانب الذين حضروا هذا الاحتفال اندهشوا واستولت عليهم المفاجأة من هذا الذى يحدث أمامهم ! وبدا الأمر وكأن الرئيس الحالى - السادات - إنما هو ضد خط وفكر وسياسة جمال عبد الناصر . وهو الذى قال عقب فوزه فى الاستفتاء : لقد جئت إليكم على طريق جمال عبد الناصر !!

وتكلم السادات طويلا .. ورغم الهتافات التى قاطعته ، عبرها واستمر يلقى بيانه فى هدوء وصبر غريبين !!

وفجأة توقف السادات عن القراءة من الخطاب المكتوب أمامه وارتجل هذه الكلمات :

« ليس من حق أى فرد أو جماعة مهما كان هذا الفرد أو تلك الجماعة أن تزعم لنفسها قدرة منفصلة عن قدرة هذا الشعب ، أو أن تدعى لنفسها موقعاً تستطيع من خلاله أن تفرض رأيها على جموع الشعب ، أو أن تتستر وراء شعارات أو مناورات تحاول أن تشكل من خلالها مراكز قوة تفرض منها وصايتها على الشعب بعد أن أسقط هذا الشعب - مع جمال عبد الناصر - كل مراكز القوى ليبقى الشعب وحده سيد مصيره » .

وفى لحظة كانت عاصفة من التصفيق تزلزل أرجاء المكان ! وتوجه السادات ببصره ناحية السيد « على صبرى » الجالس فى الصف الأمامى .

وفيما بعد قال على صبرى : فهمت أنه يقصدنى أنا من استعمال كلمة فرد .. وفهمت من كلمة مجموعة أنه يقصد أعضاء اللجنة المركزية الذين أيدونى ولزمت بيتى . وبعد ظهر اليوم التالى اتصل سامى شرف هاتفياً بى وقال إنه صدر قرار بإقالتى من منصبى كنائب لرئيس الجمهورية . وأنه منذ يومين - أى سامى شرف - يحاول مع السادات العدول عن هذا القرار ولكنه لم يستطع .

□□

ويروى أنور السادات تفاصيل إقالة على صبرى للكاتب الصحفى الأستاذ موسى صبرى على النحو التالى :

« فى صباح ٢ مايو اتصلت بسامى شرف تليفونيا وقلت له : تطلع فى الصحف إقالة على صبرى فى سطر ونصف سطر . فى الصفحة الأولى وبنط صغير !! تململ فى الكلام . قلت له : اسمع مش عاوز تبلغ الصحف ، المكتب عندى يبلغها .. وقال حاضر يافندم ! وجاءنى فى ظهر نفس اليوم ومعه القرارات ، إقالته من نائب رئيس جمهورية ومن مساعد رئيس الجمهورية لشئون الطيران وحاجة ثالثة .. وهذا أمر غريب ، لأنه جرت العادة أن يعلن القرار بمجرد إصداره شفهياً وبعد ذلك يكتب وأوقعه بعد أيام ، وحدث هذا كثيراً ولكنه حرص على أن أوقع القرار قبل إعلانه ، وكأنهم تصوروا أنى سأعلن أننى لم أصدر القرار بعد إعلانه شفهياً !!

وأرسل القرار للصحف وطلبت من مكتبى أن يتصل أيضا بالصحف لضمان التنفيذ » !!

من المهم هنا أن نقرأ شهادة السيد « على صبرى » وتقول سطور شهادته :

وفى اليوم التالى (٣ مايو ١٩٧١) كتبت استقالتى من اللجنة التنفيذية وأرسلتها إلى الأمين العام عبد المحسن أبو النور ، وطلبت عقد اللجنة المركزية للنظر فى الاستقالة .

وتقول بعض سطور خطاب الاستقالة :

« وفى يوم أول مايو ١٩٧١ فى أثناء إلقاء رئيس الجمهورية لخطاب احتفال عيد العمال أشار فى آخر خطابه إلى ضرورة تحديد مسئولية السلطة وقال ما معناه أن هناك مراكز قوى لابد من تصفيتها وفى اليوم التالى ٢ مايو أصدر رئيس الجمهورية قراراً بإقالتى من منصبى كنائب رئيس الجمهورية استخلص من هذا أن كل من يريد أن يبدى رأيه بصراحة تستهدف مصلحة الوطن ويتعارض رأيه مع وجهة نظر رئيس الجمهورية يناله العقاب . ولذلك فإنى أرى والوضع على ما هو عليه وعلى ما سارت عليه الأمور - أن الأمر يستوجب أن أتقدم باستقالتى من عضوية اللجنة التنفيذية العليا ، أقدمها إلى اللجنة المركزية التى انتخبتنى فى هذا المنصب » .

وقيل إن عبد المحسن أبو النور تسلم رسالة على صبرى وطواها ووضعها فى جيبه ولم تناقش أو تعرض على أعضاء اللجنة المركزية !! وذلك حتى لاتزداد الأمور تعقيداً .

ومن الضرورى أن نلفت الانتباه لملحوظة هامة رواها السيد « ضياء الدين داود » : وذلك عندما دعا السادات أعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض الوزراء فيما عدا على صبرى وضياء داود إلى فنجال شاى بمنزله .. ويقول ضياء الدين داود : إن السادات علل لهم ذلك بقوله حتى لا يكون ملزماً باستضافة من لا يود لقاءهم أو دخولهم منزله . وتساءل السادات فى بداية الاجتماع كيف ستسير الأمور بعد كل ما جرى وبعد اهتزاز الثقة واستشراء الخلاف علانية وجرت مناقشات طويلة حول إمكانية عودة الصفاء وتصفية

الجو . كان هذا اتجاه الجميع فيما عدا السيد حسين الشافعى . إذ كانت له ثأرات يريد تحقيقها !!

وباقى الصورة نستكملها من موسى صبرى الذى ينقل عن السادات قوله :

ثم جاء روجرز وزير الخارجية الأمريكى وقابلته ، وبعد المقابلة دعوت اللجنة العليا عندى فى البيت ما عدا اثنين : على صبرى وضياء داود . وكان على صبرى وقتها قد كتب خطابا إلى أمين الاتحاد الاشتراكى عبد المحسن أبو النور يطلب دعوة اللجنة المركزية فوراً للاجتماع ، لأننى نحيته لمجرد أنه أبدى رأيه ويريد أن يناقش هذا كله فى اللجنة المركزية . وقد حضر سامى شرف رغم أنه ليس عضواً فى اللجنة . ولم أدع على صبرى وضياء لأن الاجتماع فى بيتى وأى كرسى هنا لا يستحق أن يجلس عليه أى منهما !! وسألت : يا عبد المحسن .. وصلك خطاب على صبرى ؟!

قال : أيوه يا أفندم !

قلت : ما رأيك ؟!

قال : كلام فارغ .

قلت : هل يوجد تعليق من أحد ؟!

لم يتكلم أحد .

□□

ونعود لخطاب السادات الذى ألقاه فى احتفالات أول مايو بعيد العمال . ونتوقف قليلا حول الفقرة الخاصة التى قرأها السادات من ورقة خاصة لم تكن ضمن أوراق الخطاب الأصلى والتى هاجم فيها ـ دون ذكر الاسم ـ على صبرى وجماعته !!

وحتى ذلك الوقت كان هيكل هو الذى يكتب الخطابات الهامة للرئيس . واستمر ذلك أيام السادات حتى فترة معينة وقبل أن يحدث الصدام بينهما !!

يقول أنور السادات : طلبت من هيكل أن يحضر لى خطبة عيد العمال وأعطيته النقط وقلت له فى نهاية الخطاب أريد فقرة عن مراكز القوى وعن أننى لن أسمح بأى صراع ، ومسئوليتى كرئيس لهذا البلد أن أطحن كل من يحاول إحداث صراع . وقلت لهيكل : هذه الفقرة تكتبها بمنتهى الوضوح .. وكتب الخطاب وأرسله إلى مكتب سامى شرف وكتب على الآلة الكاتبة كما هى العادة فى وقت عبد الناصر ، ويوجد فى المكتب شخص يعرف خط هيكل . وقرأ سامى طبعا الخطاب وتلقيت الخطاب وعند مراجعتى له لم أجد الفقرة التى طلبتها ، وفى المساء طلبنى هيكل وسألته :

ـ لماذا لم تكتب هذه الفقرة ؟ فأجابنى لا يافندم .. أعمل معروف الجزء ده سيادتك تكتبه .

ـ كده يا هيكل دى الساعة دلوقت ٩ مساء .

ـ أرجوك يا فندم ..

يكمل السادات : وفعلا سهرت ليلتها وكتبت الفقرة بنفسى !

وفيما بعد يحلل الكاتب الصحفى اليسارى لطفى الخولى ذلك الموقف بقوله :

« كان حديث السادات عما اسماه « مراكز القوى » مفاجأة باغتت « محاور يسار السلطة » التى كانت قد اطلعت مسبقاً على نص الخطاب المكتوب (خطاب أول مايو) ولم تكن فيه أية إشارة من قريب أو بعيد إلى مراكز القوى . وقد فسر السادات هذا الموضوع فروى أنه طلب من محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام الذى حرر الخطاب أن يكتب فى ورقة منفصلة عن الخطاب الرسمى فقرة خاصة بمراكز القوى .

لكن هيكل اعتذر لسببين : إحداهما : شخصى . والآخر : موضوعى .

فهو من ناحية لا يريد أن يصبح طرفاً فى الصراع بين السادات وبين محاور يسار السلطة ، ولما كانت هذه المحاور تعرف انه هو الذى حرر الخطاب الرسمى فإنها سوف تعتقد أن التشهير بها على أساس أنها تكون « مراكز القوى » صادراً فى الأصل عنه ـ أى هيكل ـ وأنه هو الذى أقنع السادات به .

ومن ناحية أخرى كان « هيكل » يرى أن الحديث العلنى عن « مراكز القوى » يعنى « إعلان الحرب » على الجماعة التى تقبض على أجهزة الدولة والتنظيم السياسى مما يقطع الطريق على كل حوار أو مصالحة ممكنة بين أطراف الصراع . الأمر الذى يهدد استقرار ووحدة البلاد فى مواجهة المخاطر الجسيمة التى تراكمت بعد غياب عبد الناصر المفاجىء !.

ونعود للوراء شهور قليلة ونتأمل مغزى هذه القصة التى جرت وقائعها بين كواليس الصحافة المصرية . فقد حدث ذات مساء أن اطلع الرقيب على خبر فى الأهرام يقول إن وقف إطلاق النار سيمدد أربعة أسابيع فاتصل بمحمد فائق وزير الإرشاد وأبلغه الأمر فقال له الوزير اشطب الخبر !!

وعلم هيكل بما حدث فقال : انشروه !

وعاد الرقيب يتصل بوزير الإرشاد ؛ فإذا به يأمره بمصادرة الأهرام ، ويستعين على المصادرة بفرقة المباحث المعقودة لشعراوى جمعة وزير الداخلية .

ورد هيكل على هذا الإجراء بقوله : سيبوهم يصادروا الأهرام !!

وكادت أن تتم المصادرة لو لم يتصل شعراوى جمعة نفسه بهيكل ويسأله عن سبب إصراره على نشر الخبر ؟! فقال هيكل :

السبب بسيط ، وهو أن الرئيس أنور السادات اطلع عليه وسمح بنشره !!

وكان المعنى ـ حتى ذلك الوقت على الأقل ـ أن « هيكل » لا يزال يحتفظ بنفس المكانة التى كان يحتفظ بها أيام عبد الناصر ! ولكن هذه المرة مع السادات .

□□

فى تلك الأيام كان الجميع ـ السادات والآخرون ـ فى سباق مع الزمن !!

وكان ما يجرى فى تلك الأثناء مثيراً للدهشة والقلق أيضاً . وكانت الفترة من ٢ مايو حتى ١٣ مايو ١٩٧١ واحدة من أخطر الفترات العصيبة التى مرت على مصر .. بل ويكاد يجمع شهود تلك الأيام من كبار رموز السياسة والحكم على عصبية تلك المرحلة .

كانت الأحداث تجرى بسرعة غريبة .. وكان واضحاً أن كل ثانية ودقيقة تعنى الكثير لكل الأطراف .

يقول أنور السادات : كان المفروض أن أذهب فى يوم الخميس ١٣ مايو سنة ٧١ إلى مديرية التحرير ولكنى علمت أنهم قد دبروا « كميناً » هناك لاغتيالى فأجلت الرحلة معتذراً بأنى مجهد . وقررت أن أتخلص منهم ولكن كان لابد من بيّنة ـ أى دليل ـ ومنذ تاريخ توليتى فى ١٦ أكتوبر سنة ٧٠ إلى ١١ مايو سنة ١٩٧١ كانت هناك أسباب كثيرة للتخلص منهم ولكن كانت تنقصنى البينة ، إلى أن أتى يوم ١١ مايو فجاءنى ضابط بوليس شاب لم تكن لى به سابق معرفة وهو يحمل معه شريط تسجيل عليه مكالمة تليفونية بين اثنين من مراكز القوى يتضح فيها تآمرهم علىّ وعلى الدولة وكيف كانت الإذاعة محاصرة يوم جلسة اللجنة المركزية للاستفتاء على مشروع الوحدة .. حتى إذا لجأت إلى الإذاعة لأخاطب الشعب أحاصر هناك ويغتالوننى .

عندما وصلنى هذا الدليل قلت يجب أن أصفيهم على الفور . بدأت بإقالة وزير الداخلية (شعراوى جمعة) وفى الساعة الحادية عشرة إلا ثلاث دقائق من مساء نفس اليوم ١٣ مايو ١٩٧١ جاءنى أشرف مروان (زوج كريمة عبد الناصر) وكان يعمل مديراً لمكتب سامى شرف وهو يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة ووزير الحربية ووزير الإعلام ووزير شئون رئاسة الجمهورية وأعضاء من اللجنة المركزية العليا . وكان المقصود بهذه الاستقالات أن يحدث انهيار دستورى فى البلد !! قبلتها جميعا وأعلنتها على الشعب وحددت إقامتهم فى بيوتهم . وفى نفس الليلة أجريت تعديلا وزارياً وأعيد تشكيل الوزارة ولم يحدث أى انهيار دستورى مما كانوا يحلمون به !!

سطور السادات السابقة رواها بعد سبعة سنوات بالضبط من وقوع الأحداث لكن مساء الجمعة ١٤ مايو ١٩٧١ وعندما ظهر السادات على شاشة التليفزيون روى تفاصيل الساعات العصيبة . وفى يوم السبت ١٥ مايو صدرت أخبار اليوم [رئيس التحرير وقتها إحسان عبد القدوس] بمانشيت أحمر بعرض الصفحة الأولى يقول :

« القصة من اولها » .

« ويلفت النظر ان الحكمة التى اعتادت ان تنشرها اخبار اليوم فى نفس الصفحة الأولى من كل اسبوع كانت تقول هذه المرة : إن ينصركم الله فلا غالب لكم » .

وقالت أخبار اليوم إن مجلس الأمة انتخب بالإجماع حافظ بدوى الذى كان وزير الشئون الاجتماعية رئيسا لمجلس الأمة وحصل على ٢٥٨ صوتا من مجموع أصوات الحاضرين البالغ عددهم ٢٥٩ صوتا حيث اعتبر صوت واحد باطلاً !!

وفيما بعد سنعلم أن الجلسة الاستثنائية التى تقرر فيها فصل رئيس المجلس ووكيليه و ١٥ عضواً لم يكتمل نصابها القانونى فلم يتجاوز عدد الحاضرين ٥٢ عضواً من ٣٦٠ والمعروف أن فصل العضو لابد من موافقة ثلثى الاعضاء !!

وفى نفس العدد من أخبار اليوم نقرأ لإحسان عبد القدوس مقالا فى الصفحة الأولى عنوانه : « الذى حدث .. لماذا حدث ؟! » قال فى نهايته :

« هذه الكلمة لا أكتبها دفاعاً عن أحد ، ولا حتى تبريراً لأى إجراء تم اتخاذه ! أنور السادات ليس فى حاجة إلى دفاع .. الله والشعب معه .. والإجراءات الأخيرة ليست فى حاجة إلى تبرير لأنها إجراءات مهدت لها تصرفات كانت مكشوفة ومعروفة لكل من يحاول أن يعرف وكانت منتظرة بين يوم وآخر .. والتفاصيل كثيرة وليس هذا مجالها » .

وكتب الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى مقاله الشهير « سقطت عصابة الإرهاب » وأعلن موسى صبرى عن ثورة مايو !

□□

ولكن كيف كان وقع تلك الاحداث العصيبة على بيت أنور السادات نفسه ؟! وكيف استقبلتها جيهان السادات زوجة الرئيس ؟ ! .

تقول جيهان السادات عن ذكريات تلك الأيام :

فى يوم أول مايو بدأت الأزمة فخلال إلقاء خطاب بمناسبة عيد العمال كان الرجال الذين يملأون الصفوف الأولى يرفعون معاً صور عبد الناصر ، وأصبحت المؤامرة علنية ، وعندما عاد أنور هرعت إليه أسأله عما سيفعل ؟! فرد بهدوء : سترين غداً ! وفى اليوم التالى أقيل على صبرى ! وفى كل صباح كانت تأتينا الرسائل بالشائعات الجديدة ، وكانت أهم رسالة من محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام قال لى : أريدك أن تقسمى على ألا تبلغين أحداً بما سأقوله لك .. إن الرئيس يتصرف بهدوء شديد حتى أننى لا أعتقد أنه يدرك حجم الخطورة ، لقد سمعت خططاً فى أكثر من اجتماع للإطاحة به !! أن على زوجك ألا يقترب من مبنى الإذاعة والتليفزيون .. لقد أصدر وزير الدفاع أوامره إلى الحرس بالإحاطة بالمبنى إذا قرر الرئيس أن يدخله لإذاعة المؤامرة التى تحاك ضده للشعب .. لقد صدرت أوامر بالقبض عليه إذا اقترب من المبنى ، اندفعت إلى مكتب فوزى عبد الحافظ أرجوه .. ألا يدع أنور يذهب إلى مبنى التليفزيون .. لأن هناك خطراً شديداً عليه » .

والملاحظ فى شهادة السيدة جيهان السادات أنها لم تخبر السادات بما رواه لها هيكل بوضوح شديد ، وكيف أن هناك مؤامرة على حياة الرئيس ؟ !

ونعود لباقى شهادة السيدة جيهان التى تقول فى سطورها :

« ورغم الأخطار التى شعرت بأنها تحيط بنا من كل جانب ، رفض أنور اتخاذ أى إجراء ضد هؤلاء الوزراء حتى يصبح لديه دليل قوى قائلاً : إن هذا بلد القانون ولن أعود إلى سياسة الدولة البوليسية !

وفي ١١ مايو جاء الدليل ، حضر فوزى إلىَّ وقال : إن أحد ضباط البوليس من المؤيدين لزوجك قد أحضر لتوه شريط تسجيل لمحادثة بين فريد عبد الكريم ومحمود السعدنى تكشف عن مؤامرة للإطاحة بالنظام وقتل الرئيس !

كانت أختى داليا وزوجها محمود أبو وافية فى زيارة لنا ، وطلبت من فوزى الانتظار قليلا حتى يذهبا خوفاً من وجود أى جواسيس وبعد منتصف الليل حضر أنور ولم يكن يعلم شيئا .. وجلسنا نستمع .. أن عبد الكريم الذى كان أمينا للاتحاد الاشتراكى بالجيزة يقول للسعدنى إنه سيتم استغلال زيارة السادات لمديرية التحرير للتخلص منه ! وماذا لو ذهب لمبنى الإذاعة وعرض الأمر على الشعب ؟! رد عبد الكريم : إن رجالنا هناك سيمنعونه من الدخول ويقبضون عليه !

وهنا نظر إلى أنور وسألنى : هل أبلغك هيكل بذلك من قبل ؟! لماذا لم تبلغينى به .. إن ما يحدث مؤامرة .. سأتصل بهيكل فوراً ! فقلت له : إن التليفون مراقب والساعة الآن الواحدة صباحاً .. وفى صباح اليوم التالى أيقظت ابنتنا « نهى » وطلبت منها الذهاب بسرعة إلى منزل هيكل القريب وأن تطلب منه الحضور ، وحضر هيكل وتأكد أنور من النبأ »

إن السيدة جيهان لم تقل لنا بصراحة لماذا لم تخبر السادات بما سبق أن قاله لها هيكل من قبل ؟! ولم تقل لنا جيهان ماذا جرى بين السادات وهيكل بمجرد مجيئه ؟! ولاما الذى دار بينهما ؟!

□□

وحول هذه الواقعة نعود لرواية أنور السادات التى رواها إلى « موسى صبرى » وجرت وقائعها كالتالى :

يقول السادات لموسى صبرى : جاءنى ضابط الأمن الذى قدم لى الشرائط برقابة التليفون وفيها حديث بين فريد عبد الكريم ومحمود السعدنى ، وفى هذا الحديث يسأل السعدنى : عملتم حساب الإذاعة ؟ ! ورد عبد الكريم : نعم عاملين حسابها ! وهنا قال لى فوزى سكرتيرى : بهذه المناسبة أبلغ سيادتك أن هيكل جاء لى يوم اجتماع اللجنة المركزية وقال لى إن الإذاعة محاصرة ، وأنه ذهب إلى دار الإذاعة ورأى بنفسه الحصار ولما طلبت منه أن يبلغ سيادتك بذلك قال أنا ماليش دعوة وقلت له : أنت قريب جداً للرئيس ويستمع منك أى كلام فى السياسة .. أما أنا فلا .. ولكنه رفض أيضا !!

وذهلت من هذه الواقعة . وفى الصباح طلبت من نهى ابنتى أن تمر فى طريقها إلى المدرسة على منزل هيكل وتطلب منه أن يحضر عندى . وحضر هيكل وسألته عن هذه الواقعة فروى لى أن أحد الصحفيين بالأهرام جاء إليه يوم اجتماع اللجنة المركزية وأبلغه بأنه رأى حصار الإذاعة . ونزل هيكل من مكتبه ورأى بنفسه الحصار ثم أبلغ سكرتيرى فوزى !

يضيف السادات ، ودهشت ولماذا لم تبلغنى يا هيكل ؟! حصار الإذاعة معناه انقلاب ! وهنا روى لى هيكل أيضا ما حدث من شعراوى جمعة معه يوم خطاب أول مايو . فبعد



سماع الخطبة ذهب شعراوى إلى هيكل وهدده وقال له . لعلمك أى مساس بالاتحاد الاشتراكى نعتبره مساساً بعبد الناصر وسنقاومه . قال شعراوى هذا الكلام على أساس أن « هيكل » هو الذى كتب خطاب أول مايو بفقرته الأخيرة ، ولكن لما تبينوا من مراقبة التليفونات أن « هيكل » لم يكتب هذه الفقرة قالوا له بعد ذلك براءة !!

ويكمل أنور السادات حديثه لهيكل : أمرك غريب يا هيكل .. حصار على الإذاعة ولا تخبرنى وتقول لى خفت وقبلها تهديد لك من شعراوى ولا تقول .. ولو كنت قلت لى عن تهديد شعراوى كنت أقلت الجميع مع إقالتى لعلى صبرى فى أول مايو . وهنا انفلتت من هيكل عبارة قالها دون أن يدرى أنا مكنتش عارف القوة فين !!

انتهت رواية السادات كما سجلها موسى صبرى عن واقعة حصار الإذاعة وعدم إبلاغ السادات به ، رغم اعتراف جيهان السادات نفسها بإبلاغ هيكل لها عن هذا الحصار والسؤال : لماذا لم تخبر جيهان زوجها السادات بهذا الأمر ؟!

ومن الضرورى أن نستمع لشهادة الأستاذ محمد حسنين هيكل وروايته لوقائع تلك الأيام فيقول :

يكفينى أن أقول إننى كنت أول شخص دعاه الرئيس السادات إلى بيته ليتشاور معه حين وصلت إليه الأشرطة التى أقنعته بوجود تآمر عليه ، وقد ظللت منذ تلك اللحظة إلى يوم ١٥ مايو حين انتهى كل شىء رفيقا شبه دائم إلى جانبه حتى تمت العملية بنجاح . لقد كان بعدها فى ١٥ مايو ١٩٧١ وبحضور كل من د . محمود فوزى رئيس الوزراء وقتها والمهندس

سيد مرعى والدكتور عزيز صدقى أن دعانى الرئيس إلى تولى وزارة الإرشاد القومى ، ورجوته أمامهم جميعاً من إعفائى .

« ويقول هيكل مستطرداً فى شرح وقائع ما حدث وقتها على النحو التالى :

إن الليلة التى كانت حاسمة فى الصراع كله هى ليلة ١١ مايو ١٩٧١ ففى تلك الليلة وصل إلى بيت السادات بعد منتصف الليل ضابط بوليس يعمل فى إدارة الرقابة على التليفونات بوزارة الداخلية وكان يحمل معه مجموعة من الأشرطة المسجلة تكشف بوضوح أن كل تليفونات الرئيس « السادات » كانت موضوعة تحت الرقابة ! لم يكن تليفونه هو تحت الرقابة ، ولكن الرقابة وضعت على تليفونات جميع الذين يتصل بهم بغير استثناء وبالتالى فقد كان هو تحت الرقابة الكاملة . وإن لم يوضع تليفونه هو بالتحديد فى كشف المراقبات !

وفى صباح ١١ مايو أرسل إلى ابنته الكبرى فى بيتى القريب من بيته يستدعينى لأمر هام ودهشت أنه لم يستعمل التليفون فى دعوتى وأنه أرسل ابنته لاستدعائى فى هذا الوقت الباكر من الصباح . وذهبت إليه وكان يجلس فى الشرفة التى تصل بين غرفة نومه وغرفة نوم زوجته فى الدور الثانى من بيته فى الجيزة ، وحين دخلت كان جالساً بالبيجامة وأمامه جهاز تسجيل وسألته مندهشا عما جرى وكان رده : اجلس واسمع ! وجلست وسمعت !! وأحسست بخطورة الموقف ، واقترحت عليه أن يشرك معنا فى « السر » الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء فى ذلك الوقت .

ولم يكن هناك وقت فقد كان مقرراً فى ذلك اليوم أن يمر الفريق فوزى على الرئيس السادات كى يصحبه إلى اجتماع مع قيادات القوات المسلحة فى قاعدة بلبيس ، ونصحته بأن يذهب إلى اجتماعه مع الفريق فوزى وأن يحضر اجتماع قادة القوات المسلحة كما كان مقرراً ، كما نصحته أيضا أن ينتهز فرصة يتأكد فيها من موقف الفريق « محمد صادق » رئيس أركان حرب القوات المسلحة » !!

وعن هذا الاجتماع يروى الفريق أول محمد فوزى فيما بعد قائلا :

« إن رغبته فى الاجتماع مع قادة القوات المسلحة يومى ١١ و ١٣ مايو ما هى إلا أسلوب لاحتواء أفراد القوات المسلحة لاتجاهاته وأهدافه قبل أن ينفذ خطوة الإطاحة بمعارضيه . (ثم يضيف) وكان هيكل قد نصح الرئيس السادات بالاطمئنان أولا على الدعامتين المسلحتين فى الدولة وهما القوات المسلحة وقوات الشرطة فإذا ضمن هاتين القوتين يمكن أن يتصرف بحرية كاملة مستغلا سلطاته الشرعية كرئيس للجمهورية » !!

ويقول محمود رياض : « إن محمد فوزى أبلغه بأنه قدم استقالته بعد رفض السادات التوقيع يوم ١١ مايو على قرار بدء معركة التحرير والتى سبق وحدد الرئيس بنفسه تاريخها » !!

ويعود الفريق فوزى ليقول : « احتفظت بهذه الاستقالة وأبلغت زملائى الوزراء الذين حضروا إلى مكتبى بقرارى لإنهاء خدمتى وتقديم استقالتى إلى رئيس الجمهورية . وحضر

إلى مكتبى بناء على طلبى الفريق صادق وبعض القادة وهم اللواءات محرز مصطفى ومحمد على فهمى وأحمد زكى فأخطرتهم بالموقف العام . كما ذكرت أن الرئيس يتجه بكل ثقته ووزنه إلى الأمريكان إلى حد استعداده لتنازلات تخص سيادة الدولة .. وترجمها الفريق صادق إلى كلمة بيع البلد للأمريكان وأنا وافقته على ذلك ، والغريب فى الأمر أن الفريق صادق نقل هذه الجملة إلى الرئيس عن لسانى أنا » !!

مازلنا نحاول رصد أحداث ووقائع يوم ١١ مايو ١٩٧١ وتفاصيل التطورات .. ومازلنا نستمع لشهادة الفريق فوزى الذى يضيف فى شهادته :

رفض جميع القادة الحاضرون عزمى على الاستقالة ، ورد الفريق صادق بأن الموقف صعب ، أرى أن سيادتك تذهب إلى المنزل وتؤجل الاستقالة إلى الغد حيث يمكن مناقشتها فى هدوء فرفضت ذلك وقلت له : أنا مصمم على الاستقالة وأعرف كيف أوصلها للرئيس وانصرفت إلى منزلى ..

وحوالى الساعة الثامنة والنصف مساء اتصل الفريق صادق بالرئيس السادات وروى له تفصيلات ما حدث بعد ظهر اليوم فى مكتبى ، وكيف أنه تمكن من طرد الوزراء شعراوى جمعة وسامى شرف وسعد زايد من مقر الوزارة ، كما منع الفريق فوزى من جمع المجلس الأعلى للقوات المسلحة لبحث موضوع الساعة ، كما طمأن الرئيس على القوات المسلحة وسيطرته عليها وعلى قادتها !! وكان رد السادات بالشكر وتعيين الفريق صادق وزيراً للحربية فوراً » !!

□□

ويكمل الصورة محمد عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام عقب ١٥ مايو ١٩٧١ فيقول : فى ١٣ مايو ١٩٧١ أرسل لى السادات سيارة من الرئاسة فى الصباح تحمل خطاباً يستدعينى للقائه فوراً وحين قابلته قال لى : إن هناك مؤامرة ضدى ، وأنبأنى بقصة الشرائط المعروفة ، وأضاف أن شعراوى جمعة وزير الداخلية غير قادر على حمايتى وأنه لابد من تغييره !وعدت إلى منزلى ، وفى مساء اليوم التالى طلبنى السادات وحين وصلت إلى منزله وجدته بالبيجاما فى صالون منزله وإلى جواره مسدسه ، ووجدت السيد محمد حسنين هيكل وكان يذرع الصالون بقلق وهو يقول بين الحين والآخر : ربنا يستر ، وكانت جيهان فى حالة ذعر كامل ، فقد كانت الإذاعة تكرر إذاعة استقالة مجموعة الوزراء الذين استقالوا آنذاك ، وتفصل بينها المارشات العسكرية والأغانى الوطنية ، وكان الجو يوحى بأن هناك انقلاباً !!

وطلب منى السادات أن أذهب إلى الإذاعة وقال : أنا عينتك وزيراً للإعلام ، وسألته عن القوة التى ستمكننى من تسلم مبنى الإذاعة ، ولكن لم تكن هناك قوة جاهزة . وذهبت إلى الإذاعة بصحبة ضابط واحد ، وتوجهنا أنا وهو ودخلنا المبنى ، وأعلنت لمن وجدتهم فيه أننى وزير الإعلام الجديد فامتثلوا لأوامرى ، وجمعت المسئولين عن كل المحطات ، وعينت

رئيسا جديداً لصوت العرب بدلا من « محمد عروق » وأصدرت تعليمات بوقف إذاعة الاستقالات ! وغيرت مكان إذاعة صلاة الجمعة فى اليوم التالى وتمت السيطرة على كافة محطات الإذاعة المحلية والفرعية بسهولة ودون أن يقاوم أحد ! »

وعلى عكس الصورة السابقة تجيء شهادة المهندس « سيد مرعى » كان يومها ـ ١٣ مايو ـ فى مديرية التحرير وعاد إلى الأسكندرية بعد مكالمة من فوزى عبد الحافظ يبلغه فيها عدول السادات عن زيارة مديرية التحرير . وبمجرد وصول سيد مرعى إلى الأسكندرية تلقى تليفونا من السادات يستدعيه للعودة إلى القاهرة فوراً .

يقول سيد مرعى : وصلت إلى القاهرة فى الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل وتوجهت لفورى إلى بيت الرئيس السادات ، كان الرئيس يجلس فى شرفة الدور العلوى بهدوئه المعتاد مرتديا البيجامة ومن فوقها العباءة ومُدَخِنًا غليونه ، ومتأملا الفضاء البعيد ، ويبدو أن الرئيس أدرك من كلماتى وانطباعاتى الأولى أننى لست ملماً بأى شىء مما يجرى فى هذه الليلة الحاسمة ، وأخبرنى بأمر الاستقالات ..

ويشرح سيد مرعى تفاصيل ما جرى إلى أن يقول : وكلفنى الرئيس بمهمة على أن أنجزها فى مجلس الأمة فى اليوم التالى ـ الجمعة ١٤ مايو ـ وهى الخاصة بإسقاط العضوية عن رئيس المجلس والأعضاء القليلين الذين كانت تحركهم مراكز القوى .

ونتأمل مغزى شهادة السيد محمود رياض حيث يقول :

وفى يوم ١٣ مايو أقال وزير الداخلية شعراوى جمعة وكنت أقيم حفل عشاء فى نفس اليوم لوزير خارجية إيران فى فندق شيراتون بالجيزة وقبل خروجى من المنزل بدقائق تلقيت مكالمة تليفونية من سامى شرف أبلغنى فيها بإقالة الرئيس لشعراوى جمعة ، وأضاف بأنه ـ أى سامى ـ ينوى الاستقالة . وقد نصحت سامى شرف بعدم تقديم استقالته . وأضفت أن ترك أى وزير لمنصبه بناء على طلب رئيس الجمهورية مسألة طبيعية ، وأنه لا يوجد عقد بين الوزير ورئيس الجمهورية يلزم الرئيس باستبقاء الوزير فى منصبه ، ولو سألنى الرأى أى من الوزراء الخمسة الذين قدموا استقالالتهم لنصحتهم أيضا بعدم الاستقالة ، خاصة أنه تبين فيما بعد أن بعضهم كان يعلم بأن السادات يرغب فى التخلص منهم !

وحوالى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ـ وقبل نهاية حفل العشاء ـ أبلغنى سكرتيرى بأن الرئيس يطلبنى ، فتوجهت إلى منزله بالجيزة ووجدت هناك نائب الرئيس حسين الشافعى وعزيز صدقى نائب رئيس الوزراء ومحمد حسنين هيكل وكان يبدو على السادات الاضطراب الشديد . وبدات المفاجآت الواحدة بعد الأخرى . كان أولها عندما ذكر السادات أنهم استمعوا إلى شريط تسجيل تضمن الحديث الذى دار بين سامى شرف وبينى ومحاولتى إثناءه عن الاستقالة ولم أهتم إطلاقا بمضمون الحديث الذي يشير إليه بقدر استيائى من تسجيل أحاديث نائب رئيس وزراء ووزير خارجية مصر ، ثم كانت

المفاجأة الثانية عندما بدأت أستمع لمشروع بيان يتهم فيه عدداً من الوزراء وفى مقدمتهم وزير الدفاع بالخيانة وتدبير مؤامرة لقلب نظام الحكم . وسألت مندهشاً : ما الذى يجرى ؟! وجاءنى الرد بأن خمسة وزراء قدموا استقالاتهم وهم : [الفريق محمد فوزى ومحمد فائق وسعد زايد وسامى شرف وحلمى السعيد] وأن الخبر أذيع فى أخبار الساعة الحادية عشرة وهو مالم أعلم به لوجودى مع ضيفى فى حفل العشاء .

وعدت للسؤال ..وأين الخطأ فى استقالة الوزراء ؟! وسمعت الرد بعد فترة من الصمت أن إعلان الاستقالة قد أذيع قبل موافقة رئيس الجمهورية فقلت ربما يكون الإعلان بهذه الطريقة خطأ ، ومع ذلك فقد استقال وزير الإعلام وتساءلت : لماذا توجه تهمة الخيانة ؟ وذكرت بحدة أن المنطق يقضى بعكس ذلك تماما ، فقلب نظام الحكم لا يمكن أن يتم سوى عن طريق القوات المسلحة !! وإذا كان هذا هو الهدف لبقى وزير الدفاع فى منصبه حتى يمكنه تدبير القيام بانقلاب ، ووجم السادات وفوجىء برفض اتهام الوزراء بالخيانة ورفض لصدور البيان .

ونعود لجيهان السادات التى تقول :

« وفى صباح ١٣ مايو أقال أنور شعراوى جمعة ثم استدعى اللواء الليثى ناصف قائد الحرس الجمهورى وسأله عما سيكون موقفه إذا طلب منه القبض على بعض الوزراء . ورد اللواء الليثى بأنه سيطيع الأوامر بالطبع !

كنا نجلس معا (أنور وجيهان) نشاهد نشرة أخبار الساعة العاشرة فى التليفزيون عندما دخل علينا أشرف مروان زوج ابنة عبد الناصر وكان يعمل فى مكتب سامى شرف يحمل استقالات رئيس مجلس الأمة ووزير الدفاع ووزير الإعلام ووزير شئون الرئاسة وعدد من أعضاء اللجنة المركزية وقال أشرف : إن هذه الاستقالات ستعلن فى التليفزيون بعد دقائق !

وسألت أشرف : ولماذا لم تبلغنا بذلك من قبل حتى يتمكن الرئيس من التصرف ؟ فرد : إن الوزراء منعونى من مغادرة المكتب » .

ولابد من العودة للسطور الأخيرة فى شهادة هيكل وملابسات ليلة ١٣ مايو الحاسمة :

فيقول : يوم ١٣ مايو وكان الرئيس الراحل يستعد لتسجيل خطابه إلى الأمة يشرح فيه قصته مع من سموا فى ذلك الوقت بمراكز القوى . كنت معه فى مكتبه فى قصر القبة ومعنا السيد حسين الشافعى نائب رئيس الجمهورية . كان المقرر أن يكون الحديث مرتجلا : وشرح الرئيس أمامنا ـ السيد حسين الشافعى وأنا ـ ما ينوى أن يقوله عند بدء التسجيل . ولاحظت انه يركز تركيزاً شديداً على أن خلافه مع الآخرين كان سببه أنهم منعوه من التفاوض مع روجرز وزير الخارجية الأمريكية الذى كان يطوف بالمنطقة . وأتذكر اننى قلت له بالحرف الواحد وأنقل الآن عن مذكرات كتبتها يومها :

سيادة الرئيس الناس لا يهمهم إذا كانوا منعوك أو لم يمنعوك من المفاوضة مع روجرز

ان هناك قضية أخرى تسبق غيرها من القضايا الآن فى ضمير الناس كل الناس ، وهى قضية الديمقراطية . هذه هى النقطة التى أتصور أن يتركز عليها كل خطابك الآن !

ورحت أجادل الرئيس حتى اقتنع فى النهاية !

وألقى السادات بيانه مساء الجمعة ١٤ مايو ١٩٧١ . وفى اليوم التالى كتبت وكالة الأنباء الفرنسية فى تقرير لها من القاهرة يقول :

إن صفحة جديدة فى تاريخ مصر قد بدات و ان السادات خرج من هذه التطورات وهو اقوى بكثير !



أول صورة نشرت لأعضاء مجلس قيادة الثورة

القسم الثانى

الحقيقة الضائعة :
لغز هزيمة يونيو !

اكثر من عشرين عاماً مضت على احداث ٥ يونيو ١٩٦٧ التى هزت مصر والعالم العربى بدءاً من الهزيمة وتنحى عبد الناصر عن الحكم إلى أن استجاب لرغبة الجماهير فى العدول عن تنحيه !

وفى هذه المدة تغيرت الدنيا من حولنا ، غابت اسماء كانت ملء السمع والبصر ، ولمعت أسماء جديدة !

ولعلنا نذكر أن عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ٦٧ وفى أول لقاء مباشر مع الجماهير قال : « حرب ٦٧ مش حنقدر نعرف اسرارها كلها دلوقتى ، حنعرف أسرارها بعد سنوات .. » .

ومضت سنوات طويلة .. ولم تكشف بعد أسرار يونيو وهذه محاولة لقراءة ما بين سطور ما كان ينشر فى الصحافة المصرية والإسرائيلية والعالمية فى تلك الفترة .. بهدف رسم صورة لتلك الايام وما جرى فيها من أحداث .

انتهت حرب السويس ١٩٥٦ وكل الأطراف راضية سعيدة بما حصلت عليه ولو إلى حين !!

كانت مصر ـ ومعها كل العالم العربي ـ راضية بذلك الانتصار السياسى الكبير ، وإجبار ثلاث دول (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) على الانسحاب من الأراضى المصرية . وخرج جمال عبد الناصر من هذه الحرب ليزداد بروزاً على المسرح السياسى العربي والعالمى وليتأكد دوره ـ الذى سيلعبه لسنوات طويلة ـ كزعيم للأمة العربية ، وأحد زعماء العالم الثالث .

وعلى الجانب الآخر كانت حرب السويس بداية نهاية عصر الامبراطورية البريطانية بسقوط « انتونى ايدن » واعتزاله ، وسقوط الجمهورية الفرنسية واعتزال « جى موليه » الحكم !!

باختصار شديد كانت مصر ـ والعالم العربى ـ تتأهب لبدء صفحة جديدة ومجيدة فى تاريخها الحديث !!

وعلى كثرة الكتابات الغربية التى خرجت عن حرب ١٩٥٦ ، يلفت النظر ما كتبه « كينيث لاف » المراسل السابق للنيويورك تايمز عندما كتب يقول :

« منذ اللحظة التى أدركت فيها إسرائيل أنه يجب أن تنسحب ، قدرت أن سيناء هى ميدان المعركة القادمة إن عاجلا أو آجلا وبدأت عملية وضع خطط الحرب الجديدة فى أعقاب الحرب السابقة مباشرة ، وكانت حرب ١٩٥٦ بمثابة بروفة لسنة ١٩٦٧ . ولم يكن قد مضى على وضع خطط الحرب السابقة سوى عام واحد ، عندما تم تجربتها عمليا ونضجت الخطط قبل ١٩٦٧ بفترة طويلة ووصلت إلى درجة كبيرة من الكمال ، ولم يبق أمامها كما كانت الحال سنة ١٩٥٦ ـ سوى توافر الظروف الملائمة وصدور قرار سياسى لتنفيذها عملياً » .

وحقيقة الأمر ان عام ١٩٦٧ كان عاماً ملائماً لإسرائيل لتشن حربها على مصر ، فمنذ مطلع ذلك العام بدأت أعراض الأزمة الاقتصادية الحادة تكشر عن أنيابها . كساد اقتصادى ، بطالة متزايدة ، تزايد العجز فى الميزان التجارى ، إضرابات مستمرة لتحسين مستوى المعيشة والمطالبة برفع الأجور . حركة الهجرة إلى إسرائيل كادت ان تتجمد !! والمفاجأة أن أعداداً كبيرة من الصفوة بدأت تعود لأمريكا وأوروبا حيث المال والشهرة ووجدت إسرائيل أنها منقسمة على نفسها بشكل لم يسبق له مثيل منذ عام ١٩٤٨ . ووصل الأمر أن ليفى أشكول استغرق شهرين كاملين ليتمكن من تشكيل الحكومة الائتلافية .

وبدأ التذمر ضد حكومة أشكول وقامت المظاهرات ضدها ! إن التهديد الخارجي وحده ـ من الجيران العرب مثلا ـ كفيل بإلغاء كل هذا التذمر والانقسام وعبور الأزمات الداخلية فى مواجهة العدو الخارجي !!

باختصار شديد كانت الحرب هى الحل النموذجي لتتخلص إسرائيل من متاعبها وهمومها الاقتصادية وكانت سوريا هى المدخل لذلك حيث اتخذ الفدائيون من أراضيها قواعد لعملياتهم الفدائية ضد إسرائيل ، وصرح أشكول : أنه من المحتم أن تحدث مواجهة خطيرة بين سوريا وإسرائيل إذا استمرت عمليات الفدائيين الفلسطينيين داخل إسرائيل .

ولا تسكت مصر إذ صدر عنها بيان يقول : إن الجمهورية العربية المتحدة سوف تخوض المعركة ضد إسرائيل إذا تعرض الوطن السورى لعدوان يهدد أرضه وسلامته .

●●

كانت مصر كلها على أبواب المعركة !

وكانت الأحداث تتصاعد بشكل سريع متلاحق يلهث المرء فى متابعته وكان الكل يتحدث عن أحلام وأمانى ما بعد الوصول إلى تل أبيب وتدمير « الدولة المزعومة » بتعبير تلك الأيام !

شوارع القاهرة ومدنها وقراها امتلأت عن آخرها بلافتات النصر . وشعارات تقول يا جمال يا حبيب .. يالللا معاك لتل ابيب !

وتحولت القاهرة في تلك الأيام والأسابيع القليلة التي سبقت ٥ يونيو إلى عاصمة الأنباء في العالم على حد تعبير مراسل صحفي انجليزي وقتها .

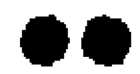
وفي أحد المؤتمرات التي نظمها الاتحاد الاشتراكي في حي عابدين ، ذهب شعراوي جمعة ليلقي كلمة - وحسبما نشرت في روز اليوسف ٢٩ مايو ٦٧ - فوجيء بأن عدد المقاعد أقل من ألف مقعد وعدد الحاضرين يزيد على عشرة آلاف فرشوا الأرض بالحصير وجلس كثير منهم على أسفلت الميدان واختنق صوت شعراوي وهو يقول لهم : كان مفروضا القي فيكم كلمة ، ولكنني أمام هذا الحشد لا أجد كلمة أقولها سوى جملة واحدة أوجهها إلى « عبد المجيد فريد » وزع على هؤلاء الناس السلاح !

اما في القليوبية فقد فوجيء « د . فؤاد محيي الدين » أمين الاتحاد الاشتراكي -ورئيس وزراء مصر بعد ذلك - بأن الناس لم تحضر المؤتمر ليفهموا ولكن ليسألوا : أين السلاح للآلاف الذين تطوعوا منا ؟! وأجابهم د . فؤاد محيي الدين قائلاً : نحن أخذنا أسماء المتطوعين وعناوينهم ، وسنستدعيهم بمجرد أن تقرر القيادة ذلك !! ولم يقتنع المستمعون بهذا الكلام إلا بعد جهد ، في نفس الوقت كانت برقيات التأييد وطلبات التطوع للقتال في صفوف الجيش تنهال على مكتب جمال عبد الناصر بمصر الجديدة . وصرح « محمود الجيار » مدير مكتب الرئيس للشئون الداخلية وقتها : وصل عدد البرقيات يوم ١٢ مايو إلى ١٥٠٠ وعدد الرسائل حوالى ٣٢٠٠ رسالة أما عدد طلبات التطوع فبلغ ١٧٢٠ طلبا .

قال طالب في رسالته لعبد الناصر : أتمنى ياسيادة الرئيس أن أزور فلسطين على نفقتكم ، حلاوة الانتصار .

وفيما بعد -بالتحديد في عام ١٩٧٦ -يقول محمود الجيار في ذكرياته المنشورة .لم أصدق عيني عندما جئت من البلد إلى القاهرة في الأيام التي سبقت حرب يونيو اللافتات على كل الجدران تصور اننا انتصرنا بالفعل ، وفي كل الشوارع لوحات من القماش ، تتدلى بعرض الشارع ، وتكاد تلمس زجاج سيارتي ، معلنة غاية الابتهاج بالنصر في المعركة التي لم تبدأ بعد !! أحسست انى أشق بسيارتي مظاهرة أو ساحة مولد ، لا شوارع مدينة تستعد للقتال .. ووجدت نفسي اتجه دون وعي إلى بيت المشير عبد الحكيم عامر ، فهو الذي سيقود الجيش في المعركة ، وانا كنت من مجموعته في تنظيم الضباط الأحرار ، ولا حاجز بيننا يمنع من أن أصارحه بخلجات نفسي ! ولكن المنظر الذي رأيته في بيت المشير ضاعف من انزعاجي :كانت تجرى في البيت عمليات نشطة لتركيب عدد هائل من التليفونات تصل البيت بالقيادة ، حتى يتسنى للمشير أن يقود المعركة وهو في بيته !! وأدركت أن ما رأيته في شوارع القاهرة إنما يعكس تصور القيادة نفسها للمعركة ، وهو أنها « نزهة لتدمير إسرائيل » لن تكلف إلا تركيب عدد من خطوط التليفون في بيت القائد ، وعدة أثواب من القماش تكتب عليها شعارات الاحتفال بالنصر ! وأسرعت على الفور إلى بيت عبد الناصر ورويت له ما شهدت في شوارع القاهرة وفي بيت المشير فانصت لي دون أن يعلق !! [انتهى ما كتبه الجيار] .

وقبل نشوب الحرب بسبعة أيام بالضبط ، تصدر غلاف مجلة روز اليوسف صورة المشير عبد الحكيم عامر رسمها الفنان جورج البهجوري وكتب تحتها سطراً واحداً هو : نسر الثورة - أنا مستعد !



كان الانشغال إذن بترتيبات واحتفالات - ما بعد النصر - لا ترتيبات المعركة نفسها !! هكذا انشغلت مصر النظام والشعب !! وفى غمرة ذلك كله ، كانت مصر كلها مشغولة بظاهرة غنائية جديدة نافست « عبد الحليم حافظ » مطرب الثورة ، وسحبت من تحت قدميه إعجاب الملايين ، كان الظاهرة الغنائية الجديدة هو صوت المطرب اللبناني « فهد بلان » !!

وصارت أغانية [أشهرها فى ذلك الوقت سلم علىَّ . جس الطبيب لى نبضى] ! تذاع ليل نهار عبر إذاعات مصر من صوت العرب إلى الشعب ومن البرنامج العام إلى الشرق الأوسط ، مما جعل د . مصطفى محمود يتوقف أمام صوته فى محاولة لدراسة هذا النجاح الطاغى والمذهل فيكتب قائلا :

« فهد بلان مغن له حركات وله حضور جذاب على المسرح وهيكل رجولى وصوت حمش فحل يشد عيون المراهقات والعوانس والنساء الجائعات .

ومع ذلك تناقل الوسط الفنى والناس خبر موافقة الموسيقار محمد عبد الوهاب وعبد الحليم حافظ على توزيع فيلم « غرام فى الاستديو » بطولة فهد بلان وسعاد حسنى ، حيث سيغنى فهد أربع أغان من تلحين عبد الوهاب وفريد الأطرش وبليغ حمدى وعبد الفتاح سكر !!

ولشهور طويلة كانت مصر كلها مشغولة بحكاية لاعب كرة القدم « لمعى » الذى تحول إلى أسطورة حكيت حولها عشرات ومئات الحكايات والأسرار . كان « لمعى » يلعب لنادى المنصورة ، وحلم حياته أن يلعب للأهلى ، ورفض وزير الشباب وقتها « طلعت خيرى » - زملكاوى - أن ينتقل للأهلى ، بل فضل أن يلعب للزمالك .. ورفض لمعى .. وقيل وقتها أنه تم اجتماع فى فندق شبرد دام سبع ساعات حضره المشير عبد الحكيم عامر وقادة الأسلحة البرية والبحرية والجوية لبحث حكاية لمعى !! وحدث ذلك الاجتماع قبل أيام قليلة من ٥ يونيو ١٩٦٧ .

وفى نفس الوقت كانت جماهير الكرة تتناقل وقائع محاضرة كروية كان قد ألقاها « على زيوار » ونشرها على صفحات روزاليوسف نائب رئيس تحريرها - فى ذلك الوقت - الكاتب الرشيق العبارة صلاح حافظ ، وقال على زيوار إن نقطة الضعف الأساسية فى لاعبينا هى « النسوان » وأنه « حتى الفريق مرتجى بكل النياشين التى على صدره لا يقرر شيئا بشأن الكرة إلا بعد الرجوع إلىَّ !! ومشكلة الزمالك باختصار هى الشلة التى تجلس فى النادى بعد التاسعة مساء لتشرب القهوة والشاى ثم تتكلم عن الكورة ، وحسن عامر - رئيس نادى الزمالك وقتها - مهذب متعلم ، متربى ، والكورة مش عاوزة كده » !!

ملحوظة تاريخية : حسن عامر شقيق المشير عبد الحكيم عامر ، والفريق عبد المحسن مرتجى رئيس النادى الأهلى ، فإن جمال عبد الناصر هو الذى أصدر قرار تعيينه فى هذا المنصب !!

... و ... و ... وتنشر جريدة « صنداى تايمز » البريطانية يوم ٢٧ مايو ١٩٦٧ رسالة صحفية من مراسلها فيليب ناتيلى فى القاهرة قال فيها : ليس فى القاهرة ما يوحى بان هذه الدولة على حافة الحرب فزيارات السياح اليومية لاهرامات الجيزة لم تنقطع والمقاهى والمطاعم ممتلئة بروادها وكثيرون من المصريين فى نادى الجزيرة الرياضى يلعبون الجولف ويسبحون ويعرضون أجسامهم لحرارة الشمس .

وفى نفس العدد نشرت الصنداى تايمز رسالة لمراسلها فى تل أبيب « دافيد دايدج » كتب يقول على المستوى التكتيكى : لا تزال إسرائيل تقوم بتوازن على حافة الحرب ، ولكن أى زائر غريب لتل أبيب يمكن أن يتصور الحرب وقد قامت بالفعل ، ففى مراكز جمع الدم يقف المتطوعون على النواصى فى طوابير طويلة وفى الضواحى يقوم تلاميذ المدارس بحفر الخنادق .

وبعد سنوات طويلة - أبريل ١٩٧٦ يروى « منير حافظ » الرجل الثانى فى مكتب معلومات جمال

عبد الناصر بعد سامي شرف ـ أن قائد الطيران الفريق صدقي محمود اقام حفلة لضباط الطيران مساء ٤ يونيو في أنشاص ، وتجيء سخرية القدر على لسان المطربة شريفة ماهر التي قالت في التحقيقات التي أجريت فيما بعد ، أنها استدعيت للمشاركة في الحفلة في انشاص ، فذهبت تلك الليلة ومعها زوجها الطبيب ووجدت أن الغرفة المعدة لاستبدال ملابس الفنانات كانت عبارة عن مقصورة جانب المسرح مقامة بقماش من قماش السرادقات ، ووجدت ان بعض المدعوين حاول أن يزيح اطراف القماش لينظر إليها وهي تستبدل ملابسها فرفضت ان تستخدم هذه المقصورة فأخذوها إلى غرفة أخرى وصفتها بأنها مليئة بالخرائط والمناضد التي عليها خرائط مجسدة ونماذج طائرات على الحائط ، أي أن هذه الغرفة كانت غرفة سلاح الطيران » .

كان « أنور السادات » يشغل منصب رئيس مجلس الأمة [الشعب الآن] منذ عام ١٩٦٥ ، وكان المجلس قد وافق بالإجماع في جلسة ٢٨ مايو ١٩٦٧ على اقتراح بقانون تقدم به عدد من أعضائه ينص على : « تفويض رئيس الجمهورية إصدار قرارات لها قوة القانون في جميع الموضوعات التي تتصل بأمن الدولة وسلامتها ، وتعبئة كل إمكاناتها البشرية ودعم المجهود الحربي والاقتصاد الوطني ، وبصفة عامة في كل مايراه ضروريا لمواجهة هذه الظروف الاستثنائية » .

وأعلن السادات في نفس هذه الجلسة أن اكثر من سبعين عضواً من أعضاء المجلس وكذلك المجموعة الإقليمية لمحافظة اسوان تقترح بأن ينتقل مجلس الأمة بجميع اعضائه للتشرف بالاجتماع مع الزعيم جمال عبد الناصر ! وكان من رأى احد الأعضاء تعليقاً على الاقتراح السابق أن طلب : بأن يأتي جنة قلوبنا وأعيننا جمال عبد الناصر في هذا الموقف العظيم إلى ممثلي الشعب وأن يلتقي بنا في جلسة مغلقة أو علنية لأننا نريد أن نشاهده وأن نتحدث إليه وجهاً لوجه !!

ولكن رئيس المجلس « أنور السادات » رد بحسم : لقد اقترحت على المجلس أن يكون تبليغ تأييدنا للسيد الرئيس على موقفه البطولي بأن نتوجه جميعاً إلى منزله !

وصباح ٢٩ مايو استقل أعضاء مجلس الأمة الأتوبيسات وذهبوا برئاسة أنور السادات إلى القصر الجمهوري بالقبة لإبلاغه بقرار المجلس السابق . وفي اللقاء مع أعضاء المجلس قال لهم عبد الناصر : حينما اتصل بي الأخ أنور السادات بالأمس ليبلغني عن قراركم بالحضور لمقابلتي قلت له إنني مستعد أن أحضر إليكم ، وطلبت منه أن تبقوا في مجلس الأمة وأن أحضر إليكم ولكنه قال إنكم مصممون وعلى هذا استجبت وأشكر لكم هذا الشعور من كل قلبي !!

وأكمل عبد الناصر قائلاً : ولم افاجأ طبعا بالقانون !! ولكن أنا أشكركم جداً على هذا الشعور وعلى هذا التفويض الذي لم اطلبه منكم !! لأنني اعتبر أنني وأنتم شيء واحد !!

كان أعضاء مجلس الأمة ورئيسهم قد أسلموا لعبد الناصر « آذانهم » وأخذ عبد الناصر يؤكد على مسامعهم ماسبق أن كان يردده :

« الآن نحن على استعداد للمواجهة ! واننا لا ترهبنا امريكا وتهديداتها ، ولا ترهبنا بريطانيا وتهديداتها ولا يرهبنا العالم الغربي كله وتحيزه لإسرائيل ! »

وبدأت الأمور تتصاعد بشكل درامي !

وبات واضحا للجميع أن الحرب على وشك الاندلاع بين لحظة وأخرى !!

وكان كل طرف يؤكد علانية انه لن يكون البادىء بإطلاق الرصاصة الأولى على مسرح عمليات الشرق الأوسط ! ولكن ما كان يقال علانية شيء ، وما كان يدور بالفعل شيء آخر تماما !!

ففي يوم ٣ يونيو ١٩٦٧ قابل الصحفي الانجليزي « ونستون تشرشل » موشي ديان ، ولما سأله

عن توقعه لنشوب الحرب قال ديان : « إن الحرب ليست وشيكة الحدوث » !!

في نفس اليوم قال ديان للمراسلين الأجانب : إن الموقف لا يزال في ايدى الدبلوماسيين وان دور العسكريين لم يات بعد !! وانه يفضل ان ينتظر نتائج وثمار العمل السياسى ومشاورات مجلس الأمن الدولي !

في اليوم التالى - ٤ يونيو - نشرت صحيفة الجيروزاليم بوست خبراً من كلمات قليلة يقول : إن الجنرال موشى ديان ينوى إجراء تغيير بين موظفى وزارة الدفاع عندما يوافق « الكنيست » الإسرائيلى بشكل رسمي على تولى منصبه كوزير للدفاع في جلسة الغد - أى ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ولم يكن الأمر صدفة ان تنشر صحف إسرائيل الصادرة في ذلك اليوم خبراً يقول : إن وزارة الدفاع منحت اجازات طويلة وقصيرة لعدد كبير من جنودها وضباطها ونشرت صوراً لبعضهم وهو يجلسون على المقاهى ، او يستجمون على البلاجات او يسهرون في الأندية الليلية !! ونسبت تلك الصحف تصريحاً لقائد إسرائيلي كبير اكد فيه ان الجيش الإسرائيلي سيكون سعيداً إذا عرف ان الحكومة قررت الا تبدا الحرب !

ولم ينتبه احد من الجانب العربي لمغزى ما ينشر من هذه الأخبار التى توحى للوهلة الأولى ان كل شيء هادىء في تل ابيب ! ولكن عندما شاهد « ارثر جولد برج » المندوب الأمريكي لدى الأمم المتحدة صور الجنود الإسرائيليين الذين بداوا اجازاتهم قال على الفور : إن هذه الحكايات المتعلقة بالجنود الإسرائيليين الذين حصلوا على اجازات لا تثير سرورى ، وحيث إننى اعرف هؤلاء الإسرائيليين ، فإن هذه الحكايات ربما تعنى انهم سيعلنون الحرب غداً !

في نفس اليوم - الأحد ٤ يونيو - كانت الحكومة الإسرائيلية تجتمع وطلب ديان أن تعطى الحكومة لرئيس الوزراء « ليفى اشكول » ووزير الدفاع - ديان - سلطات مطلقة كى يستطيعا دفع الجيش إلى المعركة إذا اقتضت الضرورة ذلك ! واثناء هذا الاجتماع وصلت برقية من الرئيس الأمريكي جونسون لم يفصح المجتمعون عن فحواها !!

واستجاب مجلس الوزراء الإسرائيلي لطلب ديان واصدر ما سمى وقتها « بالقرار المصيرى » .

وكان مضمون هذا القرار على النحو التالى :

تقرر الحكومة القيام بعمل عسكرى كى تحرر إسرائيل من القبضة الخانقة التى ضيقت تدريجياً حول إسرائيل ... و ...

وعقب انتهاء اجتماع مجلس الوزراء واتخاذ القرار المصيرى ذهب ديان إلى قاعة العمليات وطلب إذاعة كلمة السر لاستدعاء جميع الجنود ، ثم أخرج ديان الخريطة التى جهزتها واعدتها هيئة اركان الحرب الإسرائيلية وعليها اسم « طرق التقدم - ٥ يونيو ١٩٦٧ » !

وصباح يوم الاثنين ٥ يونيو خرجت صحف إسرائيل بعناوين ومانشيتات ضخمة حول اجتماع مجلس الوزراء يوم ٤ يونيو لتقول عبر هذه العناوين : « عقد اتفاقية ثقافية مع بلجيكا » !!

□□

صباح الأثنين خمسة يونيو ١٩٦٧ كان باعة الصحف في مصر ينادون على الصحف الصباحية الصادرة في ذلك اليوم .. الأهرام . الأخبار . الجمهورية ، ومجلة روزاليوسف التى تصدر اسبوعياً صباح كل اثنين .. ويرأس مجلس إدارتها « أحمد بهاء الدين » ورئيس التحرير « أحمد حمروش » .

كان المانشيت ـ العنوان الرئيسى ـ للأهرام هو : انضمام العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن ، ويليه عنوان آخر يقول : « زكريا محيي الدين ـ يطير بعد غد ـ أى ٧ يونيو ـ إلى واشنطن لموعد مع الرئيس الأمريكي جونسون » .

ثم تصريح للملك حسين يؤكد فيه أن « الأسلحة التى تلقاها الأردن جعلته فى وضع ممتاز !!» .

وعلى الصفحة الأخيرة ينشر الاهرام خبراً يقول : إن توفيق الحكيم استوحى قصيدة شعر لمناضلينا عنوانها « ابطال المعركة » يقول فى بعض ابياتها :

يا من تحملون سيوفاً أعطونى سيفاً .
فعدو بلادى على بابنا .
يا من ترفرف عليكم الأعلام ..
حارسين لأعتابنا .
خلفكم رابضة قلوب .
كل قلب هو قلب أسد .
والأخرس يطلق بلسانه شعراً !!

كان عمر توفيق الحكيم وقتها ٦٩ عاماً ، وكان فى قمة وعيه ولياقته الذهنية والفكرية .. وهو نفسه الذى كتب قبل ذلك « بنك القلق » التى ينتقد فيها المخابرات وطلب من هيكل رئيس تحرير الأهرام وقتها الاكتفاء بقراءتها دون نشرها . ولكن « هيكل » نشر الحلقة الأولى وقامت دنيا المخابرات ولم تقعد ، وسمع عبد الناصر بالضجة المثارة ، وطلب من هيكل قراءة الحلقة الأولى والثانية .. وأمر بالاستمرار فى النشر !!

صباح ٥ يونيو ايضا نشرت الأهرام كالعادة بابها اليومى اين تذهب هذا المساء .. وكان اشهر افلام ذلك اليوم « الراجل ده هيجننى » بطولة فؤاد المهندس وشويكار ويعرض فى سينما الأهلى ، و« شقة العازب » بسينما راديو و« ثورة اليمن » « ماجدة وصلاح منصور » بسينما شبرا بالاس ، فى نفس الوقت كانت فرقة عادل خيرى تقدم مسرحية « استنى بختك » والفنانين المتحدين تقدم « المغفل » وعلى مسرح البالون يعرض أوبريت « وداد الغازية » وعلى المسرح الحديث مسرحية الكلمة الثالثة لمحمد عوض وليلى طاهر ويتخلل العرض قراءات شعرية .

وكان نشيد الله اكبر ـ النشيد الوطنى لمصر منذ عام ١٩٥٦ ـ قد صار يغنى ويقدم فى جميع المسارح والحفلات قبل بدء العرض .

اما عرسان وعرايس تلك الايام فلم تكن اسعار الذهب والشبكة نار .. فقد وصل سعر الجنيه الذهب صباح ٥ يونيو إلى سبعة جنيهات ونصف ، وسعر جرام الذهب عيار ٢١ إلى ٩٠ قرشاً ، وعيار ١٨ إلى ٧٧ قرشاً !!

ابتداء من شهر نوفمبر ١٩٦٦ تولى الكاتب الصحفى الروائى « فتحى غانم » رئاسة تحرير جريدة الجمهورية حتى مارس ١٩٧١ ، فى صباح ٥ يونيو صدر الملحق الرياضى للجمهورية بمانشيت باللون الاحمر بعرض الصفحة الأولى من ثلاث كلمات فقط : انتصرنا .. انتصرنا .. انتصرنا !!

وكانت تفاصيل هذا الانتصار المذهل هو فوز المنتخب المصرى على الفريق الأوغندى بهدف واحد أحرزه اللاعب « محمود بكر » بعد ١٩ دقيقة ! وقالت الجمهورية إن « على ابو جريشة » ـ نجم

الإسماعيلي وقتها ـ احرز هدفاً في الدقيقة الأخيرة للمباراة الغاه الحكم بحجة انه تسلل .
في تلك الأيام كان الملحق الأدبي للجمهورية ينشر رواية الكاتب الكبير عبد الرحمن الشرقاوي « الفلاح » ويرسمها الفنان الراحل حسن فؤاد .
في نفس الوقت نشرت الجمهورية ـ وكل صحف ومجلات مصر ـ إعلانات مكثفة عن الكتاب الجديد الذي كتبه « علي صبري » نائب رئيس الجمهورية والأمين العام للاتحاد الاشتراكي العربي واسمه « دراسات حول تمثيل قوى الشعب العامل في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي » الجزء الأول . والتي تصدره دار التحرير .
ورغم طباعة الكتاب إلا ان النسخ بقيت في المخازن ولم تر النور حتى هذه اللحظة !
وقيل إن المقالات التي كان ينشرها علي صبري على صفحات الجمهورية اثارت جدلاً واسعاً مما دفع محمد حسنين هيكل ان يقول لجمال عبد الناصر : إن هذه المقالات ستقود مصر إلى حرب اهلية !! ولكن عبد الناصر اجاب هيكل بسؤال يقول : « ولماذا لا تردون على ما يكتبه ؟ » .
وابتداء من ١٥ مايو ١٩٦٧ تنحى علي صبري عن إشرافه السياسي على جريدة الجمهورية !!
وفي نفس اليوم كتب محمد عودة مقالاً عنوانه « بالدم ايضا لا بالحبر وحده » .
ما كان يجري في كواليس القيادة كان شيئاً آخر تماما
كل كواليس القيادة في ذلك الوقت بدءاً من رئيس الجمهورية وانتهاء بالمباحث العامة .. وتعالوا نتسلل داخل الدهاليز ونرى باعيننا ماذا جرى بالضبط ؟
كان انور السادات يشغل منصب رئيس مجلس الامة ـ الشعب الآن ـ في عام ١٩٦٧ يقول السادات في صباح ٥ يونيو عرفت من الراديو ان إسرائيل قد بدأت الهجوم ، فقلت في نفسي حسناً سوف يتعلمون درسا لن ينسوه مدى الحياة . كنت مطمئنا كل الاطمئنان ، فحلقت ذقني وارتديت ملابسي على مهل وتوجهت بسيارتي إلى القيادة . كنت قد حضرت إعداد الخطة بالكامل وكانت ثقتي بالنصر اكيدة ، فعدتنا اكثر من كافية والخطة محكمة للغاية .. وصلت القيادة حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً وشاهدت سيارة السفير الروسي تتقدم سيارتي فقلت لابد ان السفير قد اتى ليقدم تهانيه . سالت ما الأخبار ؛ فقال بعض الضباط إننا اسقطنا ٤٠ طائرة إلى تلك اللحظة : قلت عظيم !
دخلت مكتب عبد الحكيم عامر ـ مازال الكلام على لسان السادات ـ فوجدته واقفاً يتطلع حواليه بعينين زائغتين ! قلت له : صباح الخير ؛ فلم يرد ! اعدت التحية فردها بعد دقيقة ـ على التو ادركت ان في الامر شيئاً ـ سالت بعض الموجودين فقالوا إن سلاح الطيران قد ضرب باكمله وهو على الأرض !
وبعد قليل رايت جمال عبد الناصر يخرج من الصالون ثم بدا عامر يلقي باللوم كله على الأمريكان قائلاً إن سلاح الطيران الأمريكي هو الذي ضربنا وليست إسرائيل !
ورد عبد الناصر : انا لست مستعداً لتصديق هذا الكلام ولا لإصدار بيان رسمي بان امريكا هي التي اعتدت علينا إلا إذا اتيت لي بجناح طائرة واحدة عليها العلامة الأمريكية !
وعدت إلى بيتي وبقيت به إلى يوم ٩ يونيو ! » انتهى كلام السادات !!
اما رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت المهندس محمد صدقي سليمان الذي كان يسكن في منطقة الهرم فقد استقل سيارته متجهاً إلى مبنى رئاسة مجلس الوزراء ، واسترعى انتباهه تجمع الناس بشكل غير عادي وعلم من سائقه الخاص ان هناك غارة ، وفي تلك اللحظة امر سائقه ان يتجه به إلى

مقر القيادة العامة للقوات المسلحة ، وهناك وجد جمال عبد الناصر وزكريا محيي الدين ، وبعد حوالى ساعة قال جمال عبد الناصر لهم : يالا بينا .. وخلينا نسيب المشير يتصرف !

كيف كانت صورة الموقف في وزارة الخارجية ؟

كان « محمود رياض » يشغل منصب وزير الخارجية ، وكان قد تولى هذا المنصب منذ عام ١٩٦٤ ، يقول محمود رياض « استيقظت في صباح الخامس من يونيو على صوت انفجارات شديدة ، وكانت الأصوات تأتي من شرق وغرب القاهرة ، فادركت ان إسرائيل قد بدأت هجومها ؛ فاسرعت إلى مكتبي بوزارة الخارجية كي اتابع الموقف منه ، وبعد قليل تلقيت الصدمة الأولى فقد اتصل بي جمال عبد الناصر تليفونيا ليخطرني بان المطارات العسكرية المصرية قد ضربت جميعها . وان سلاح الطيران المصرى قد اصيب بالشلل . كانت هذه بالطبع خسارة فادحة ، ولكنها ما كان يجدر ابداً ان تؤدى إلى ذلك الانهيار لو توافر التخطيط العسكرى الجيد ، ولكن الذى حدث هو ان القيادة قد بدأت تذيع بلاغات عن إسقاط عشرات الطائرات الإسرائيلية واتضح فيما بعد ان الطائرات الإسرائيلية كانت تتخلص من خزانات الوقود الاحتياطية بها فكانت البلاغات ترد إلى القيادة بانها طائرات إسرائيلية تتساقط !

يواصل محمود رياض : وعندما اذاعت القيادة العسكرية ان دفاعنا الجوى أسقط ٨٦ طائرة وبحكم خبرتي السابقة في الدفاع الجوى ، فإنني كنت أستطيع ان أجزم على الفور باستحالة إسقاط هذا العدد الكبير من الطائرات بوسائل الدفاع الجوى المتوافرة لدينا ! »

ويكمل الصورة الفريق عبد المحسن مرتجي (قائد جبهة سيناء في حرب ٦٧ ورئيس النادى الأهلى) وصلت خسائرنا عند حلول الساعة العاشرة صباحا تقريبا في الطائرات المقاتلة القاذفة إلى حوالى ٨٥ ـ ٩٥٪ . واخفيت هذه الخسائر وما الم بالقوات الجوية عن مسرح القتال وقياداته ، ولذلك لم تفارقنا الدهشة عن سبب عدم تحليق طائراتنا وترك المجال الجوى للطائرات الإسرائيلية تجول وتصول فيه دون ان تجد من يعترضها او يتدخل في طريقها ، ولم نعلم بفداحة ما اصاب القوات الجوية إلا في اليوم التالى للقتال - اى ٦ يونيو - بعد فشل الاستجابة لطلباتنا المتكررة من القوات الجوية لمساندة القوات البرية » .

وبعد مرور ١٥ سنة على ما حدث ، روى الفريق « صدقى محمود » قائد سلاح الطيران وقتها ما جرى قائلاً : في صباح ٥ يونيو شاهد عبد المنعم رياض تحركات للطائرات الإسرائيلية وباعداد كبيرة فارسل الإشارة ولكنها لم تستقبل في القوات الجوية لان القيادة العامة قامت بتغيير الموجة دون إخطارنا وفي اثناء محاكمتي قال الفريق عبد المنعم رياض بعصبية شديدة : لو ان هذه الإشارة قد وصلت للقوات الجوية في الوقت المناسب لتغير وجه التاريخ .

ملحوظة لابد منها : في أول يونيو كان عبد الناصر قد عهد إلى الفريق عبد المنعم رياض بقيادة القوات العربية على الجبهة الأردنية ، وعندما وصل إلى عمان هو وهيئة اركان حربه وصفه الملك حسين بقوله : « إنه جندى محترف مجرب ويعد من ألمع القادة العسكريين العرب » وقد استشهد في ٩ مارس عام ١٩٦٩ .

ويقول المهندس « سيد مرعى » عندما اذيع البيان الأول كنت في مكتبي ببنك مصر ، وفتحنا أجهزة الراديو كي نستمع إلى البيان بعد البيان ، فالبيانات كلها تتحدث عن انتصار بعد انتصار ، وتتحدث عن أرقام ضخمة من الطائرات اسقطناها .. والناس في الشوارع تتجمع بجوار أجهزة الراديو يهنىء بعضهم البعض وفي اعقاب كل بيان عسكرى يصفق الناس ويهتفون وتزدحم شوارع

وسط المدينة بحماس لم يكن له مثيل .

داخل مبنى هيئة المخابرات العامة المصرية ، كيف كانت الصورة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وكيف علم رئيسها « صلاح نصر » بما جرى فى ذلك اليوم ؟

يقول صلاح نصر : فى الأسبوع الأخير كنت أقيم فى مكتبى ، وجاءنى مدير مكتبى الذى أبلغته المخابرات الحربية عقب الهجوم الإسرائيلى بالنتيجة ، وأبلغنى بأن الطيران الإسرائيلى قام بضرب المطارات والطيران فى الساعة الثامنة و ٤٥ دقيقة فاتصلت باللواء محمد أحمد صادق مدير المخابرات الحربية ـ فيما بعد صار وزيراً للحربية ثم أعفاه الرئيس السادات عام ١٩٧٢ ـ لأعرف منه نتيجة الهجوم ، فهذا من اختصاصه ولا أنسى التعبير الذى قاله لى فى التليفون :

« البقية فى حياتك فى الطيران » !!

كان عبد الناصر قد توجه إلى القيادة العامة للقوات المسلحة فاتصلت به هناك وسألته إذا كان يريدنى أن أتوجه إلى القيادة ؟! ولكنه طلب منى أن أبقى فى مكتبى انتظارا لأية تعليمات !!

يكمل صلاح نصر : الواقع أن القوات المسلحة عام ٦٧ لم تكن مستعدة على الإطلاق لدخول حرب شاملة مع إسرائيل ، فقواتنا المسلحة منهكة من حرب اليمن ، وميزانيتها تقلصت وأغلب قياداتها كانت قائمة على أساس أنها قيادات أمن يتوافر فيها الولاء لحماية الثورة .

ومن هيئة المخابرات العامة إلى المباحث العامة نقرأ شهادة اللواء حسن طلعت مدير المباحث العامة السابق إذ يقول : فى صباح يوم ٥ يونيو أخذت التقارير ترد لنا من فروع الإدارة بوقوع غارات جوية إسرائيلية على المطارات الحربية التى تقع فى دائرة هذه الفروع ، فسادنى شعور بالفرح والاطمئنان فقد تحققت تقديرات عبد الناصر وتوقعاته وهاهى إسرائيل تسير بأعين معصوبة إلى الفخ الذى أعد لها !! وكم كانت دهشتى عندما أخذ ضباط الإدارة يبلغوننى عن تدمير طائراتنا على أرض المطار ، وبسقوط طائرات مصرية وعدم سيطرة قادة السلاح الجوى على الموقف !! ظننت فى بادىء الأمر أن الموقف اختلط على ضباط الإدارة وأن الطائرات التى أسقطت لابد أن تكون إسرائيلية ، فاغلظت لهم القول ـ مازال الكلام على لسان حسن طلعت ـ وطلبت منهم مراجعة معلوماتهم والتأكد منها قبل إبلاغها لنا لأنه قد طلبها فى رأيى خطأ عظيم !! ولكن ويالللأسف أتضح لى بعد ساعات قليلة بصحة ما أبلغوه لى !!

وحوالى الساعة ١١ صباحا أخذ السيد سامى شرف سكرتير الرئيس فى الاتصال بى للتحقق من صحة ما وصلهم من بلاغات إسقاط طائرات إسرائيلية فأبلغته بأن إمكانات فروعنا ـ أى فروع المباحث العامة ـ للحصول على مثل هذه البيانات محددة بحدود المناطق المأهولة بالسكان وأنه لم ترد لنا معلومات عن سقوط طائرات إسرائيلية فى هذه المناطق ، أما إذا كانت هذه الطائرات قد سقطت فى المناطق الصحراوية فإنى أرجو أن يتصل بقيادة سلاح الطيران لتحديد أماكن سقوطها بالتقريب لنرسل رجالنا إلى هذه الأماكن للبحث والتأكد من صحة المعلومات . وكان رده الذى بعث الدماء باردة فى عروقى هو أن قائد سلاح الطيران مختف عن الأنظار بغرفة الدفاع الجوى بجبل المقطم وأنه فشل فى الاتصال به تليفونيا !!

يقول الجيار فى مذكراته المنشورة « سددت إسرائيل ضربتها صباح ٥ يونيو ، ومع ذلك نزل عبد الناصر من غرفته فى ذلك الصباح دون أن يبدو عليه أى أثر للقلق ! ولم يدهشنى ذلك لسبب هو أن خطة عبد الناصر وأوامره إلى العسكريين ، كانت تقضى بأن نتلقى الضربة الأولى ثم نرد وقد كتب محمد حسنين هيكل فى تلك الأيام مقالين يحضران الرأى العام لقبول ضربة أولى تأتى من إسرائيل ،



ويفسران لماذا يجب الا نبدا بالهجوم

على هامش التحقيق : فى مقاله بصراحة الذى نشر يوم ٢ /٦/ ٦٧ وكان عنوان مقال هيكل الصراع الذى يدور فى التفكير الإسرائيلى الآن وقال فيه : مهما يكن وبدون محاولة لاستباق الحوادث فإن إسرائيل مقبلة على عملية انكسار تكاد تكون محققة سواء من الداخل أو من الخارج » .

ونعود لرواية الجيار الذى يقول : ولم يكن غريبا لهذا الا يقلق عبد الناصر بعد الضربة الإسرائيلية الموجهة إلى مطاراتنا ، نزل من غرفته كما اعتاد أن ينزل كل يوم ، وصحبته إلى القيادة دون أن الحظ أى تغيير فى سلوكه وتصرفه ، ولكن عندما وصل عبد الناصر لم يكن احد من كبار القادة هناك ، كانوا جميعا قد ذهبوا إلى سيناء فى نفس الصباح ، ذهبوا فى قافلة من ثلاث طائرات الأولى تحمل المشير والثانية تحمل القادة ، والثالثة تحمل وفداً عسكريا من العراق برئاسة طاهر يحيى ـ رئيس الوزراء وقتها ـ يرافقه حسين الشافعى . وكان الطيران الإسرائيلى قد بدا فى نفس الوقت هجومه ، فتعرضت القافلة للقصف ، وعادت طائراتها تبحث عن مطار تهبط فيه ، وانتهت المغامرة بالهبوط فى مطار القاهرة ، وعودة القيادة إلى مقرها بالتاكسى .

أثناء هذا كان عبد الناصر وحده فى القيادة يسأل عن تطورات القتال وتفاصيل خسائر الضربة الأولى ، وقدمت إليه فى البداية تقارير مرتبكة تحاول التمويه عليه ، ولكنه شيئا فشيئا بدا يتبين حجم الكارثة . وعندما وصل التاكسى الذى يحمل عبد الحكيم عامر ، ولم يكن قد بقى شىء يمكن أن يتحدثا فيه !

وخرج جمال عبد الناصر من مبنى القيادة ـ حوالى الواحدة ظهرا ـ وقد تهدل كتفاه وتغيرت ملامحه ولم يعد يريد أن يسمع أو يتكلم .

وفى البيت صعد إلى غرفته فى صمت تام . واغلق الباب وراءه واختفى تماماً !!

الفصل الرابع

▫ السادات يقول :
عرفت من الراديو بهجوم اسرائيل !

● سنوات طويلة ومصر والعرب تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر !

كان معنى مجيء يوم ٥ يونيو عند ١٠٠ مليون عربى هو تحرير فلسطين وحل مشكلة اللاجئين التى « أرقت » مضاجعهم منذ سنوات طويلة طويلة !!

ولم يكن هناك شك ـ ولو بنسبة واحد فى المليار ولا اقول المائة ـ ان الحرب مع إسرائيل هى مجرد نزهة قصيرة قد تستغرق نصف ساعة وبعدها ننصب الأفراح والزينات فى كل مدينة عربية ، أما الفرح الأكبر فيقام فى القدس نفسها !!

وعندما جاء يوم ٥ يونيو التف كل الناس من كل الأعمار حول أجهزة الراديو وأسلموا آذانهم لأنباء المعارك والنصر القادم !

وامتلأت المقاهى العربية « بجنرالات الحرب » ـ أقصد ـ المواطنين ـ الذين أخذوا يستعرضون معلوماتهم العسكرية ! وكيف سيتم تدمير إسرائيل .. و .. و ..

وفى تمام الساعة التاسعة و ٥٠ دقيقة من صباح الاثنين ٥ يونيو استمع الناس إلى البيان رقم واحد الذى يقول : « بدأت إسرائيل فى ساعة مبكرة من صباح اليوم بالعدوان على الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك بالإغارة على مطارات ج . ع . م وقد تصدت قواتنا لهذا العدوان » .

هلل الناس فى الشوارع .. وزغردت النساء من شرفات المنازل والبلكونات وهتف الشباب قبل الأطفال : عبد الناصر يا حبيب .. بكرة هندخل تل أبيب !!

وكان لفرحة الناس منطق غير قابل للمناقشة .. فطوال الأيام السابقة على ٥ يونيو كانت مانشيتات وعناوين الصحف الصباحية [الأهرام - الأخبار - الجمهورية] كما يلي :

- قلق شديد في إسرائيل بعد تحرك القوات المصرية !!
- الأسلحة الصاروخية الحديثة تأخذ مكانها في المعركة !
- سندمر إسرائيل إذا بدأت بالعدوان !!
- أساس المعركة القادمة القضاء على دولة الصهاينة !!
- كسبنا كل معركة خضناها بقيادة جمال عبد الناصر [مقال لمحمد التابعي] .

وتوالت البلاغات العسكرية وكلها بغير استثناء تشير إلى سقوط طائرات للعدو ، وكان البلاغ رقم ١٦ الذى أذيع في الساعة السابعة والثلث من مساء ٥ يونيو يشير إلى أن عدد الطائرات الإسرائيلية التى تم إسقاطها منذ بدء المعركة حتى وقت إذاعة البيان هو ٨٦ طائرة .

وبينما كان الكل يستمع باهتمام ولهفة للبيانات العسكرية . كان المشهد داخل كواليس القيادة مختلفا بعض الشيء .. كان القلق والتوتر والأعصاب المشدودة هي السمة الغالبة لتصرفات القادة كل بحسب رتبته ومكانته .

ففى الساعة السابعة صباح ٥ يونيو كان الفريق عبد المنعم رياض قد أرسل إنذاراً عبر محطة عجلون للإنذار المبكر - بالأردن - ولكن محطة الاستقبال الرئيسى - بالجيوشى - لم تستقبل الإنذار بسبب خطأ شخصى من عريف الإشارة .. ولم يصل الإنذار للمركز الرئيسى للطيران والدفاع الجوى كان اللفظ الكودى للإنذار عنب .. عنب .. عنب وفى نفس الوقت استطاعت محطة استماع فرعية خاصة بالمخابرات في مكتب شمس بدران - وزير الحربية وقتها - أن تستلم الإشارة ، كانت الإشارة ببساطة ووضوح لا لبس فيه تشير إلى بدء هجوم جوى وشيك !! ولكن الضابط المناوب لم يتمكن من إخطار الوزير بهذه الإشارة الخطيرة لعدم وجود الوزير في مكتبه .. وبعد حوالى ٤٥ دقيقة وبالصدفة وعبر مكالمة تليفونية بين الضابط الذى تسلم الإشارة مع زميل له بمحطة الجيوشى حاول أن يذكره بالإشارة السابقة واسمها الكودى [عنب .. عنب .. عنب] وهنا انفجر الضابط قائلاً بسخرية مريرة عنب إيه وبصل إيه ؟! دول فوق دماغنا !!

وفى حوالى العاشرة والنصف صباحا كان المشير عبد الحكيم عامر قد وصل إلى مقر القيادة العامة بمدينة نصر ومعه الفريق أول صدقى محمود .. قائد القوات الجوية ، والفريق أنور القاضى رئيس هيئة العمليات ، بعد أن استقلوا تاكسياً قديماً كان يقف بجوار مطار القاهرة الدولى .

ويروى الفريق أول « محمد فوزى » في مذكراته ما جرى في نفس اللحظة قائلاً : توجه الفريق أول صدقى على الفور لمقر قيادته وهناك علم بعد اتصالات تليفونية مع معظم القواعد الجوية والمطارات أنها جميعا هوجمت أو انتهى تدميرها ، ولم تبق لديه سوى ٣٠ طائرة مقاتلة « ميج ١٧ وميج ٢١ » وأصدر المشير أوامره للفريق أول صدقى بتنفيذ الخطة الجوية « فهد » ولكن لم يتم الأمر لعدم وجود أداة التنفيذ ، وفى حوالى الساعة ١١ صباحا كلفنى المشير بالاتصال بالقيادة السورية لإخطارها بالموقف ، ومحاولة تنفيذ خطط القصف الجوى على مطارات إسرائيل الشمالية واتصلت به لاسلكيا لكننى لم أحصل على رد إيجابى وكان كل ما نطق به هو جملة واحدة « نحاول سيدى » ثم علمت بعد ذلك أنه لم تصدر أية أوامر من الجانب السورى باتخاذ أى موقف مضاد أو تعرض أو حتى تدخل في أية عمليات إطلاقا ضد إسرائيل !! كما كان الفريق عبد المنعم رياض في عمان قد طلب من القيادة السورية نفس طلبى قبل ساعة أو أكثر ، إلا أن تصرف القيادة السورية كان سلبيا أيضا !!

بعد ظهر نفس اليوم - ٥ يونيو - حضر الرئيس جمال عبد الناصر ، كما حضر أعضاء مجلس قيادة الثورة السابقون [عبد اللطيف البغدادى - كمال الدين حسين - حسن إبراهيم] والفريق اول على على عامر إلى مقر القيادة العامة حيث جلس أعضاء مجلس قيادة الثورة صامتين فى غرفة المشير يستمعون إلى البلاغات التى كان يحولها المقدم على شفيق صفوت [زوج المطربة مها صبرى] مدير مكتب المشير من غرفة عمليات قيادة القوات الجوية والدفاع الجوى إلى وسائل الإعلام المختلفة ، وكانت كل البلاغات عن إسقاط أعداد كبيرة من طائرات العدو . وكلها بيانات كاذبة !!

□□

ماذا كان يجرى على الجانب الآخر فى تلك اللحظات من يوم ٥ يونيو ؟ كيف كانت الأعصاب والعيون المتعلقة بالخرائط والخطط ؟!

يقول « إسحاق رابين » فى مذكراته .. وتجمعنا كلنا صباح يوم ٥ يونيو فى مركز قيادة القوات الجوية بلغت المشاعر العنان عندما عرفنا بنتائج الموجة الأولى للضربة الجوية . لقد تم تدمير القوة الجوية المصرية تماما فقد تم تدمير ثلث طائراتها وهى على الأرض ، واصيب معظم الممرات فى القواعد الجوية الرئيسية باضرار جعلتها غير صالحة للاستخدام ونجحت الموجة الثانية فى منع المصريين من جمع شتات انفسهم ، فى حين قضت الموجة الثالثة تماما على القوة الجوية المصرية كتشكيل قتالى له اية اهمية ، واعلن « موتى » [قائد السلاح الجوى] فى الساعة الحادية عشرة صباحاً أنه تم تدمير ١٨٠ طائرة على الاقل ! »

ويلفت النظر ما كتبه إسحاق رابين متسائلا : وبعد حرب الأيام الستة بفترة طويلة كنت فى احيان كثيرة اتساءل متعجباً عما كان سيحدث لو ان المعركة الجوية ضد مصر قد استغرقت اكثر من ثلاث ساعات وقامت الطائرات السورية والأردنية بشن هجوم على إسرائيل فى الوقت الذى يوجد فيه معظم طائراتنا بعيدة تحلق فى سماء مصر !! باستثناء ١٢ طائرة متروكة لحماية المجال الجوى الإسرائيلى » !

وفى نفس اليوم يقول شيمون بيريز - رئيس الوزراء فيما بعد - لقد استغرق الامر من القوات البرية والطيارين عشر سنوات للاستعداد للدقائق الثمانين الأولى من المعركة !!

وقال موشى ديان ساخراً : « لقد اقتضى الامر حشد ٨٠ الف جندى مصرى فى سيناء كى احصل على منصب وزير الدفاع » !!

وعندما ظهر موشى ديان - فيما بعد الحرب - على شاشة التليفزيون الانجليزى وساله المذيع ببراءة مصطنعة : إن الخطة التى اتبعتها فى حرب ٦٧ هى الخطة نفسها التى ذكرتها فى كتابك « مذكرات حملة سيناء ١٩٥٦ » الم تكن تخشى ان العرب قد يعرفون من كتابك خطتك التى ستتبعها فى الحرب القادمة فيستعدون مقدماً لمواجهتها ؟!

اعتدل ديان فى جلسته وتحسس « العصابة » السوداء التى يخفى بها عينه التى اصابها فدائى عربى عام ١٩٤٨ وقال بغرور : الحقيقة لا .. لأن العرب لا يقرءون !!

بنفس الغرور والثقة يقول ديان عن صباح ٥ يونيو « كنت فى مركز قيادة القوات المسلحة فى الساعة السابعة والنصف صباحا ، وفى خلال ساعة كانت تقارير الطيارين تتوارد علينا .. لقد دمرت مئات من الطائرات المصرية ، دمر معظمها على الأرض .. ولم تقع إصابة واحدة فى طائراتنا وبذلك نكون قد سحقنا قوة مصر الجوية !! »

وكان الاسم الكودى للخطة الإسرائيلية هو « الحمامة » !

طوال يوم خمسة يونيو ، وكما في الأيام التي سبقته ، والتي سوف تليه كانت أغاني عبد الحليم حافظ الوطنية تذاع بشكل مستمر عبر موجات الإذاعة .

بعض هذه الأغاني كان عبد الحليم قد غناه في احتفالات أعياد الثورة السابقة على ٥ يونيو ٦٧ ، أما الغالبية فقد كانت بمثابة تأليف وتلحين فوري من وحي اللحظة ، صاغ هذه الكلمات صلاح جاهين وعبد الرحمن الأبنودي ومرسي جميل عزيز ، أما الألحان فكانت لكمال الطويل ومحمد الموجي وبليغ حمدي .

من هذه الأغاني مثلاً : « اضرب .. اضرب .. لأجل الصغار .. لأجل الكبار » كتبها الأبنودي ولحنها الموجي وكذلك يابركان الغضب فور على الجبار ، وإنذار يا استعمار . ولا يهمك ياريس م الأمريكان ياريس ..

ولكن كان تركيز الإذاعة المصرية واضحاً على أغنية عبد الحليم « يا أهلا بالمعارك » التي كتبها صلاح جاهين ولحنها كمال الطويل .. كانت تسبق كلمات الأغنية مقدمة موسيقية راقصة تزيد مدتها على ثلاث دقائق ، ولاحظ الناس أن الأغنية تذاع بغير هذه المقدمة الموسيقية الراقصة حتى عبد الحليم حافظ نفسه أو كمال الطويل صاحب اللحن .

يروي لنا منير حافظ حكاية هذه الأغنية فيقول : « كان عبد الناصر في تلك الليلة ـ مساء ٥ يونيو ـ يباشر الاتصال تليفونيا مع سامي شرف دقيقة بدقيقة لتبليغ التعليمات إلى محمد فائق ـ وزير الإرشاد القومي وقتها ـ حتى وصل الأمر إلى أن الرئيس الراحل كان هو الذي يضع ترتيب فقرات الأنباء في نشرة الأخبار ، ثم طلب أن تذاع بعد كل نشرة أغنية عبد الحليم حافظ « يا أهلا بالمعارك » ثم وجد أن مقدمتها الموسيقية طويلة فأمر بأن تحذف المقدمة ، ويدخل صوت عبد الحليم بيا أهلاً بالمعارك عقب النشرة مباشرة بدون المقدمة الموسيقية !! » .

كانت أغنية يا أهلاً بالمعارك التي كتبها صلاح جاهين تقول كلماتها :

يا أهلاً بالمعارك .. يابخت مين يشارك .

بنارها نستبارك .. ونطلع منصورين .

ملايين الشعب تدق الكعب تقول كلنا جاهزين !

وكان عبد الناصر قبلها قد صرح بعدما كشفت الأنباء عن صفقة أسلحة بين إسرائيل وألمانيا الغربية وقال يومها : إذا كانت إسرائيل تريد معارك فيا أهلا بالمعارك !!

وتحولت كلمة التحدي إلى أغنية كتبها صلاح جاهين والهبت حماس الملايين في ذلك الوقت .. وعندما غناها « عبد الحليم لأول مرة في الأسكندرية صيف عام ١٩٦٥ » .

ماذا كان يجري في البيت الأبيض ؟! وكيف كان التصرف ؟

ويليام كوانت (أستاذ العلوم السياسية السابق بجامعة بنسلفانيا والمساعد السابق للدكتور برزينسكي مستشار الرئيس الأمريكي السابق كارتر لشئون الأمن القومي) ، يقول في مذكراته امريكا والعرب وإسرائيل .

كانت انباء القتال الأولى قد وصلت إلى اسماع « جونسون » في وقت مبكر من صباح الخامس من يونيو ، وبعد ثلاث ساعات من بدء اعمال العنف بعث دين راسك وزير الخارجية بعد التشاور مع الرئيس برسالة إلى موسكو من خلال وسائل الاتصال المعتادة يعرب فيها عن دهشته من نشوب الحرب ويدعو إلى إنهاء مبكر للقتال ! وفي الساعة الثانية قبل الظهر رد كوسيجن رئيس وزراء الاتحاد السوفييتي عن طريق « الخط الساخن » وكان ذلك هو أول استخدام له إبان أزمة دولية ، وقد أشار كوسيجن إلى الموقف الخطير وإلى الحاجة إلى تعاون امريكي سوفييتي للتمهيد لوقف

إطلاق النار ! وأوضحت إجابة جونسون التى ارسلت عن طريق الخط الساخن فى الثانية و ٤٧ دقيقة قبل الظهر انه يتوجب على القوتين الاعظم انه تبقيا بمناى عن الصراع وان تشجعا وقف إطلاق النار !!

ولم يكن جونسون فى ذلك الوقت فى حالة مزاجية تسمح بمساعدة عبد الناصر الذى كان قد اتهم الولايات المتحدة زوراً بالاشتراك فى الحرب مباشرة إلى جانب إسرائيل !! (واقرا الكلمات الاخيرة لوليام كوانت مرة اخرى بهدوء وبرود) .

وعندما كتب محمد حسنين هيكل كتابه الشهير « عبد الناصر والعالم » خريف عام ١٩٧٠ قال فى الفصل الخاص بعبد الناصر وجونسون « راعى البقر من تكسلس » بالنص مايلى :

« كان عبد الناصر قد اعتاد عندما يتعامل مع اى رجل أن يضع أمامه مجموعة من صوره الفوتوغرافية ويدرسها محاولاً استقراء شخصيته ، فكان يجمع نحو ٢٥ صورة من صور الشخص المقصود فى اوضاع ومناسبات مختلفة وكان يقول إنه فى إمكانه ان يعرف عن هذا الشخص من دراسة الصور اكثر مما يستطيع ان يعرفه من تقرير طويل . وهكذا فى وقت من الأوقات راح عبد الناصر يطلب مجموعة من صور جونسون ، وقد صدمته اثنتان منها بصفة خاصة ، كانت الأولى تمثل جونسون وقد رفع ساقيه فوق مكتبه ، والثانية تلك الصورة الشهيرة التى يظهر فيها يعرى نفسه ليكشف عن اثر جرح عملية اجريت له ، وشعر عبد الناصر بان هذه الصور تكشف عن انه رجل جلف لا حياء له ويفتقر إلى دماثة الخلق وتساءل : كيف يستطيع رئيس الولايات المتحدة ان يفعل ذلك ؟! ولم يجد عبد الناصر اطمئناناً إلى جونسون فى اى من التقارير او الصور ، وشعر بان جونسون يفتقر إلى التجربة والخبرة فى الشئون العالمية » .

ويضيف المهندس « سيد مرعى » فى شهادته عن ذلك اليوم : كانت ثقتنا فى البيانات العسكرية المذاعة فى راديو القاهرة كاملة !! الدرجة التى رفضنا فيها فى البداية ان نصدق اى شىء يختلف عنها ولكن شيئاً فشيئاً بدأ الشك يتسرب والحقيقة تتضح . وكانت الحقيقة مفجعة إلى اقصى درجة ، إنها الحقيقة المرة من التراجع والانسحاب والهزيمة .

ولم اجد احداً يمكن ان ينيرنى فى هذه الظروف الحالكة سوى صديقى « محمد حسنين هيكل » فذهبت إليه فى مكتبه بجريدة الأهرام اساله عن الحجم الحقيقى للكارثة . وقلت لهيكل « إن فقداننا لصحراء سيناء باكملها وانسحاب الجيش باكمله ـ ووصول القوات الإسرائيلية إلى شاطىء قناة السويس هو اكبر كارثة معاصرة » !

وسكت هيكل قليلا قبل ان يقول : ابداً .. إن استرجاع سيناء لن يكون مشكلة كبرى .. ولكن المصيبة الحقيقية سوف تكون فى الضفة الغربية لنهر الأردن .. وفى مرتفعات الجولان .. اللتين احتلتهما إسرائيل .

يكمل سيد مرعى قائلاً : ولم اتفق مع هيكل .. لقد قلت له انا لا اعتقد ان استرداد سيناء وإعادة فتح قناة السويس سيكون سهلا أو حتى سريعا .. إن هذا الأمر سيتحول إلى مصيبة كبرى هو الآخر .

ثم سكت قليلا قبل ان اسال هيكل من جديد : ما السر فى هذا الذى حدث ؟! هل السبب فى هذه الكارثة هو سوء تصرف .. او سوء تقدير أو عوامل لم تكن فى الحسبان ؟!

ورد هيكل : إن العملية فيها اسرار كثيرة جداً ولكننى لن أستطيع أن أفصح عنها !!

قلت له : مازال الكلام على لسان سيد مرعى ـ هل كان جمال عبد الناصر ملماً بالأبعاد الكاملة للصورة من البداية ؟! هل تعرض هو الآخر للمفاجاة ؟! هل هناك مسئولية على عبد الحكيم عامر

واى قدر من المسئولية ؟!

ولكن هيكل لم يكن يملك أن يرد لقد فضل أن يصمت تماما .. وخرجت من عنده وانا في منتهى الحزن والأسى واليأس وعدت إلى منزلي وكانني احمل فوق قلبي جبلا من المرارة لا أستطيع زحزحته .. وتحولت الشوارع التي كانت تفيض بالأمس حماسا وهتافا إلى شوارع أشبه بالمقابر .. ولا تزدحم إلا بعلامات الاستفهام التي لا تجد أحداً يشفي غليل الناس ويقنعهم بإجاباتها !!

□□

إن شهادة هيكل عن حرب يونيو ضرورة سياسية قبل أن تكون ضرورة صحفية .. وهو القائل منذ ١٢ عاماً « ماحدث في ٥ يونيو يجب أن يناقش ، ولا مانع من المناقشة إذا حدثت بتجرد ، وليس في قدرة أية أمة أن تواصل الطريق نحو مستقبلها دون أن تنظف الجروح التي في صدرها ، والوسيلة الصحيحة لتنظيف الجرح هي فتح هذا الجرح وليس معالجته بالمندل والسحر والتعاويذ .. ومثل هذا الأمر يتولاه جراح علمي وليس حلاق صحة » .

وهو القائل أيضا « لابد من إعادة مناقشة ما حدث عام ٦٧ مناقشة علمية دون حقد ! بحيث لا يكون ما جرى مجرد حادثة إنما درس نستفيد منه !! » .

● خلت الصفحة الأولى من أخبار اليوم صباح ٣ يونيو ٦٧ من أية إعلانات على الإطلاق ، سوى إعلان واحد فقط بمساحة محترمة عن كتاب « الاستعمار لعبته الملك » لمحمد حسنين هيكل « ٢٦٣ صفحة دار العصر الحديث ـ ٣٥ قرشاً » .

كان كتاب هيكل « الاستعمار لعبته الملك » هجوماً عنيفا على سياسة السعودية في ذلك الوقت تجاه مصر . وكانت فصول الكتاب عبارة عن ١٨ مقالة سبق لهيكل أن نشرها في بابه الأسبوعي بصراحة في الأهرام ابتداء من ٢ أبريل ٦٥ حتى ١٧ فبراير ٦٧ .

ومنذ حوالي ثلاثة أعوام « ديسمبر ١٩٨٥ » يروي لنا « السيد ابو النجا » حكاية لها دلالتها إذ يقول : في دار المعارف ألف الأستاذ هيكل كتاباً عنوانه « الاستعمار لعبته الملك » وطلب إلى أن أطبعه في ظرف أسبوع ، وكانت العلاقات سيئة بين عبد الناصر والملك فيصل وكانت دار المعارف تبيع للسعودية كتباً بملايين الريالات ، فاعتقدت أنها ستتوقف بعد صدور كتاب هيكل ، ولذلك أصدرته عن دار جديدة وهمية باسم « العصر الحديث » وجعلت عنوانها على مخازن دار المعارف بشبرا ، ومن حسن الحظ أن تم الصلح بين الملك فيصل وعبد الناصر قبل توزيع الكتاب ، فصدرت الأوامر بحرقه وتصاعدت النيران في عنبر المطابع فاحرقته نسخة نسخة !!

وقبلها بأيام كانت الصحف تنشر إعلانات عن كتاب هيكل « خبايا السويس » ١٦٠ صفحة ثمن الطبعة العادية ٢٠ قرشاً والطبعة الممتازة ٣٥ قرشاً .

في حوار فؤاد مطر « رئيس تحرير التضامن الآن » مع هيكل الذي ضمنه كتابه « بصراحة » عن عبد الناصر صدر عام ١٩٧٥ تجيء هذه « السطور الشهادة » للأستاذ هيكل

« عندما حشد عبد الناصر القوات كان يعتقد أن احتمال قيام الحرب وارد . وهو عندما أخرج القوات الدولية ، وأغلق خليج العقبة تعامل مع العالم باللغة الدولية ، بمعنى أنه بعد الذي فعله يجب ألا يهاجم إسرائيل إنما ينتظر ما إذا كانت إسرائيل ستبدأ الهجوم . بمنطق الاستراتيجية الدولية يبدو ما فعله عبد الناصر صحيحاً أي أنه لم يهاجم . وأن خيار الهجوم لم يكن في يد عبد الناصر ، لقد اتخذ إجراءات ومن الطبيعي أن تهاجم إسرائيل . إذن عليه أن يكون مستعداً ليدافع ، ولو أن عبد الناصر بعدما أخرج القوات الدولية وأغلق خليج العقبة في وجه الملاحة الإسرائيلية هاجم إسرائيل فإن العالم كله كان سيقف ضده '

يؤكد هيكل : لم يكن عبد الناصر ينوى مهاجمة إسرائيل وهو أعلن بنفسه ذلك رسمياً وبوضوح وكان طبيعياً من اجل معركته السياسية الا تاتى الضربة الأولى منه ، إنما واجبه أن يستوعب هذه الضربة ويرد عليها !

وكان في تصوره ان الدفاع الناجح له قوة الهجوم . بمعنى انه إذا كانت إسرائيل ستهجم لتحقيق هدف ما واستطاعت مصر ان تصد هذا الهجوم وتمنع الإسرائيليين من تحقيق الهدف فإن مصر تكون قد انتصرت . فالحرب بالمفهوم القديم لم تعد واردة . الحرب بمنطق الفرسان والمنطق القبلى انتهت واصبح الامر اكثر تعقيداً .

واترك شهادة هيكل مؤقتاً وتبقى ملاحظتان ضروريتان ، وتدخلان ضمن سياق الشهادة :

● الملاحظة الأولى صاحبها جمال عبد الناصر ، وهى سطوره وكلماته بمناسبة انضمام العراق إلى اتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن وتاريخها ٤ يونيو ٦٧ - قبل الحرب بـ ٢٤ ساعة .

قال جمال عبد الناصر : نحن نقول لهم اليوم إننا أمامكم في المعركة ونحن على أحر من الجمر في انتظار هذه المعركة لنثار من غدر سنة ١٩٥٦ ، وكى يعلم العالم من هم العرب ، ومن هى إسرائيل ؟!!

وفى ٢٨ مايو ١٩٦٧ قال عبد الناصر في لقائه بممثلى أجهزة الإعلام العالمية والعربية في مؤتمره الصحفى الشهير :

لقد جاوزت إسرائيل المدى كلية في تهديدها طوال السنوات الماضية ، التهديد بالحرب كان مستمراً من إسرائيل وفى ١٢ مايو وصل هذا التهديد إلى مدى لا يقبله إنسان ، ولهذا انا قلت إذا أرادت إسرائيل ان تهدد بالحرب - وهى هددت بالحرب - فاهلاً وسهلاً !! اهو النهاردة إحنا وإسرائيل لوحدنا ، إذا كانوا عاوزين يجربوا الحرب باقول لهم تانى النهاردة أهلاً وسهلا !!

« ويمكن قراءة إجابات عبد الناصر بالكامل في المجلد الذى اصدره الاهرام عام ١٩٧٣ بعنوان « وثائق عبد الناصر » وقدم له الأستاذ محمد حسنين هيكل » .

● الملحوظة الثانية : رواها هيكل نفسه قائلاً : « من المفارقات أن الملك حسين ملك الأردن بعث إليه في ذلك الوقت برسالة مع الفريق عبد المنعم رياض ، يحذره فيها من مؤامرة تستهدف جره إلى معركة في ظروف غير ملائمة . وكان ذلك متفقاً مع إحساسه العام وكان رايه ان القوات المسلحة المصرية تحتاج على الأقل إلى ١٥ عاماً تستوعب فيها سلاحها الذى حصلت عليه من الاتحاد السوفييتى ، وكانت الفترة المحتملة للصدام المسلح في تقديره هى الفترة الواقعة ما بين سنة ١٩٧٢ وسنة ١٩٧٥ !! « كتاب لمصر لا لعبد الناصر » .

والتعليق على تلك الملحوظة ويرويه الكاتب الصحفى احمد حمروش عضو الضباط الأحرار ورئيس تحرير روزاليوسف في تلك الأيام . والتعليق مثبت بالنص في كتابه « خريف عبد الناصر » إذ يقول حمروش : في أواخر ابرايل ٦٧ استدعى الملك حسين الفريق عبد المنعم رياض الذى كان يعمل وقتها في القيادة العربية المشتركة وابلغه ان لديه معلومات عن خطة يسهم فيها النظام الجديد في سوريا مع بعض القوى الخارجية لجر جمال عبد الناصر إلى مصيدة الحرب ، وطلب منه ان يبلغ هذه المعلومات إلى جمال عبد الناصر !!

ولم يكن هناك سبيل اتصال مباشر بين عبد المنعم رياض وجمال عبد الناصر ، فقد كتب تقريراً بذلك رفعه إلى الفريق « على على عامر » قائد القيادة العربية المشتركة مطالباً رفعه إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة . ولكن رغم خطورة التبليغ فإن عبد المنعم رياض لم يتلق إجابة على تقريره ،

وتصادف أن التقى به محمد حسنين هيكل ، فابلغه بالموضوع من شدة قلقه وحرصه على أن يعرف جمال عبد الناصر هذه المعلومات ليدخلها عند تقديره للموقف .. ودبر هيكل ـ كما قال لى ـ لقاء بين عبد الناصر وعبد المنعم رياض الذى شرح له مضمون الرسالة .. وتحفظ عبد الناصر على هذه الرسالة لأنها وردت من الملك حسين أولاً ، ولأنه اعتبرها محاولة للوقيعة بينه وبين نظام الحكم فى دمشق ثانياً ، ولأنه لم يعد يملك مفتاح الموقف وحده بعد تطور الأحداث وتلاحقها فى إيقاع شديد السرعة .

ويلفت النظر أيضا بعض المقالات التى نشرتها أخبار اليوم صباح ٣ يونيو ٦٧ (كان رئيس التحرير إحسان عبد القدوس ، ومدير التحرير سعيد سنبل) وكان المانشيت هو « بدأ تنفيذ المؤامرة » ! وكتب إحسان عبد القدوس يقول : إننا نعرف كيف ننتصر إذا تحركت إسرائيل وحدها !! ونعرف كيف ننتصر إذا تحركت إسرائيل ومعها القوى الاستعمارية ، ونحن فى انتظار الطلقة الأولى لتكون لنا الطلقة الثانية والثالثة والعاشرة والأخيرة .. الطلقة التى تكتب لنا النصر !!

ثم نأتى لسطور أخرى لهيكل جاءت فى كتابه « عبد الناصر .. والعالم » (دار النهار ـ ١٩٧٢) وتقول هذه السطور الشهادة :

عندما بدأ الهجوم الإسرائيلى أخذت القيادة المصرية على حين غرة فتمزقت أشتاتاً تحت وطأة الغارات الجوية الإسرائيلية ، وكان المشير عبد الحكيم عامر يركب طائرته متوجهاً إلى سيناء لزيارة جنوده هناك عندما اكتسحت موجات الطائرات الإسرائيلية المجال الجوى وتدفقت فى سماء مصر ، وعادت به الطائرة وهبطت فى مطار القاهرة الدولى ليجد أنه قصف وإنه ليس به أحد ، فركب سيارة تاكسى إلى مقر القيادة العليا حيث بدأ يتلقى التقارير عن الأضرار ، وأظهرت هذه التقارير أن السلاح الجوى المصرى قد دمر بأكمله تقريباً .

ولكن عندما وصل عبد الناصر إلى مقر القيادة العليا اخفيت الحقائق عنه فلم يبلغ بالحجم الحقيقى والكامل للأضرار والإصابات كما بالغت القيادة فى عدد الطائرات الإسرائيلية التى أسقطت .

وأحس فى القيادة العامة صباح اليوم الأول للحرب بجو الذعر الذى كان سائداً ، ومنذ تلك اللحظة فقد الثقة ، وحاول أن يعزز معنويات قادته مهيباً بهم أن يقاتلوا حتى تهب القوى العالمية والنظام الدولى كله ـ كما حدث فى السويس ـ لنجدتهم وتجبر الإسرائيليين على التوقف عن هجومهم !!

وفى تلك الليلة عندما رفع أخيراً إلى الرئيس عبد الناصر تقرير عن الحجم بالكامل للفاجعة قيل له : إنه لم يكن فى وسع الإسرائيليين ان يحققوا ذلك بالاعتماد على انفسهم وبوسائلهم وأنه لابد أن الأمريكيين قد ساعدوهم . ولم يكن عبد الناصر على استعداد لقبول ذلك على علاته وكان قوله : إننى سوف أصدق أن الولايات المتحدة اشتركت فى الهجوم إذا أطلعتمونى على حطام طائرة امريكية . ومالم تفعلوا ذلك فسوف أظل متشككاً !!» .

من الضرورى عند هذه النقطة الانتقال إلى شهادة وزير الخارجية محمود رياض حول هذه الواقعة [اشتراك أمريكا فى الهجوم الجوى] فيقول : فى صباح ٦ يونيو اتصل بى جمال عبد الناصر فى المنزل ، وكنت قد امضيت الليل بطوله مستيقظاً أفكر فى عواقب العدوان ومرة أخرى أبلغنى عبد الناصر بأن سلاح الطيران المصرى قد أصيب بالشلل الكامل ، وأنه لم يعد لديه شك فى تواطؤ الولايات المتحدة مع إسرائيل فى هذا العدوان وانه قرر قطع العلاقات الدبلوماسية معها ـ

وناقشت عبد الناصر في هذا القرار على أساس انه لا يفيدنا بالرغم من قناعتي الشخصية بالتواطؤ الأمريكي الإسرائيلي . ولكن جمال عبد الناصر كان له راى آخر ، فقد قال : يجب ان تحس الولايات المتحدة بأنها ستدفع ثمن هذا التواطؤ من تعبئة العالم العربي ضدها وبالتالى فقطع العلاقات مع أمريكا ضرورى !!

وقلت لجمال عبد الناصر - مازال محمود رياض يتكلم - ولكن مع التسليم بهذا فإننا محتاجون إلى التعامل سياسياً مع الولايات المتحدة في الأيام القادمة . رد عبد الناصر : ابداً إن وجود التواطؤ الأمريكي وبهذا المستوى مع إسرائيل معناه ان لدى أمريكا ما تريد ان تفرضه علينا في الفترة القادمة ثمناً للانسحاب الإسرائيلي ، والمشكلة هنا أن هذا التواطؤ الأمريكي مع إسرائيل بدلاً من أن يدفعنا إلى تقليل التعامل مع الاتحاد السوفييتي فإنه سوف يدفعنا إلى العكس تماما .

إن أمريكا لم تترك امامنا اى اختيار في هذا المجال ، ولقد عرفوا - أمريكا وإسرائيل - كيف يوقعون بنا اخيراً ولكننى لم أستسلم أبداً ، وأضاف انه تلقى معلومات من القيادة العسكرية باشتراك طائرات أمريكية وبريطانية في الهجوم !

وبينما كانت القيادة مشغولة بمحاولة التاكد من التواطؤ الأمريكي في العدوان الإسرائيلي .

صدرت صحف الثلاثاء ٦ يونيو ونبرة التفاؤل والانتصار والزهو تملأ كل المقالات والتعليقات . وحتى الكاريكاتير .

صدرت الأهرام بمانشيت يملأ الصفحة الأولى يتكون من ست كلمات صاغها الأستاذ هيكل تقول : قواتنا المدرعة تتوغل داخل خطوط العدو !!

ومانشيت آخر يقول : فيصل يبلغ عبد الناصر بدخول قوات السعودية إلى الأردن .. وخبر آخر يقول : تأجيل الامتحانات في المدارس والمعاهد والجامعات !

وصدرت جريدة الأخبار بعناوين مشابهة لذلك أيضاً ، وكتب الأستاذ جلال الدين الحمامصي مقالاً عنوانه « مع المعركة » قال فيه : إن إسرائيل أرادتها معركة ، وقد كان ردنا الفورى أهلاً وسهلاً : وهى كلمة قالها الرئيس عبد الناصر منذ أيام ، ورددتها قواتنا العربية امس . لقد بدأت المعركة وستنتهى في تل أبيب !!

وكتب الأستاذ أنيس منصور مقالاً قال فيه : ولابد أن نكسب هذه المعركة فقد كسبنا كل معاركنا بقيادة زعيمنا العظيم جمال عبد الناصر !! [علامات التعجب لم تكن في مقال انيس لكنى أراها ضرورية الآن] فقد انتصر في كل معاركه الشريفة ، وليست معاركه إلا في سبيل الحرية والعدل .. !! »

ويلفت الانتباه تنويه الصحف عن البرنامج الإذاعى الذى كان يقدمه الفنان الكوميدى « محمد عوض » باسم « أمريكا .. ياويكا » .

وخبر آخر يقول إن الفنانة المطربة فايدة كامل ضربت الرقم القياسى في عدد الأناشيد والأغانى الوطنية التى سجلتها !!

وسطور أخرى تكمل شهادة هيكل حول ما جرى في ١٩٦٧ يقول فيها :

اعتقد أن جزءاً من مأساة ١٩٦٧ كان حبه - أى عبد الناصر - لعبد الحكيم عامر ، ذلك أن هذا الحب حال دون أن يقتنع بدرجة كافية أن عبد الحكيم عامر لا يصلح للقيادة . إن عبد الحكيم عامر كان نصف فنان ونصف « بوهيمى » ولطيفا جداً ، ولكنه عسكرياً توقف عند رتبة الصاغ ، أى أنه يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً ، لقد اصبح عبد الحكيم عامر ضابطا سياسيا والضابط السياسى لا يمكن أن يكون مسئولا عن قيادة جيوش . واستمر حب عبد الناصر

لعبد الحكيم عامر لفترة ما بعد الوحدة ثم بدأت علاقتهما تتزعزع . وهو عندما عينه نائباً أول له كان يتصور أن عبد الحكيم عامر يمكن أن يقود من بعده ! » .

وبعد عدة سنوات يروى هيكل فى كتاب « زيارة جديدة للتاريخ » (١٩٨٥) حواراً أجرى بينه وبين الفيلد مارشال « مونتجمرى » بطل معركة العلمين الذي كان يزور مصر (ابريل ١٩٦٧) ، بمناسبة مرور ربع قرن على معركة العلمين . وسأل مونتجمرى هيكل وقتها : لماذا يتحول الجنرالات عندكم إلى ساسة !! إننى قد أكون على استعداد لفهم موقف « ناصر » لكن هناك ضمن المجموعة ضابط آخر أصبح .. ماريشالاً سياسياً (يقصد المشير عبد الحكيم عامر) ليست هناك حاجة على الإطلاق لماريشال سياسي . فالماريشالية لا تكون إلا بقيادة الجيوش فى الميدان !وقال هيكل مقاطعاً : قد لا أختلف معك كثيراً ، ومع ذلك فلماذا لا تسأله هو الآخر حين تلقاه ؟! وقال مونتجمرى : هل أستطيع أن أسأله هذا السؤال فعلا إذا لقيته .. وهل يغضبه السؤال؟ وقلت ضاحكا : لا أعرف !!

يقول هيكل وقد وضع كلامه بين قوسين (أشرت إلى هذا الحوار مختصرا فيما نشرت فى حينه عن لقائى بمونتجمرى فى العلمين ، ورغم اختصار ما نشرت فإنه أثار ضجة وسبب مشكلة) .

فى عام ١٩٧٨ صدر فى باريس كتاب « يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين » يقع الكتاب فى ١٢٨ صفحة [منشورات مؤسسة الوطن العربى] . الكتاب تقديم محمد حسنين هيكل ، وفى الجزء الأول الذى أسماه « مدخل إلى مذكرات جمال عبد الناصر فى حرب فلسطين » يقول :

إن أى قارىء لمذكرات جمال عبد الناصر سوف يلحظ أن بعض مظاهر الاضطراب والقصور التى شابت ـ وعابت ـ تصرفات القيادة فى حرب سنة ١٩٤٨ تكرر مثلها على نحو أو آخر فى حرب سنة ١٩٦٧ ، وكانت من بين أسباب الهزيمة .

وكتب د . لويس عوض يقول : لم تصادر لى طوال عهد الثورة من المقالات السياسية إلا ثلاثة مقالات : مقال كتبته « للأهرام » بعد شهر من هزيمة يونيو ١٩٦٧ أدعو فيها الناس إلى تجاوز المحنة ونهش النفس وإلى الالتفاف حول جيش مصر وحول قائد مصر جمال عبد الناصر ، باعتبار أننا جميعاً مسئولون عما كان ، كل بحسب موقعه وعمله ، ولكنى شخصت فيه الهزيمة بأنها هزيمة نظام لا هزيمة شعب أو هزيمة جيش : باعتبار أن النظام الصالح يخرج أفضل ما فى الناس ، والنظام الفاسد يخرج أسوأ ما فى الناس . ولأن النظام ماهو إلا صورة للمجتمع !!

ويكمل د . لويس عوض : ولكن الأستاذ محمد حسنين هيكل رغم جرأته واقتحامه أزال قلب المقال المتصل بتهرؤ النظام ولم يبق إلا الدعوة للثبات والالتفاف حول الجيش والزعيم ، فبدا وكأنى أقول إن الجيش سليم والنظام سليم ، وإنما المعطوب هو الشعب .. وعندئذ أصررت على أن مقالى إما أن ينشر كاملاً أو يرفع كاملاً .. فرفع كاملاً . وحين طلبت أصول مقالى أبلغت أن هيكل سحبها من المطبعة وأرسلها إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ليعرف كيف يفكر بعض المثقفين ، وقد سعدت بوصول الرأى ، وإن كنت قد أسفت لضياع المقال » .

وفيما بعد أيضا كتب « أنتونى ناتنج » فى كتابه « ناصر » (١٩٨٥) يقول : فى هذا الموقف الأكثر خطورة الذى نشأ عقب حرب الأيام الستة ومع وقوف الأمريكيين والبريطانيين ضده أخذ يتطلع إلى الفرنسيين ـ يقصد جمال عبد الناصر ـ للإبقاء على صلته الوحيدة مع الغرب ، وفى حديث مع « هيكل » بعد بضعة أيام من وقف إطلاق النار أثرت هذه المسألة وذكرته بتحذيرى السابق لعبد الناصر بأن الفرنسيين يسلحون سلاح الطيران الإسرائيلى إلى أقصى حد !! فأخذ « هيكل » على غرة ثم ابتسم وقال : هل لنا أن نتحدث عن شىء آخر ؟!!

الفصل الثالث

هيكل يقول :
استرجاع سيناء ليس مشكلة !

استيقظ الناس في مصر صباح ٩ يونيو ١٩٦٧ على خبر قصير أثار دهشتهم كثيراً .

نشرت الخبر « صحيفة الأهرام » في ركن مهمل من صفحتها الأولى بعنوان « عبد الناصر يتحدث اليوم عن تطورات الأزمة » .

كان هذا الخبر بالضبط يتكون من ستة سطور فقط لا غير !! وفي نفس الوقت كان المانشيت الرئيسى للأهرام هو « وقف إطلاق النار » .

كان البعض مازال يتساءل في دهشة وربما براءة : ولماذا وقف إطلاق النار ونحن على مسافة كيلومترات من تل أبيب !

وتساءل جنرالات المقاهى : لماذا وقف إطلاق النار قبل ان ندمر إسرائيل ونلقى بها في البحر وتعود فلسطين لأصحابها !!

ولم يكن هناك إنسان واحد سواء في مصر او العالم العربى يتوقع ما أعلنه جمال عبد الناصر مساء ٩ يونيو .

تصور البعض كل شيء إلا ان يستقيل جمال عبد الناصر ويترك مسئولية الحكم .

فى تلك الساعات كان محمد حسنين هيكل « رئيس تحرير الأهرام » واحدا من اقرب الناس إلى ماكان يدور فى كواليس ودهاليز القيادة عامة ، وعبد الناصر خاصة !!

يقول محمد حسنين هيكل : كانت الأحداث تتلاحق بسرعة فائقة ، فقررت قيادة الجيش إخلاء سيناء واتخذ هذا القرار دون استشارته ولما سمع بقرار الإنسحاب من سيناء بكى لأول مرة فى حياته ، وتوجه إلى مقر القيادة العامة وحاول ان يوقف الإنسحاب ، وكان الأوان قد فات ، إذ كان الجيش المصرى قد هزم !!

ومع الهزيمة اتت المذلة ، قرر ان يستقيل وكان مستعداً كل الاستعداد لمواجهة المحاكمة عن مسئوليته ، كان مستعداً بل متشوقاً تقريبا لتسليم نفسه للشعب ، وقد قال فى ذلك :

- إذا وجدنى الناس مذنبا وشنقونى فى ميدان التحرير فإنى سوف اقبل حكمهم بكل رضا » [كتاب عبد الناصر والعالم] .

يضيف هيكل فى سطور أخرى : كان عبد الناصر قد اتصل بى يوم الخمس ٨ يونيو ١٩٦٧ ليلا وحدثنى فى ما يريد ان يتضمنه الخطاب ، وكان رايه ان يعلن تنحية لشمس بدران وزير الحربية انذاك ، لأنه تصور ان مشكلة ستحدث بين القوة السياسية فى مصر والقيادة العسكرية ، وأن مثل هذا الاختيار يجنب البلد اى انشقاق بحيث لا تصطدم السلطة المدنية بالسلطة العسكرية ويحفظ وحده القيادة لفترة . ولم يكن فى مقدوره إنسانيا تلك الليلة مع احزانه وشواغله أن يجلس ليكتب خطابا ، فاتفق معى على نقاطه وتعهدت أن اكتبه له . ووصلت إلى بيته فى الساعة السابعة من صباح يوم الجمعة ٩ يونيو وكان فى مكتبه لم يذق للنوم طعما فى تلك الليلة الليلاء ، وحين دخلت عليه كان التليفون فى يده وكان يتكلم مع احد القادة العسكريين فى الجبهة يريد أن يضع حداً للفوضى والانهيار اللذين سادا الموقف كله - توجهت إليه ومعى الخطاب وقد تركت محل الاسم فارغا اى اننى لم أكتب اسم شمس بدران .. واعطيت الخطبة لعبد الناصر وقلت له إننى شخصيا غير مقتنع بمسالة التنحى لشمس بدران ، لأن ما نواجهه الآن ابعد بكثير من موضوع احتمال اصطدام السلطة العسكرية بالسلطة المدنية .

وبعد مناقشة طويلة اقتنع بضرورة أن يكون الشخص الذى يتنحى له غير شمس بدران ، واستقر رايه على زكريا محيى الدين على أساس انه اقدم الباقين من اعضاء مجلس قيادة الثورة وليس على اى أساس آخر !! [كتاب بصراحة عن عبد الناصر] .

وجلسنا نراجع - اى هيكل وعبد الناصر - مشروع الخطاب الذى اعددته له ووصلنا فيه إلى عبارة تقول بالنص : « وفيما يتعلق بى فإننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية » .

كنت قد كتبت هذه العبارة - الكلام لهيكل - وأنا أعرف الظروف ولكن جمال عبد الناصر استوقفنى عندها وقال لى بالحرف :

- ما معنى أن اقول « إننى على استعداد لتحمل نصيبى من المسئولية » وهز راسه نفيا قاطعا ثم قال : « لا ارضى ذلك لنفسى .. إننى تاريخيا اتحمل المسئولية كلها ويجب أن اقول ذلك للناس » .

يقول هيكل : وغيرت النص بعد إصراره على النحو الذى رآه !!

واصل إلى شهادة « محمود رياض » وزير خارجية مصر فى ذلك الوقت : واترك سطور شهادته بنصوصها تروى ما جرى فى ذلك اليوم : اعلن عبد الناصر انه سوف يدلى ببيان عن الموقف الحالى ولم اكن اعرف على وجه الدقة ما سيقوله وهكذا جلست فى مكتبى بوزارة الخارجية فى مساء يوم ٩ يونيو كى اشاهد إلقاء البيان على جهاز التليفزيون . وكانت المفاجأة هى أن عبد الناصر - بعد أن شرح ما جرى - أعلن انه يتحمل المسئولية كلها وحده ومن ثم فقد قرر التنحى عن الرئاسة وتكليف

زكريا محيي الدين بتولى منصب رئيس الجمهورية ، ونزلت مسرعا كي أتوجه إلى منزل جمال عبد الناصر بمنشية البكرى ، وكان عليّ أن اخترق القاهرة من غربها إلى شرقها فوجدت نفسى أتحرك وسط مئات الألوف من المواطنين الذين تدفقوا من كل حدب إلى الشوارع المتجهة إلى بيت عبد الناصر بصورة عفوية لا يمكن أن تصدر عن غير أعمق مشاعر الحب والوفاء وقد استطعت أخيرا وبصعوبة شديدة أن اقترب من المنزل ، وكل من يرانى من المواطنين وأنا في سيارتي يدق بيديه عليها مطالبا ببقاء عبد الناصر !

وفي المنزل اجتمع عدد كبير من الوزراء والمسئولين في محاولة لبذل مجهود جماعي منا طوال ساعات لإثناء عبد الناصر عن الاستقالة وكانت تصلنا من خارج المنزل أصوات وهتافات الملايين من المواطنين الذين احتشدوا في جميع شوارع العاصمة في مظاهرات لم تشهدها القاهرة من قبل مطلقا وظلوا طوال الليل ترتفع حناجرهم بهتافات تصر على عدم تنحى عبد الناصر . وحدث نفس الشيء في مختلف الدول العربية ، فخرجت الجماهير العربية تعلن تمسكها بجمال عبد الناصر وإصرارها على الثأر للعدوان والخديعة وبدأت البرقيات تنهال على القاهرة من كافة الدول العربية تلح على بقاء عبد الناصر .

□□

ويضيف محمود رياض في شهادته : ولقد استمعت من عبد الناصر فيما بعد يوم ٢٥ يوليو إلى مزيد من التفاصيل عن الجانب العسكرى للحرب ، وأن عبد الناصر لم يذهب إلى مقر القيادة يومى الثلاثاء والأربعاء (٦ ، ٧ يونيو) وبقى في منزله ، ولكنه في اليوم التالى ٨ يونيو (الخميس) تلق مكالمة من وزير الحربية شمس بدران طلب فيها منه الحضور إلى مقر القيادة لأن عبد اللطيف بغدادى وكمال الدين حسين وحسن إبراهيم من أعضاء مجلس الثورة السابقين موجودون هناك ويريدون الاجتماع بالرئيس ! في البداية رفض عبد الناصر الفكرة بعد أن تبين له أن المعركة العسكرية قد انتهت بهزيمة الجيش ، ولكن شمس بدران عاد ليؤكد للرئيس أن الأمر خطير لأن المشير عامر ينوى الانتحار بواسطة سم السيانور ، وهنا فقط أسرع عبد الناصر بالتوجه إلى مقر القيادة !!

ويقول عبد الناصر إنه صارح عبد الحكيم عامر في ذلك اليوم بأنه سوف يلقى بيانا على الهواء غداً وسوف يعلن فيه تنحية عن منصبه فأجابه المشير بأنه هو أيضا لا يستطيع البقاء في قيادة الجيش ، وهنا سأله الرئيس عن رأيه فيمن يتولى رئاسة الجمهورية فاقترح المشير عليه اسم شمس بدران فأخبره الرئيس بموافقته على هذا الترشيح !! ويضيف عبد الناصر في روايته لى - أى لمحمود رياض - أنه في اليوم التالى ، وقبيل إدلائه بخطاب التنحى عن الرئاسة اتصل بعبد الحكيم عامر تليفونيا وأخبره بأنه قد استقر رأيه على اختيار زكريا محيي الدين وليس شمس بدران كي يتولى منصب رئاسة الجمهورية . ولم يكن المشير راضيا عن هذا الاختيار !!

مازلت انبش عن تفاصيل ما كان يجرى في الكواليس يوم ٩ يونيو .. وانتقل إلى شهادة الفريق أول محمد فوزى الذى يقول : فاجأ الرئيس جمال عبد الناصر الشعب المصرى والأمة العربية بخطاب التنحى عن رئاسة الجمهورية غروب يوم ٦/٩ ، وقد أعلن القرار من قصر القبة وأسند الرئاسة بموجب الدستور إلى السيد زكريا محيي الدين .

أما الفريق عبد المحسن مرتجى قائد جبهة سيناء في حرب ١٩٦٧ فيقول عن أحداث يوم ٩ يونيو : استنفد هذا اليوم في المحاولات التى بذلت لإعادة السيطرة على القوات وإعادة تنظيم وتجميع الدبابات الشاردة وتكوين وحدات فرعية صغرى منها .. كما بذل مجهود كبير في السيطرة على

التائهين والمنعزلين عن وحداتهم وتجميعهم وإعادتهم للقاهرة .

وحوالى الساعة الرابعة من بعد الظهر اتصل مدير مكتب وزير الحربية وطلب ضرورة عودة قائد الجبهة لمقابلة نائب القائد الأعلى لأمر هام . تحركت إلى القاهرة بعد حوالى نصف ساعة - الكلام للفريق مرتجى - ومنذ هذا الوقت والتاريخ انقطع اتصالى المباشر بالأحداث التى كانت تجرى بمنطقة القناة . وصلت القيادة العليا حوالى ٦ مساء ٩ يونيو وقابلت المشير عبد الحكيم عامر رحمه الله فى مكتبه الذى لم يبرحه طيلة مدة القتال بعد عودته بالطائرة يوم ٥ يونويو عندما هاجمت الطائرات الإسرائيلية القواعد والمطارات المصرية .. عند رؤيتى للمشير انفعلت بشدة فما كنت أحلم أن يمتد بى العمر لأواجه هذا الموقف العصيب الذى انهار فيه كل شىء !!

ملحوظة : روى أمين هويدى فى كتابه مع عبد الناصر : أن الهزيمة لم تؤثر فى المشير بل اجمع كل من شاهدوه فى منزله يوم ٧ و ٨ يونيو ٦٧ على انه كان عاديا لا يظهر عليه أى شعور بالندم أو الإنزعاج ، وكان من ضمن من زاروه كثير من الساسة والصحفيين ورجال القوات المسلحة وقد اخبرنى - الكلام لأمين هويدى - الأخ شعراوى جمعة - وكان أحد من زاره فى منزله - ان المشير نزل وكان « زى الورد » بعد أن كان قد انتهى لتوه من الاستحمام !!

ونعود لرواية مرتجى : حاول المشير ان يخفف عنى الصدمة بقوله الحرب لم تنته بعد وهذه الجولة سيعقبها جولات ، وإذا كنا قد تخلينا عن جزء من الأرض فقد سبق أن احتل اليهود سيناء ثم اجبروا على الخروج منها وهذا ما سيحدث مرة ثانية .. واخذ الحديث مجالات أخرى دون أن أعرف سبب استدعائى والموضوع الهام الذى سالقن به !! إلا ان المشير قال بان رئيس الجمهورية سيذيع فى الساعة السابعة مساء اليوم بيانا أحب أن تستمعوا إليه .

يضيف مرتجى : كان قد دخل منذ دقائق قادة الطيران والبحرية ومساعدو نائب القائد الأعلى علاوة على وزير الحربية - وحتى ذلك الوقت كنا خاليين الذهن عن القرار الذى اتخذه رئيس الجمهورية والمشير عامر بالتنحى عن جميع مناصبهم ! أعدت سؤال المشير عن المطلوب منى وبينت له أن الموقف بمنطقة القناة يحتاج لجهود الجميع وانى أجد انه من الأصوب إذا لم أكن مطلوبا هنا أن أعود باسرع ما يمكن إلى الإسماعيلية .. إلا أن المشير قال : لا داعى لذهابك إلى الإسماعيلية فبقاؤك فى القاهرة مرغوب فيه فى هذه الفترة !

□□

ويكمل مرتجى شهادته قائلاً : فى الساعة السابعة مساء يوم ٩ يونيو استمعنا إلى بيان رئيس الجمهورية الذى تنحى فيه عن الرئاسة باعتباره الرجل الأول المسئول عما حدث وعن هذه النهاية التى لم تكن فى الحسبان . هذا البيان أصابنا تحت وطأة الانفعال بالذهول ، وتساءلنا كيف يترك عبد الناصر السفينة بدون ربان بهذا الشكل والبحر مضطرب والأمواج عالية والسفينة قد لا تقوى على الصمود .

تقابلنا قادة افرع القوات المسلحة برية وبحرية وجوية بمكتب هيئة أركان حرب القوات المسلحة وقررنا التحرك ومقابلة المشير ليتدخل لمنع رئيس الجمهورية من التمسك بقراره - لم نكن لنعلم حتى ذلك الوقت بان المشير هو الآخر قد تنحى لأنه لم يذع شىء من هذا القبيل .

يضيف مرتجى : بعد انتهاء حرب يونيو وفى نوفمبر ١٩٦٧ تقابل مع عبد الناصر الذى قام له إنه عندما كان يذيع بيان التنحى ارسل المشير له ورقة بخط يده طالبا إيقاف الإذاعة ، فلم استجب لهذا الطلب وأمرت محمد فائق وزير الإعلام بالا يذيع أى شخص أى بيان بعد بيانى ، ولما رفض محمد فائق بناء على أمر الرئيس إذاعة بيان المشير غضب وثارت حفيظته عليه !!

وأعود لباقى سطور المهندس سيد مرعى فيقول : القى جمال عبد الناصر بيانا فى التليفزيون واعلن تنحيه عن الرئاسة ، وانهالت الدموع وأنا أجلس وحيدا فى المنزل امام شاشة التليفزيون لم يكن هذا الذى يتكلم فى شاشة التليفزيون هو نفسه الذى كان يتكلم قبل الحرب بايام مرحبا بهجوم إسرائيل .. بل إنه حتى لم يكن مجرد شخص مسئول يتنحى عن موقعه ..ولكنه فى تلك اللحظة كان رمزاً لأرادة مصر لا يمكن أن تتنحى مهما كانت الظروف ، ومهما كان حجم الكارثة .. ونزلت الشارع ـ يكمل م . سيد مرعى ـ وركبت سيارتى فوجدت الشوارع قد تحولت فجاة إلى يوم « الحشر » كان فى ذهنى أن أذهب إلى منزل جمال عبد الناصر فى مصر الجديدة ، ولكن شيئين منعانى من الاستمرار فى ميدان الجيزة .. زحام الجموع الرافضة للتنحى ، ودموعى !! وعدت إلى منزلى وامسكت بالتليفون محاولا الاتصال ببيت جمال عبد الناصر ولكن بغير رد على الطرف الآخر .. ثم طلبت محمد حسنين هيكل فقال لى إنه متوجه لتوه إلى بيت الرئيس فى محاولة منه للوصول إلى حل بعد ان رأى تدفق عشرات الالوف من الناس فى الشوارع إلى تغير الصورة تماماً ..

وفى نفس الليلة دعانا أنور السادات إلى اجتماع طارىء فى مجلس الأمة يعقد فى صباح اليوم التالى !

وإلى شهادة الرئيس السابق « أنور السادات » كما وردت بالنص فى « البحث عن الذات » ونكمل الصورة السابقة فيقول السادات : فى يوم الجمعة ٩ يونيو بينما انا جالس إلى جانب الراديو فى حالة الشرود التى كنت فيها سمعت بيانا من القيادة العامة يقول إن اليهود قد عبروا الضفة الشرقية إلى الضفة الغربية .. كان بيانا كله استخذاء واستسلام ومهانة مما جعل الدم يغلى فى عروقى ، فقمت للتو وارتديت زى المقاومة الشعبية وأخذت بندقيتى ذات التلسكوب وركبت عربة فيات صغيرة كنت قد استعرتها من المخابرات ومضيت لأحارب معركتى ـ فقد كان من الأشرف لى أن أموت وأنا اقاتل العدو !! [يقصد السادات العدو الإسرائيلى] من أن اقبع فى دارى بلا عمل .. توجهت إلى مجلس لأمة وكنت فى ذلك الوقت رئيس المجلس فاصدرت تعليماتى إلى امين عام المجلس بأن يخطر جميع النواب وخاصة الذين لهم ثقافة عسكرية بان يجمع كل واحد منهم من مائة إلى مائتى رجل كل فى دائرته وأن يقوم بتجهيزهم لمقاومة الإسرائيليين فى المكان الذى أحدده لهم .. ذهبت بعد ذلك للقاء عبد الناصر فوجدته جالساً فى حجرة مكتبه فى بيته بمنشية البكرى فقلت له :

« انت قاعد هنا مستنى إيه ؟! لازم ياجمال تقوم علشان نوديك الصعيد لأن إحنا حنكمل المقاومة من هناك .. وحتى لو سقطت القاهرة ضرورى تقاوم لغاية آخر نفس فينا » .

رويت له ما فعلته فى مجلس الأمة وكيف أعددت النواب للمقاومة الشعبية !!

من قلب « المباحث العامة » تجىء شهادة اللواء حسن طلعت « مدير المباحث العامة فى ذلك الوقت » إذ يقول : مرت الأيام بعد ٥ يونيو ثقيلة كئيبة متباطئة وفى يوم ٩ يونيو اعلن أن الزعيم الراحل سيوجه خطاباً للشعب . ولم أكن أدرى شيئاً عن موضوع الخطاب !! كما لم يصل لعلمى عن طريق فروعنا ومصادرنا أية معلومات فى هذا الشأن ، وكنت أعتقد أنه سيكون مواجهة للمواطن بحقائق وإيضاح طريق المستقبل للنهوض من كبوة القوات المسلحة !! وفى المساء وجه عبد الناصر كلمته للشعب متناسياً تحذيره الحاسم للقيادات العسكرية ومعلناً تنحيه عن رئاسة الجمهورية ومرشحاً للسيد زكريا محيى الدين ليخلفه فيها .

لم تمض نصف ساعة على إذاعة حديث الرئيس حتى فوجئت بالشوارع المحيطة بمبنى الإدارة ـ يقصد المباحث ـ تموج بجموع المواطنين الذين أخذوا ينسلون إلى الشوارع من كل حدب وصوب

حتى غصت بهم هاتفين صائحين بحياة عبد الناصر وضرورة بقائه فى منصبه . واخذ التليفون يدق ولا يهدأ حاملاً بلاغات عن خروج المظاهرات فى جميع أحياء القاهرة وفى جميع مدن وبلاد الجمهورية مطالبة ببقاء السيد الرئيس ورفض تنحيه . واخذ المسئولون عن الأمن العام فى مختلف المحافظات يتساءلون عما يتبع بشان هذه المظاهرات ؟!

اتصلت بمكتب السيد وزير الداخلية فلم أجده وعلمت انه بمنزل السيد الرئيس فاتصلت بسكرتارية الرئاسة ولا اذكر من الذى رد علىَّ وهل كان « الاخ منير حافظ » او الاخ « محمد سعيد » فطلبت منه الاتصال بالسيد شعراوى جمعة فاجابنى بانه لا يريد التحدث مع احد وانه يعتبر نفسه مستقيلا من منصب وزير الداخلية . رايت ـ مازال حسن طلعت يتكلم ـ رايت ان الموقف لا يحتمل التردد فاخذت المسئولية على عاتقى واصدرت امراً بالسماح بسير المظاهرات دون التعرض لها مع المحافظة عليها ومنع اندساس اية عناصر تحاول الإخلال بالأمن العام او الاعتداء على السفارات او الممتلكات والأموال . كما نبهت إلى ضرورة اتصال رؤساء القوات التى ستساير المظاهرات بالمتظاهرين وإفهامهم بمضمون التعليمات الصادرة إليهم وبان الشرطة مع الشعب ومنه وان مطلبهم هو مطلب كل وطنى شريف فى مصر .

وإنى كمسئول قد عاصر هذه الأحداث لأقرر انه لم تكن هناك اية تعليمات سابقة او لاحقة بشأن هذه المظاهرات ، ولو انها كانت مدبرة لكنت اول من يحاط علماً بذلك ، وان كل المسئولين التنفيذين على مستوى الوزراء وامناء الاتحاد الاشتراكى قد تخلوا عن مسئولياتهم مساء يوم ٩ يونيو وان انطلاق المظاهرات فى خلال نصف ساعة فى جميع انحاء البلاد على هذا الوجه الذى بدت له من الضخامة والإجماع لينفى اى دور لأجهزة الاتحاد الاشتراكى الذى كان اعجز من ان يقوم بمثل هذا الدور واكبر دليل على ذلك عجزه عن مواجهة المظاهرات التى خرجت عام ١٩٦٩ للاحتجاج على عدم كفاية الاحكام الصادرة فى حق القادة العسكريين المسئولين عن هزيمة ١٩٦٧ » .

□□

خلت شوارع مصر وازقتها من كل البشر !

تجمع الناس حول اجهزة التليفزيون ، واسلموا آذانهم للراديو .. ومن كان موجوداً فى الشارع اتجه إلى اقرب مقهى وجلس فيه ليستمع او يشاهد خطاب « الريس » .

أما فى العالم العربى من المحيط إلى الخليج فقد ضبط الناس مؤشرات الراديو على إذاعات القاهرة حتى لا يفوتهم خطاب جمال عبد الناصر !!

كانت التساؤلات كثيرة وعديدة .. ماذا سيقول ؟! وما الذى يبقى كى يقال ؟! اى جديد سوف يطلع به علينا ؟!

كانت عقارب الساعة تقترب من الساعة الثامنة إلا الربع عندما ظهر جمال عبد الناصر على شاشة التليفزيون المصرى . كان الوجه متعباً ومرهقاً وحزيناً وشاحباً وهموم الدنيا تطل من هذا الوجه الذى طالما ابتسم ، وخرجت من فمه قرارات غيرت وجه مصر والعالم العربى !

ظهر عبد الناصر يملأ وجهه شاشة التليفزيون ، بدا كما لو كان قد شاب شعره فجاة وكما لو ان عمره قد زاد فجاة عشرة سنوات !

وجاء صوت عبد الناصر هادئاً .. راسخاً .. عميقاً .. ليقول : « ايها الاخوة .. لقد تعودنا معاً فى اوقات النصر وفى اوقات المحنة .. فى الساعات الحلوة والساعات المرة أن نجلس معاً وان نتحدث بقلوب مفتوحة وان نتصارح بالحقائق مؤمنين انه عن هذا الطريق وحده نستطيع دائماً ان نجد اتجاهنا السليم مهما كانت الظروف عصيبة .. ومهما كان الضوء خافتاً .

ولا نستطيع ان نخفى على انفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة ، لكننى واثق اننا جميعاً نستطيع وفى مدة قصيرة أن نجتاز موقفنا الصعب .. وإن كنا نحتاج فى ذلك إلى كثير من الصبر والحكمة والشجاعة الأدبية ومقدرة العمل المتفانية » .

وعلى مدى ١٤ دقيقة اخذ جمال عبد الناصر يشرح تطورات ما جرى ، والظروف والتفاعلات الدولية التى دفعت بالأزمة إلى ما وصل الحال إليه .

ووصل عبد الناصر فى خطابه [كتبه هيكل] إلى قوله : نصل الآن إلى نقطة هامة فى هذه المكاشفة بسؤال انفسنا : هل معنى ذلك اننا لا نتحمل مسئولية تبعات هذه النكسة ؟! وأقول لكم بكل صدق - وبرغم اية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها .. ولقد اتخذت قراراً أريدكم جميعاً أن تساعدونى عليه .. و ..

فى تلك اللحظة بالضبط حبست الملايين فى مصر والعالم العربى انفاسها لتستوعب كل شاردة وواردة سوف ينطق بها الرئيس ، وتعلقت العيون بعبد الناصر الذى صادر دمعة كادت أن تفر من عينيه وهو يقول :

لقد قررت ان اتنحى تماماً ونهائياً عن اى منصب رسمى واى دور سياسى .. وان أعود إلى صفوف الجماهير أؤدى واجبى معها كأى مواطن عادى .. و .. و ..

وبينما اخذ عبد الناصر يتلو باقى صفحات خطابه .. كان وقع كلماته على الملايين مذهلاً ومفاجئاً تماماً . ولم تقتصر صدمة الجماهير فى تلك اللحظات على أبناء مصر فقط ، بل على كل العالم العربى من المحيط إلى الخليج .

وخلال خمس دقائق كان عبد الناصر قد وصل إلى الكلمات الأخيرة فى خطابه والتى يقول فيها : إن قلبى كله معكم .. واريد ان تكون قلوبكم كلها معى .. وليكن الله معنا جميعا ، املاً فى قلوبنا وضياء وهدى .

ورغم مرور عشرين سنة على مساء ٩ يونيو ٦٧ فمازلت اذكر جيداً - وكان عمرى وقتها ١٢ عاماً وبضعة شهور - كيف بكى والدى .. وكيف خرج الأهالى فى شوارع مدينتنا « بنى سويف » يطالبون عبد الناصر بالبقاء .. والعدول عن قراره .

وتكرر هذا المشهد كثيراً . وظلت مصر ساهرة طوال الليل .. وزحفت الجماهير نحو القاهرة وهى تهتف بتلقائية وصدق ومحبة لقائدها وزعيمها : (مكتوب على سلاحنا عبد الناصر كفاحنا) و(انور انور ياسادات .. إحنا اخترنا جمال بالذات) و(عبد الناصر ميه المية .. أرفض ارفض يازكريا) و(يا أمريكا لمى فلوسك .. إحنا وناصر بكرة ندوسك) و(عبد الناصر رايح فين .. إحنا نشيلك جوه العين) [لاحظ ان هذا الهتاف بالذات عادت الجماهير لترديده اثناء تشييع جنازة عبد الناصر] .

فى تلك اللحظات كانت السيدة أم كلثوم « فى منزلها تشاهد وتسمع خطاب جمال عبد الناصر . لم تكن أم كلثوم فى تلك اللحظة هى كوكب الشرق أو المطربة الزعيمة فى دنيا العرب .. بل كانت المواطنة المصرية البسيطة » ام كلثوم إبراهيم .

واترك ام كلثوم تروى بنفسها مشاعرها مساء ٩ يونيو ، وقد روت ذلك فى مقال « كيف عرفت

عبد الناصر » الذى نشر فى العدد الخاص من مجلة الهلال [عام مضى على جمال عبد الناصر وكان رئيس تحرير الهلال الشاعر صالح جودت عدد أكتوبر ١٩٧١] .

تقول السيدة أم كلثوم : منذ الساعات التى تأكدت فيها أنباء النكسة ، خاصمت النوم ، ولم يعد لى هم بالليل ولا بالنهار إلا أن اتفرغ لدموعى وأتوجه إلى الله فى صلاتى وضراعتى أن يمدنا ببصيص من الأمل فى انقاذ مصر . فلما أعلن « جمال عبد الناصر » نبأ تنحيه عن الحكم ، فقدت الأمل فى إطلالة هذا البصيص من الأمل . وكنت لا أفتأ اتصل بأصدقائى ، وأصدقائى يتصلون بى ، ليل نهار ، لعل أحدنا يجد عند الآخر نبأ يكشف الغمة ، ولا حديث لنا جميعا إلا عن المأساة التى ازدوجت وأطبق عليها اليأس بتنحى « جمال » عن مكانه .

وفى تلك الليلة قلت لصديقى صالح جودت ونحن نتحدث بالتليفون :

إن الأمل الباقى ، هو أن يبقى جمال عبد الناصر فى مكانه !

وبعد منتصف الليل ، عاود صالح جودت الاتصال بى ، وتلا على هذا المعنى منظوما فى أنشودة تحمل صورة نداء إلى جمال مطلعها :

قم واسمعها من أعماقى .. فأنا الشعب .

ابق فأنت السد الواقى .. لمنى الشعب .

ابق فأنت الأمل الباقى .. لغد الشعب .

ابق فأنت حبيب الشعب ..

تكمل أم كلثوم قائلة : وأملى على كلمات الأنشودة بالتليفون .. وأيقظت « رياض السنباطى » وأمليتها عليه بالتليفون أيضاً . ولم ينم السنباطى ليلته .. وفى الصباح - أى صباح ١٠ يونيو - سجلتها وقدمتها الإذاعة للجماهير .. جماهير ٩ و ١٠ يونيو التى خرجت عن بكرة أبيها فى حلكة الظلام وتحت وابل من قنابل العدو تطالب ببقاء جمال عبد الناصر وبقى جمال عبد الناصر ، وعاد الأمل يطل علينا من جديد » .

وبعد سنوات قليلة كان صالح جودت قد أصبح رئيسا لتحرير مجلة المصور وكتب مطالبا بإطلاق الرصاص على جمال عبد الناصر .

ربما فى نفس اللحظة كان الشاعر « صلاح جاهين » قد انزوى فى مكان ما من إحدى حجرات مجلة صباح الخير حيث كان رئيسا للتحرير وقتها وكتب قصيدة « ياناصر » التى نشرت فى روز اليوسف التى كانت بين أيدى الناس صباح السبت ١٠ يونيو .

ياحرية .. يا وطنية .

ياروح الأمة العربية .

الشعب يريدك ياحياته .

يا موصل موكب لغاياته .

وحياة المصحف وآياته . اسمك فى قلوبنا أغنية .. ياناصر .

وبسرعة حفظ « عبد الحليم حافظ » كلمات النشيد الذى سرعان ما تحول إلى أغنية بدأت الإذاعة فى ترديدها منذ صباح ١٠ يونيو ..

وكتب د . مصطفى محمود فى روزاليوسف أيضا مقالاً بعنوان « نريدك يا عبد الناصر » ! يقول فيه : إن عبد الناصر لم يعد مجرد شخص وإنما هو رمز لإرادة العرب جميعا فى الحياة ، رمزاً للصحة فى جسدنا !! والإصرار والعنفوان والعزم والتصميم فى نفوسنا !! إنه العقل المدبر والخطة والنجاة !!

وقال مصطفى محمود ايضا فى نفس المقال : وعلاقتنا نحن الجماهير بالقائد هى كعلاقة الجسد بالروح لا تصح فيها الاستقالة !! نحن نريدك يا عبد الناصر !! انت ونحن جسد واحد وشخص واحد لا انفصال فيه !! انت ونحن وحدة لا تقبل التجزئة !!

وفى الختام يقول : لن نفترق عن جمال عبد الناصر !! ولن يفترق جمال عبد الناصر عنا !! وإنما سنزداد اتحاداً كل منا بالآخر !! وتحت لوائك يا عبد الناصر سوف نحارب حتى الموت .. بل حتى الحياة .. قمة الحياة .. يا قمة الحياة !!

وبعد عشرين عاما كتب مصطفى محمود فى اخبار اليوم [٨٧/٧/٣] يقول : ترك البلد بحراً من الفتن والأحقاد والتناقضات وميراثا من الخراب لكل من حمله من بعده .. واخيراً انتهى الرجل وانتهت سياسته إلى الهزيمة والخراب الاقتصادى وجميع افكاره اخـذت حظها من الامتحان وسقطت !!

واجدنى اعترف لكم بان كل علامات التعجب التى تخللت كلمات مصطفى محمود سواء فى مقاله الأول او الثانى هى الإضافة الوحيدة التى لم امنع قلمى من ان يضيفها إلى كلماته .. ولا أرانى قد تجاوزت حدود النقل ، بل ربما وضعت بعض النقط فوق بعض الحروف !!

وخرجت اخبار اليوم صباح السبت ١٠ يونيو بمانشيت : الشعب يقول لا ..

وكتب الأستاذ جلال الحمامصى مقالاً عنوانه : « ابق معنا » يقول فيه .

- البطل يظل بطلاً فى كل وقت ، وقد كان جمال عبد الناصر فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وكان جمال عبد الناصر فى ٩ يونيو ١٩٦٧ بطلاً من نوع فريد .. فإذا اراد جمال عبد الناصر ان يتحمل المسئولية وحده فهذا ليس من حقه ، والمسئولية مشتركة ، ووجود جمال عبد الناصر معنا فى هذه المرحلة ضرورى بل وحتمى .. هذه إرادة الشعب ، ولقد عودنا جمال أن يخضع لإرادة الشعب .

وكتب إحسان عبد القدوس رئيس تحرير اخبار اليوم يقول :

- إن عبد الناصر سلاحنا وقوتنا وإرادتنا ، وإذا تنازلنا عن سلاحنا وقوتنا وإرادتنا فكاننا استسلمنا للعدو ، كاننا حققنا إرادة العدو لا إرادتنا ، امل العدو لا املنا وهذا ما لا نستطيعه ولا يستطيعه عبد الناصر ، ولن نجعل من النكسة نكستين » !

وبعد ٤٨ ساعة من تنحى عبد الناصر يكتب انيس منصور فى الأخبار يقول :

إن الذين حاربونا يوم العدوان الثلاثى الأول كانوا يريدون تحطيم الشعب لتبقى انت وحدك ياجمال زعيماً بغير شعب ! والذين حاربونا يوم العدوان الثلاثى الجديد كانوا يريدون تحطيمك انت ياجمال لنبقى نحن وحدنا شعبا بغير زعيم ! وقد فشلوا فى المرتين . ان الله ياجمال قد وهبك الكثير من مزايا الرجولة والبطولة ولكن اغلى ماوهبك الله هو حب الشعوب لك ، فعلى بركة الله وبحب الأمة العربية ، امل جديد وتقرير لأعبائك الثقيلة ، امض فى علمك وفى طريقك الطويل فقد اصدرنا قرارنا « لا » مائة مليون مرة . وشكراً لله انك قلت نعم !!

كما صدرت جريدة الجمهورية صباح ١٠ يونيو : وكان يراس تحريرها فى ذلك الوقت فتحى غانم وكتب بعنوان ايها القائد البطل اننا نرفض قرارك . اننا نرفض ان تتحمل وحدك المسئولية !!

وكتب خالد محمد خالد بعنوان « لا ايها الرئيس » إبق مكانك إيها الرئيس .. ابق معنا وخض بنا الأهوال مايشاء اعداؤنا المجرمون واكثر مايشاءون !!

فى تلك اللحظات فى بيت ومكتب جمال عبد الناصر . كيف كانت تبدو الصورة عن قرب ؟!

يقول محمود الجيار ، على مسافة قريبة من بيت عبد الناصر ، وفى المكان الذى يقع فيه ضريحه الآن تجمع طوفان من اهالى الجنود والضباط يسالون عن مصير ابنائهم ، ويدمدمون بغضب وقلق ،

وتتطاير الشائعات المزعجة فى صفوفهم كما يتطاير الشرر فى خزان البنزين !وكان على عبد الناصر فى ذلك الصباح أن يخرج من بيته إلى قصر القبة ليذيع من هناك بيانه على الشعب والأمة العربية . ولا مفر من أن يخترق فى طريقه إلى القصر هذا الطوفان الغاضب من أهالى الضحايا ، وهو طوفان لا نأمن على عبد الناصر إذا مر به !! واحتاج الأمر إلى قدر كبير من الذكاء لاستدراج هذا الطوفان بعيداً نحو ميدان العباسية ، قبل موعد خروج عبد الناصر من بيته .

ودخل عبد الناصر وحده إلى القاعة التى سيذيع منها خطابه . وجلست فى الخارج أتابع الخطاب عن طريق التليفزيون وكان بالطبع مفاجأة صاعقة !!كنت قد سمعت حواره مع عبد الحكيم عامر فى مبنى القيادة فى الليلة السابقة وسمعت اتفاقهما على الاستقالة . ولكنى اعتبرته مجرد حوار عصبى غاضب ، ولم أتصور أن عبد الناصر سيستقيل فعلاً ! لهذا - يقول الجيار - ترنحت وأنا أسمعه يعلن فى الخطاب استقالته ، وتعيين زكريا محيى الدين خلفاً له .

وما كاد عبد الناصر يخرج من قاعة التسجيل بعد إذاعة خطابه حتى فوجىء على الباب بأول تمرد على قراره ، وكان المتمرد رجلاً عسكرياً هو الياور « صلاح شهيب » الذى استوقفه على الباب ليعلن رفضه لقراره ويجادله بجزع وعصبية بالغتين . ولم يكن عبد الناصر وقتها قادراً على المجادلة ، كانت فى عينيه دموع ، ولم يكن قادراً على أن يقول غير جملة واحدة : هذا قرارى الأخير !

يضيف الجيار : أحسست بشىء كالخوف من أن ينهار فجأة - [يقصد عبد الناصر] وأن يشهد انهياره الجمع الواقف من صغار الضباط وموظفى قصر القبة . وأسرعت أتدخل وأمنع صلاح شهيب من مواصلة الكلام وقلت له : الرئيس تعبان ، مفيش داعى تتعبه أكثر ! ثم تحولت أقول لعبد الناصر : تسمح يا أفندم تتفضل عشان تروح !! وخرجنا عائدين إلى البيت !

وقبل أن يدخل إلى حجرة نومه كلف أسرته بأن تحزم حقائبها وتستعد للرحيل فى الصباح ، واتفقنا محمد أحمد وأنا على أن نغلق باب البيت ولا ندع أحد يزوره هذه الليلة ، ولكننا لم نفلح ، جاء أولاً سامى شرف . جاء يبكى ويترنح ويطلب أن يصعد لمقابلة الرئيس فلما رفضنا تمايل فى وقفته وسقط على الأرض فاقد الوعى !! »

واستأذن القارىء فى قطع رواية الجيار لأروى شهاد منير حافظ عن سامى شرف فى موقف مشابه للموقف السابق . جرى ذلك صباح ٩ يونيو حوالى الساعة ١١ صباحا ويقول منير حافظ [الرجل الثانى فى مكتب عبد الناصر وكان الأول سامى شرف نفسه] جاء هيكل إلى مكتبنا قبل دخول إلى بيت عبد الناصر وكان على وجهه غيم وغيظ مكبوت .. وجهه مغرق فى الأسرار ولكن لم يكن فى عينيه التساؤل الذى كان يسود الجميع ، وكان بين الحين والحين يجز على أسنانه ويقول : عملتوها فينا ياغجر ؟! ولكن سامى شرف لم يكن مستعداً لأن يسمع منه شيئاً .. وقام معه وأدخله بيت عبد الناصر ثم عاد !! ومر الوقت بطيئاً متثاقلاً ثم عاد هيكل إلى مكتب سامى شرف الذى استدعى الكاتب على الآلة الكاتبة ثم أغلق أبواب الغرفة على ثلاثتهم بالمفتاح .. وبعد أن انتهت الكتابة خرج هيكل إلى الأهرام وخرج كاتب الماكينة بعد أن ترك الأوراق كلها مع سامى شرف .. وبعد فترة سمعت صراخاً من داخل المكتب ، كان سامى شرف يصرخ ويبكى مثلما يبكى ويصرخ أهل ميت ساعة خروجه من بيته !! وتحول صراخه إلى نشيج يهتز له جسده كله ثم دق التليفون فإذا بالمتحدث هيكل .. سألنى : فين سامى ؟! فقلت له : مش هيقدر يتكلم دلوقتى ! قال : هوه جوه .. الله ايه اللى بيصرخ عندك ده ؟! فقلت له : هوه (أى سامى شرف) قال لى : بيصرخ ليه ؟! قلت : مش عارف .. أعصابه تعبت شوية فأجابنى هيكل (أعصابه ؟؟! حقيقى أن اللى حواليه شوية عيال !) كان يقصد بالطبع سامى والآخرين حول عبد الناصر .

ونعود إلى بيت جمال عبد الناصر ومكتبه .. وكان معظم الوزراء قد وصلوا بمجرد إذاعة البيان ، والكل فى حالة ذهول ووجوم .. والبعض ينتحب ويبكى ولا يدرى ما الخطوة التالية .

وكان شعراوى جمعة (وزير الداخلية) وعبد المحسن أبو النور والنبوى المهندس وزير الصحة قد اقتحموا مكتب محمد احمد لإعلانه بنبأ خطير يقول إن مظاهرة ضخمة تتجه الآن إلى بيت زكريا محيى الدين ـ الرئيس الجديد الذى اختاره عبد الناصر ـ كى تقتله !!

وباقى التفاصيل نسترجعها مع محمود الجيار الذى يقول : وفزع محمد احمد وأسرع يقفز سلالم البيت إلى عبد الناصر كى ينقل إليه النبأ الخطير . ولم تمض لحظات حتى كان عبد الناصر قد ارتدى ملابسه ونزل لمقابلة الذين جاءوا يحملون النبأ حتى يواجه الموقف !! ولكنه ما كاد يجلس مع حاملى النبأ حتى ادرك انهم جاءوا فى الواقع لمناقشته فى قراره . وانهم استخدموا هذا النبأ حيلة لإرغامه على مقابلتهم .

ثم اختلط الأمر اكثر ـ يؤكد الجيار ـ عندما وصل زكريا محيى الدين كان وقتها مسئولاً عن المقاومة الشعبية ، وكان فى مبنى القيادة المشتركة عندما سمع خطاب عبد الناصر ، وقراره بأن يكون خليفته فى رئاسة الجمهورية ، فجاء فزعاً يسأل ما الحكاية ؟! والعجيب انه نجح فى الوصول سالماً إلى بيت عبد الناصر بينما كانت الجماهير قد اعتدت على محمد فائق [وزير الإرشاد] لمجرد انه يشبهه وما كاد زكريا يصل حتى احاط به الموجودون جميعاً واخذوا يلحون عليه من اجل أن يصدر بياناً يرفض فيه تكليف عبد الناصر له بتولى الرئاسة ! واستقبله عبد الناصر فى حجرة المكتب وطلب منه ألا يسمع كلام أحد ، ولا يصدر أى بيان يرفض فيه المسئولية التى كلفه بها .

وتكمل سطور « منير حافظ » بقية الصورة فيقول : استقر سامى شرف على مكتبه وبدأت الأزمات .. زكريا محيى الدين يريد أن يذيع بياناً يرفض فيه الدور الذى اختاره له عبد الناصر ويؤكد انه لم يعلم بمضمون خطاب الرئيس إلا مع سائر الجماهير وانه لا يقبل تنحى عبد الناصر ولا يقبل ان يحل محله . والمشير عامر يبعث ببعض الضباط إلى مبنى الإذاعة لإذاعة بيان يعلن فيه استقالته . شمس بدران [وزير الحربية] هو الآخر يريد ان يذيع بياناً يعلن فيه استقالته ! وتحرك عبد الناصر وامسك الخيوط : ● لا يعاد إذاعة بيان التنحى !

● مجموعة من الضباط المسلحين من الحرس الجمهورى تذهب لحماية مبنى الإذاعة والتليفزيون .

● يذاع بيان زكريا محيى الدين بعد مراجعته مع « هيكل » ولا تذاع اية بيانات سواه !

واخذ سامى شرف فى التنفيذ !

ودق التليفون ورد سامى عليه فإذا به عبد الحكيم عامر يصرخ ثائراً : بقى انت [يا ابن ...] على آخر الزمن تمنع إذاعة بيان لى ؟!

ويرد سامى : أنا يا افندم يكون لى ميت سنة فى القبر لو أرفع عينى فى وش سيادتك يا أفندم ولو جيت ضربتنى بمسدسك مش حارفع عينى فى وش سيادتك !!

ولم توقف هذه الاعتذارات سيل الشتائم المريرة التى تدفقت فى أسماع سامى شرف والقريبين من مكتبه !

سجل زكريا محيى الدين بيانه واخذه سمير مصلح مدير مكتبه إلى الإذاعة وتمت إذاعته واكتفى بالنسبة لعبد الحكيم عامر وشمس بدران بنشر نبأ استقالتيهما . وانصرف الجميع من المكتب على أساس ما اذيع لتهدئة الجماهير من أن عبد الناصر سيتوجه غداً إلى مجلس الأمة ليعرض وجهة نظره ثم ينزل على إرادة ما يقرره المجلس !!

الفصل الرابع

عبد الناصر يطلب منع النكت !

١٧ ساعة هزت مصر !

١٧ ساعة عاشتها مصر والعالم العربى على أعصابها منذ أذاع عبد الناصر مساء ٩ يونيو بيان التنحى وحتى ظهر ١٠ يونيو عندما عدل عن هذه الاستقالة !!

ومنذ ذلك التاريخ بدأ عبد الناصر فصلاً جديداً فى حياته .

ولولا ما جرى صباح ١٠ يونيو ١٩٦٧ لما جرؤ جمال عبد الناصر على أن يبدأ الخطوة الأولى فى ملحمة إعادة بناء القوات المسلحة .

ومازالت أحداث ٩ و ١٠ يونيو تنتظر الرؤية الواعية .

وأعود بكم إلى شهادة رئيس مجلس الأمة فى ذلك الوقت ورئيس الجمهورية فيما بعد أنور السادات [٢٩ سبتمبر ١٩٧٠ ـ ٦ أكتوبر ١٩٨١] الذى يقول : سبع عشرة ساعة كاملة وجموع الشعب ترفض أن تترك أماكنها فى شوارع القاهرة ، وقد نسيت كل شىء .. الطعام والشراب والمبيت والمأوى .. نسيت كل شىء إلا شيئاً واحداً فقط وهو التمسك بوحدتها وتحدى إرادة الدولة العظمى ـ يقصد أمريكا ـ التى تريد أن تتحكم فيها .. اتصلت بعبد الناصر أكثر من مرة وفى كل مرة كنت أجده أسوأ حالاً عن ذى قبل .. كنت أشعر أن صوته صوت رجل يتكلم من غياهب الماضى .. لابد أنه فى الفراش وأنه يعانى كثيرا !

يعترف هيكل لفؤاد مطر قائلاً : كانت ليلة حزينة ، اضطر ـ عبد الناصر ـ إلى تناول حبه منومة لأنه كان فى حالة صعبة ، وكان اتصل بى على أساس أن ما يجب أن يعلنه حدث وأنه يريد أن ينام ولم ينقطع الاتصال بيننا حتى الرابعة صباحاً وبعدها كان المنوم بدأ يفعل فعله فنام ، واتصل بى سامى شرف وشعراوى جمعة من منزل عبد الناصر بعدما دخل غرفته لينام وطلبا أن أصدر بيانا يشير إلى أن الرئيس عبد الناصر سيفكر فى موضوع التنحى ، وبعد منتصف الليل بساعة اتصلت بالرئيس عبد الناصر وكان فى غرفة نومه وقلت له ما حصل فأجابنى : لا الموضوع انتهى ! لكنه عندما صحا من النوم وجد أن الشوارع امتلأت بالناس تطالب ببقائه] .

ويضيف أنور السادات : يوم ١٠ يونيو وأنا بمكتبى بمجلس الأمة سمعت أصوات قنابل تفجر قريبة منا ـ كانت الساعة ١٢ ظهراً ـ فلما سألت قالوا لى إن البوليس يفجر قنابل دخان على السفارة الأمريكية ليفرق جموع الشعب التى التفت حولها لتحرقها ، فاتصلت فوراً بعبد الناصر وجعلته يستمع إلى الانفجارات [!!!!] وحكيت له القصة ثم قلت : الجموع دى بقى لها دلوقتى أكتر من ١٧ ساعة فى الشوارع .. هل تحب يا جمال أن تحترق القاهرة تانى زى يوم ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ ؟! إحنا على وشك كده دلوقتى ـ لازم ترجع يا جمال لأن إرادة الشعب هى الصمود ومفيش هروب من هذه المسئولية النهاردة !! اقتنع جمال فرد علىّ بالموافقة [!!!] ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى اتصل بى مستشاره الصحفى [يقصد الأستاذ هيكل] ليبلغنى بيان عبد الناصر الذى يقرر فيه العودة فكتبته وأمرتهم فى المجلس بدق الأجراس للاجتماع !!

ملحوظة ضرورية : كتب السادات هذه السطور عام ١٩٧٨ وكانت العلاقات بينه وبين أ . هيكل فى غاية التوتر وفى عز القطيعة بعدما أخرجه من الأهرام شتاء عام ١٩٧٤ ، وطوال ٤٥٤ صفحة هى حجم كتابه « البحث عن الذات » لم يجىء ذكر اسم الأستاذ هيكل ولا مرة .. وفى المرات القليلة التى كان سياق الكلام يحتم ذكره اسمه كان يرمز إليه بالمستشار الصحفى لعبد الناصر] .

ولا بأس من العودة إلى سطور « محمود الجيار » ونحاول بها ومعها أن نرسم صورة لما كان يدور فى الكواليس . فيقول الجيار : كان أنور السادات مقيماً فى مجلس الأمة ، والنواب معه ، وقرارهم القاطع أن يسحب عبد الناصر استقالته . وأن يأتى ويعلن أمامهم ذلك . ولكن القرار كان مستحيل التنفيذ . فمن ناحية كان عبد الناصر برغم كل محاولات الليلة السابقة لم يتزحزح عن قوله : هذا قرارى الأخير ، ومن ناحية أخرى كان مستحيلاً ـ لو عدل عن قراره ـ أن يخوض بحر البشر المتلاطم ويصل إلى مجلس الأمة واضطر المجلس أن يدخل تعديلا على قراره ، فيعفى عبد الناصر من الحضور ، ويقرر الانتقال إليه فى بيته قرار مستحيل آخر ، ومع ذلك فقد شرعنا فى بيت عبد الناصر نستعد لاستقبال الأعضاء تنفيذاً للقرار الذى أصدره .. وتحايلنا للحصول على كراس من قصر القبة ، ومن بعض محلات الفراشة القريبة بدأنا نصفها فى حديقة بيت عبد الناصر ! كل هذا وعبد الناصر نائم ! فلما استيقظ ورأى ما جرى أسرع يستدعى « محمد أحمد » ويسأله

ما الحكاية ؟ وما كاد محمد أحمد يجيب عليه حتى انفجر غاضباً وصاح : كيف تفعلون شيئاً كهذا ؟ أنا قلت إنني لن أعود وإن هذا قراري الأخير ! هل أنتم معي أم ضدي ؟!

وأسرعنا نتصل بأنور السادات ونبلغه ما قاله عبد الناصر فقال السادات : دعوني أكلمه ؟

يضيف الجيار : ولا أعلم بالطبع ماذا جرى أثناء هذه المكالمة ! ولكن الرئيس لم تمض الساعة بعدها إلا وقد عدل عن قرار الاستقالة ! ماذا قال له السادات ؟ وكيف أقنعه ؟ هذا مالا أعرفه حتى الآن ؟!

ونعود لسطور السادات عما جرى في تلك اللحظات وكان مجلس الأمة قد بدأ الاجتماع فيقول السادات : أعلنت للأعضاء أن عبد الناصر قد قرر العودة بناء على رغبة الشعب وأنه كان بوده لو يستطيع أن يقرأ عليهم القرار بنفسه ! وكان لهذا أثر رائع على النواب فتملكتهم فرحة مفاجئة صفقوا معها وهللوا وصرخوا وبكوا .. بعد ذلك بفترة وجيزة اتصلت بزملائي في القيادة جميعاً وطلبت منهم أن يجهزوا استقالاتهم ومن ضمنها استقالتي حتى نعطي الفرصة لعبد الناصر لاختيار معاونيه في هذه المرحلة الحرجة وكفانا الصراعات وما أدت إليها من هزيمة وإحباط .. فوافقوا جميعاً .. اتصلت بعبد الناصر وأخبرته بما حدث وان الاستقالات كلها جاهزة ما عدا استقالة عامر « التي وعد بإرسالها إلى عبد الناصر مباشرة » فطلب عبد الناصر تأجيل إعلان الاستقالات لأنها لو أعلنت فسوف يحس هو بأن الدنيا كلها انهارت وسوف يكون هذا إحساس الشعب نفسه أيضاً . لم أقتنع بكلامه فناقشته فيه ولكنه عاود الرجاء بتأجيل الاستقالات حتى يهتدي إلى نقطة البداية ! »

وفي هذه الجلسة تكلم الكثير من النواب ، وقال المهندس سيد مرعي في كلمته : « لا ... لا .. يا جمال أنت رئيس جمهوريتنا وقائدنا ، استمر والمعارك طويلة ومريرة ، لكننا سننتصر في النهاية بإذن الله ، ونحن معك ، من ورائك ومن حولك .. نموت جميعاً معك ، ونحيا معاً !! وعشت يا جمال لساعات النضال القادمة .. وعاشت مصر .

ويكمل سيد مرعي قائلاً : « وفي نفس اليوم قرر المجلس أن يذهب الأعضاء جميعا إلى الرئيس جمال عبد الناصر في بيته بمصر الجديدة ، بعد أن قرر جمال عبد الناصر العدول عن التنحي ، وذهبنا وخرج إلينا مستمعاً أو متكلماً .. خرج إلينا ولكنه لم يكن ابداً جمال عبد الناصر الذي عرفناه في الأيام الماضية ، أيام الإصلاح الزراعي واتفاقية الجلاء وتاميم قناة السويس والوحدة مع سوريا .. لقد كان شخصاً آخر .. ونوعاً آخر من الرجال ، إن شعره أكثر بياضا فجأة .. والبريق اختفى من عينيه فجأة والمرارة كلها والهزيمة كلها .. والجراح كلها موجودة في داخله يكتمها ويداري عليها ، ولكن بلا فائدة !!

ونعود إلى جلسة مجلس الأمة التاريخية ظهر ١٠ يونيو فقد وقف أنور السادات ، يجفف دموعه ويتلو من ورقة رسالة عبد الناصر إلى المجلس بالعدول عن التنحي ، وبصوت رصين ، ورزين أخذ السادات يقرأ كلمات عبد الناصر :

« لقد كنت أتمنى لو ساعدتني الأمة الآن على تنفيذ القرار الذي اتخذته بأن اتنحى .. أن الكلمات تضيع مني وسط زحام من المشاعر يملك عليّ كل جوارحي . وأقول لكم بكل امانة وأرجوكم تبليغ مجلس الأمة الموقر انني مقتنع بالأسباب التي بنيت عليها قراري وفي نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لي أمر لا يرد ، ولذلك فقد استقر رأيي على أن أبقى في مكاني وفي الموضع الذي يريده الشعب مني أن أبقى فيه حتى تنتهي الفترة التي نتمكن فيها جميعاً من أن نزيل آثار العدوان ، على أن الأمر كله بعد هذه الفترة يجب أن يرجع فيه إلى الشعب في استفتاء عام » .

وقوطع السادات أكثر من مرة بالهتاف : ناصر .. ناصر ! وبلغت الفرحة بأحد نواب المجلس أن وقف ليرقص ! وقرب نهاية الجلسة قال السادات : باسمكم وباسم الملايين من قوى الشعب العاملة اتقدم إلى رئيس جمهوريتنا جمال عبد الناصر بآيات الشكر والعرفان بالجميل ، وباسمكم وباسم الملايين أعلنها مدوية أننا من خلفك نسير يا جمال في طريق الحرية ، وفي طريق الاشتراكية وإلى الأمام ونحن من ورائك إلى الأمام على ثقة من نصر الله وتأييده !!

ويضيف محمود رياض وزير الخارجية « وقتها » قائلاً : والحقيقة أن عبد الناصر كان أكثر الذين تحملوا مرارة وقسوة تلك الأيام العصيبة لإدراكه أنه سواء كان الخطأ عسكرياً أو سياسياً فإنه يتحمل وحده في النهاية المسئولية التاريخية عن الهزيمة . ولقد قام عبد الناصر بشرح أبعاد تلك الصورة في مجلس الوزراء مرة بقوله : لا يمكن أن أنسى الأيام الأولى التي مرت عليَّ بعد يونيو . كنت أشعر بمرارة كبيرة ، مرارة لا يمكن وصفها ، فلاشك أن ما حدث في يونيو قد أثر علينا جميعاً نفسياً ومعنوياً ومادياً .. ولقد تمنيت في تلك الأيام لو أنني تنحيت بالفعل عن السلطة وابتعدت عن موقع المسئولية . كان تقديري دائما أن الأيام التي سنواجهها صعبة للغاية في الداخل والخارج ، لأن خصمنا قوى ولديه التنظيمات وجاهز للعمل ضدنا ، ولديه كل ما يحتاجه من أموال للقضاء علينا !! أنا في يوم ١١ يونيو عندما عدلت عن قرار التنحي كنت في حالة سيئة جداً إلى درجة أنني أرسلت عائلتي خارج القاهرة ووضعت مسدسي إلى جانبي لاستخدامه في آخر لحظة . يومها سألت عن عدد الدبابات المتبقية في القاهرة ، فقالوا لي لم يبق إلا سبع دبابات ، وبالرغم من ذلك بدأت مع القيادات العسكرية السير في الطريق الصعب . طريق إعادة بناء قواتنا المسلحة من جديد . كنت أتحدث مع الفريق فوزى كل ليلة قبل أن أذهب للنوم ، ثم أطلبه في الساعة السادسة صباحاً لأراجع معه موقف القوات وموقف القيادات واسم القائد المسئول في كل موقع ولو لم ألجأ إلى هذا الأسلوب لكانت الأمور فلتت . »

وجاء ٢٣ يوليو للمرة الخامسة عشرة . جاء هذه المرة ومصر كلها حزينة وغاضبة على ما جرى للوطن صباح ٥ يونيو ! كان ٢٣ يوليو في حياة مصر والعرب مناسبة للفرح الجميل بالثورة التي غيرت وجه مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي وإلى الأبد !!

وجاء ٢٣ يوليو ١٩٦٧ والدنيا لم تعد هي الدنيا ! وأصبحت سيناء والجولان والضفة الغربية وغزة [الأرض والسكان] تحت ظل الاحتلال العسكري الإسرائيلي .

كان هيكل قد كتب نص الخطاب الذي سوف يلقيه عبد الناصر في هذه المناسبة الغير عادية تحامل عبد الناصر على نفسه ، حاول كتم آلامه الجسدية الرهيبة ، وكان السكر قد تمكن منه بالإضافة إلى التهاب الشرايين ، وهذا الالتهاب أتعب عبد الناصر وتسبب له في آلام حادة في رجليه . إن طبيبه الخاص د . الصاوى حبيب الذى لازمه طيلة ١٦ عاما [في حواره مع الزميل جمال عنايت المنشور في صباح الخير] يقول يوم ١٢ يونيو ١٩٦٧ دخلت عليه ووجدته هادئاً ـ يقصد عبد الناصر ـ فطلبت منه أن يستلقى لأقوم بفحص طبى دقيق دقيق ، حتى أتعرف على حالته الصحية بالضبط ، وقد وجدت ما يلي بعد الكشف الذى استغرق ساعتين : أولا : مريض بالسكر . ثانيا : تصلب في شرايين الطرف السفلى الأيمن . ثالثا : بعض الالتهابات في القناة التنفسية ، ومنذ ذلك اليوم بدأنا ما أطلقت عليه معركة السكر ومن الممكن أن نستنتج مدى شدة الألم عندما كنت أدخل عليه صباحاً فأجده نائما بعرض السرير بدلاً من أن ينام بالطول . »

وجاء يوم ٢٣ يوليو .. وبالتأثر كله وآلام جسدية لا تطاق عبد الناصر في أول لقاء له مع جماهير وشعب ٩ و ١٠ يونيو . وقال إن ما جرى قد جرى ولا فائدة من الوقوف عنده والبكاء على أطلاله

وأهم منه الآن أن نتعلم منه درسه وعبرته وأن نتجاوز النكسة ونرتفع فوقها ونواصل طريقنا بالنصر إلى آمالنا ..و (وارتفعت هتافات وصيحات التأييد من الحاضرين فقال عبد الناصر : مش عاوزين هتاف بقى للآخر) وعاد ليواصل حديثه قائلاً : « كنت أريد أن أتحمل المسئولية وأمضى وكنت أريد أن يعرف أعداء العشب المصرى وأعداء الأمة العربية أن المسألة ليست عبد الناصر ولا مطامع عبد الناصر كما يقولون . إن نضال الشعب المصرى بدأ قبل عبد الناصر وسوف يمضى بعد عبد الناصر ولقد كنت أقول دائماً ومازلت أقول إننى لست قائد هذا الشعب ، وقصارى ما يمكن أن اتمناه لنفسى من شرف أن أكون تعبيراً عنه فى مرحلة معينة من نضاله المستمر قبل أى فرد وبعد أى فرد »

« إننى لم اعتبر لدقيقة واحدة أن خروج جماهير شعبنا برغم الظلام وبرغم غارات العدو مساء ٩ يونيو تكريما لشخصى وإنما اعتبرت أن ذلك الموقف كان تصميماً على النضال لقد قلت مرات عديدة أن هذا الشعب أعطانى أكثر مما حلمت به فى أى يوم من الأيام ولقد رفعت صوتى أكثر من مرة محذرا من الاعتماد على الفرد لأن كل فرد له دوره يؤديه ويمضى ويبقى الشعب وحده من الأزل إلى الأبد » .

وتكلم عبد الناصر طويلا .. ويلفت النظر فى هذا الخطاب قوله « إحنا من غير ما نعرف بنسمع الإذاعات ونرددها ونقول مفيش فايدة ، الشعب المصري يمسك اى حاجة « وينكت » عليها .. تعرفوا موجة النكت اللى طلعت فى الأيام اللى فاتت ! أنا عارف شعبنا - شعبنا طبيعته كده - وأنا لم اخذ هذا الموضوع بطريقة جدية ! وعارف الشعب المصرى كويس ماهو انا منه واتربيت فيه كل واحد مابيقابل واحد يقول له سمعت آخر نكتة ويحكى ! وممكن يستخدمونا بأن تقال بعض النكت اللى تاثر على كرامتنا ، كرامتنا كشعب له طلائع قاتلت وماتت » .

وعاد عبد الناصر ليقول : برضه باقول إن موجة النكت اللى طلعت احنا انجرينا فيها ومافهمناش بتسبب إيه النكت اللى طلعت ؟! النكت اللى طلعت تجرح كرامة ناس هم أولادنا وأخواتنا وأنا نفسى كنت باسمع النكت برضه.واحد يقول لى سمعت آخر نكتة زى مابتقولوا لبعض ! وأنا ماأخذتش من هذه النكت أبداً أى تعبير ! ولكن أنا عارف الشعب المصرى ده شعب عمره سبعة آلاف سنة وقهر كل الغزاة ، كسرهم ، خلص عليهم من قمبيز إلى نابليون وقعد ينكت عليهم . شعب له فلسفة وطنية ، وشعب صلب قوى لكن هو شعب يحب النكتة وأنا بعتبر أن دى ميزة لأنه بيفلسف بيها الأمور . فإذا جه ، أعداءنا واستغلوا فينا هذه الطبيعة عشان يحققوا أهدافهم لازم نكون ناصحين ، وكل فرد يكون ناصح » .

فى تلك الأيام غمر مصر طوفان من النكت السياسية الجادة التى تهاجم وتسخر من كل شىء ، وكانت هذه النكت ترفع فى التقارير التى كان عبد الناصر يتلقاها يومياً ليقرأها مع باقى الملفات التى تاتيه .

يقول هيكل كانت قواعد العمل فى رئاسة الجمهورية تجرى على أن الرئيس يتلقى كل يوم أربعة ملفات أساسية يدور حولها نشاطه اليومى . الأول ملف من وزارة الخارجية والثانى من وزارة الداخلية والثالث من المخابرات والرابع من وزارة الاقتصاد ، وكانت وزارة الإرشاد تقدم للرئيس تقريراً كل أسبوع عن أهم اتجاهات الرأى العام . (راجع خريف الغضب ص ١٠٤) .

وهكذا وصلت « النكت » مكتوبة مصنفة فى ملفات إلى مكتب عبد الناصر ، ولاشك انه تألم كثيراً لقراءتها وخصص لها هذا الحيز من خطابه .

ويقول انتونى ناتنج « فى كتابه ناصر » بدا أن روح الدعابة قد فارقته فبينما كان فى الماضى

يستمتع بسماع النكات التي تتردد ضده ، بات يهدد بإلقاء القبض على كل من يردد إحدى النكات عنه !!

ويكمل الصورة فتحي رضوان في كتابه [٧٢ شهراً مع عبد الناصر] قائلاً : كان رحمه الله يروى احياناً بعض فكاهات غير مضحكة ثم يكون هو أول من يضحك عليها !! وعندما كنا نناقش دستور ١٩٥٦ داعبته مرتين ، مداعبة استدعاها الحديث فرفض رفضاً باتاً أن يضحك على كليهما ، لأن الأولى فيهما تمسه ، ولأنه لم ينتبه إلى موضع الفكاهة في الثانية .. فضايقه ذلك ! وقد كانت مناسبة المداعبة الأولى ، نصاً وارداً في دستور ١٩٥٦ يقول إن وفاة رئيس الجمهورية تثبت باغلبية أصوات مجلس الأمة ، فعارضت في النص على أساس أن الوفاة واقعة مادية لا تثبت باصوات النواب ، وإنما الذى يثبت هو إعلان خلو منصب الرئيس فقد يكون مخطوفاً أو مأسوراً ».وطال الجدال في هذه النقطة بيني وبينه فقلت له : على كل حال أنا موافق ، لأنه إذا لم (يصوت) النواب عند وفاة رئيس الجمهورية فمتى يصوتون ؟! فزم الرئيس شفتيه مستاء وقال : طيب ياسى فتحى !!

وفي المناسبة الثانية - في جلسة أخرى - احضر الرئيس معه الدستور « الصيني » واثنى عليه فقلت له : ولكنه سهل « الكسر » فغابت عنه النكتة وقال : سهل الكسر .. لماذا ؟! فقلت له : لأنه « صيني » فعقد مابين حاجبيه وفكر قليلاً .. فلما أدرك النكتة أشاح بوجهه .. وأبى أن يضحك !!

وتذهب د . نبيلة إبراهيم .. في كتابها « أشكال التعبير في الأدب الشعبى » إلى أن النكتة تسد احتياجات دوافع نفسية خفية تنشأ عن إحساس الإنسان بعقبات تحول دون تحقيق رغباته الكاملة . وربما تمثلت هذه العقبات في مجرد الإحساس بتوتر نفسى مصحوب بتهديد وخوف يحملان الفرد تبعات نفسية إذا هو رضخ لها .

□□

في ذلك المناخ المفعم بالحيرة .. كانت الهزيمة قد بدأت تكتب كلماتها الأولى في كتاب التاريخ العربى المعاصر ، واعترف لى الشاعر العربى الكبير « نزار قبانى » عندما زار القاهرة منذ شهور أن قصيدته الشهيرة « هوامش على دفتر النكسة » ولدت في تلك الساعات المجنونة بعد خمسة يونيو .. ربما في اليوم الثامن أو التاسع .. تبلورت صرخة نزار قبانى .. التي أتخذت ثوب القصيدة الناسفة :

إذا خسرنا الحرب لا غرابة .
لأننا ندخلها بكل ما يملكه الشرقى من مواهب الخطابة .
بالعنتريات التي ما قتلت ذبابة !
لأننا ندخلها بمنطق الطبلة والربابة !

**

بالناى والمزمار
لا يحدث انتصار
لا تلعنوا السماء .
إذا تخلت عنكم .. لا تلعنوا الظروف .
فالله يؤتى النصر من يشاء .
وليس حداداً لديكم يصنع السيوف !

**

ما دخل اليهود من حدودنا
وإنما تسربوا كالنمل من عيوبنا
**
جلودنا ميتة الإحساس .
أرواحنا تشكو من الإفلاس .
أيامنا .. تدور بين الزار والشطرنج والنعاس .
هل (نحن خير أمة قد أخرجت للناس ؟)

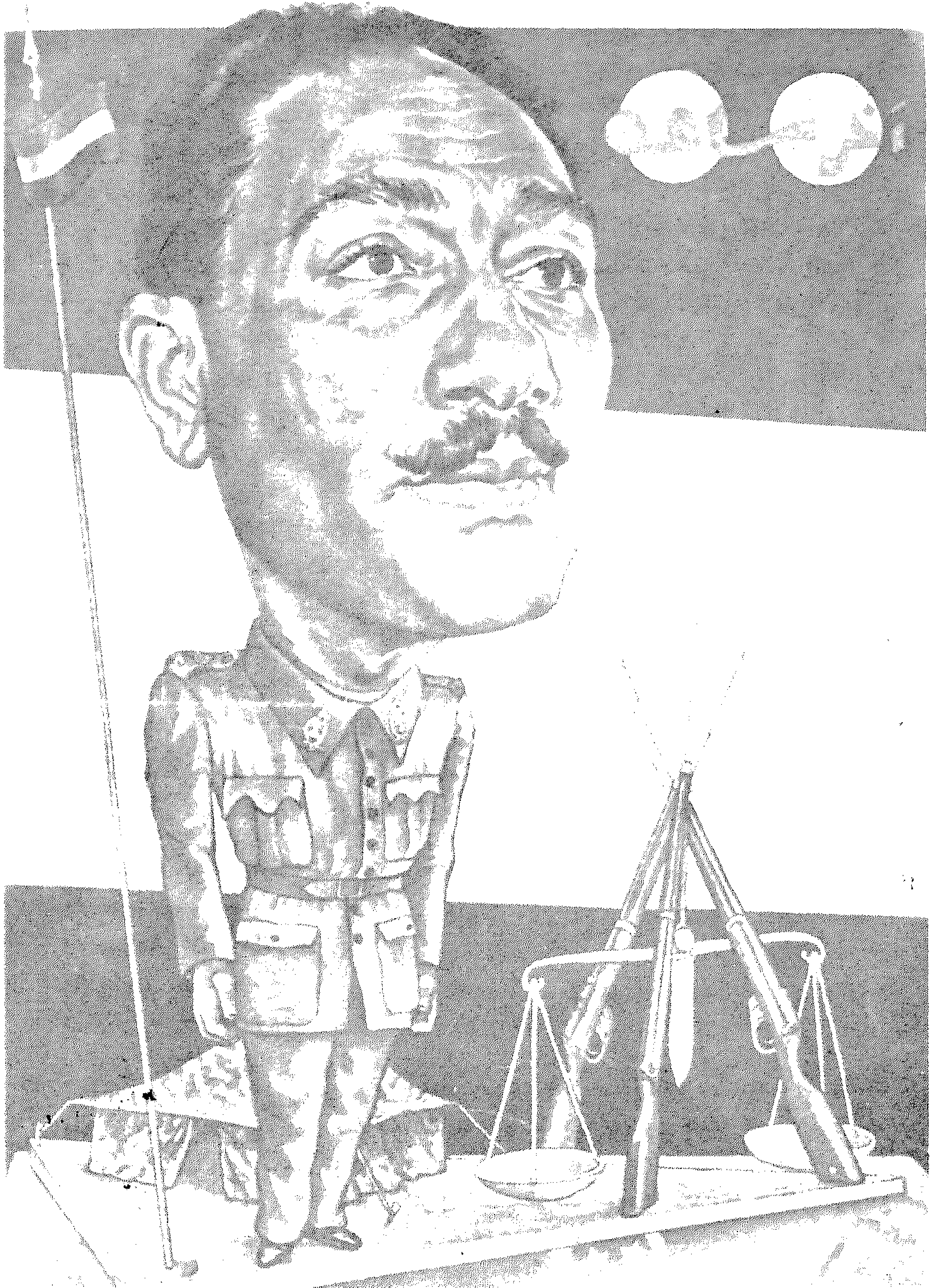
ويمر عشرون « يونيو » .. وتجيء أحدث قصائد نزار قباني . « الثقب » التي ألقاها في العاصمة الأردنية عمان منذ أسابيع في قاعة قصر الثقافة ، قدم نزار القصيدة للحاضرين بقوله : الكاتب في وطني يتكلم كل لغات العالم إلا العربية ، فلدينا لغة مرعبة سدوا فيها كل ثقوب الحرية ، تقول أبيات القصيدة :

لقد مر عشرون عاماً علينا .
لقد مر عشرون عاماً ونحن وقوف كأعمدة الكهرباء .
تمر القطارات من قربنا .
تمر الحضارات من فوقنا ..
تمر الزلازل من تحتنا ..
فلا نتأمل شيئاً .. ولا نتعلم شيئاً .. ولا نتذكر شيئاً .
ولا نتحمس حين مجيء الربيع .
ولانتأثر حين رحيل الشتاء .
فلا الله يرضى المكوث لدينا ولا الأنبياء .
لقد مر عشرون عاماً علينا .
يحاصرنا الروم من كل صوب .
وليس هنالك ثأر
وليس هنالك من يثأرون .
ويسقط نخل العراق جريحاً .
ولا صوت يثقب أعماق هذا الظلام .
ولاشيء يطلع من هذه الأرض .
إلا الطباق .. وإلا الجناس ..
وإلا ألاعيب علم الكلام ..
و ... و ... و ...

ومر « يونيو ٦٧ » ، ومر « يونيو ٧٧ » ويمر « يونيو ٨٧ » .. ولم تظهر بعد القصة الكاملة لكل ماجرى صباح ذلك اليوم .. ولا أجد كلمات أختتم بها هذه الملفات سوى كلمات جمال عبد الناصر نفسه التي قالها في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ :

«حرب سنة ٥٦ أسرارها كلها ما اتعرفتش إلا السنة اللي فاتت . نشرت بعد عشر سنين ! حرب ٦٧ مش حنقدر نعرف أسرارها كلها دلوقتي ! حنعرف أسرارها بعد سنوات !! » .

● والســـــؤال : متـــى ؟!



السادات يتصدر غلاف آخر ساعة كان رئيس التحرير يومها «محمد حسنين هيكل»

المحتويات الصفحة

القسم الأول : لغز السادات



لغز السادات

رشـــاد كامـل

الطبعة الاولى

يناير ١٩٨٩ م

رقم الايداع	٨٩/١٥٤٨
رقم دولـــى	٢ - ٣٩٧٠ - ٠٦ - ٩٧٧

● الناشـــر :

محمود الجداوي ☎ ٣٥٤٢٩٢٣

طبعت بمطابع روز اليوسف



هذا الكتاب
وهذا المؤلف

أنور السادات !

كان ضحية الأصدقاء قبل الأعداء !!

اغتاله زملاء العمر ورفاق الطريق ، قبل اغتياله ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٨١ . **وسرعان ما تحولت حياته إلى الغاز !!**

لقد تحول السادات إلى « لغز » كبير !! وتحولت عشرات المواقف التى مر بها إلى ألغاز تحتاج للحل ؟!

هناك لغز ذهابه إلى السينما ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ مع زوجته چيهان السادات !! وهناك لغز انضمامه للحرس الحديدي الخاص بالملك فاروق ومعرفة عبد الناصر بذلك !!

هناك لغز تصديه لإذاعة بيان الثورة الأول الذى حمل اسم محمد نجيب أول رئيس لمصر !! وهناك لغز تأسيس الضباط الأحرار !!

أما أكبر الألغاز عندما اختاره الرئيس جمال عبد الناصر نائباً له خريف عام ١٩٦٩ وقبلها كان رئيس مجلس الأمة !!

لقد وجد دراويش السادات ومحبوه ألف مبرر ليدافعوا عن هـ[illegible] الساداتية !!

أما الخصوم فقد اخترعوا تفسيرات لهذه الألغاز أدانوا بها السادات [illegible]

والكاتب الشاب « رشاد كامل » يحاول فى هذا الكتاب أن يفك رموز هذه [illegible] طبقاً لشهادات المعاصرين والذين عرفوه عن قرب !

طبع هذا الكتاب : **بمطابع مؤسسة روز اليوسف**